

سلسلة
وَلَكِنْ شَيْءٌ وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ

7

دَعُ مَا يَرِيكَ

الورع

دَعْ مَا يَرِيْبُكَ

الورع

سلسلة ولكن شيءٌ وَقَرَ في قلبه

مدارج

المحتويات

٧	إهداء.....
٨	مقدمة.....
١١	الباب الأول: ما الورع؟.....
١٢	١ أن تترك ما تخاف عاقبته.....
١٦	٢ الورع والتقوى.....
١٩	٣ الورع والزهد.....
٢٤	٤ الورع والاحتياط.....
٢٩	٥ الورع والوسواس.....
٣٣	٦ درجات الورع.....
٣٨	٧ متى يكون الترك عبادة؟.....
٤٣	٨ دَعْ مَا يَرِيْبُكَ.....
٤٦	الباب الثاني: بين الحلال والحرام.....
٤٧	٩ الحلال بيّن.....
٥١	١٠ الحرام بيّن.....
٥٥	١١ وبينهما مشتبهات.....
٦٠	١٢ من اتقى الشبهات.....
٦٥	١٣ الضرورة والحاجة.....
٧٠	١٤ الرخصة الشرعية ليست نقصًا.....
٧٥	١٥ لا تحرم ما أحل الله.....
٧٩	١٦ اسأل أهل الذكر.....
٨٤	الباب الثالث: الورع في السنة.....
٨٥	١٧ تمرة الصدقة.....

- ١٨ حديث «دع ما يريبك»..... ٩٠
- ١٩ الإثم ما حاك في الصدر..... ٩٥
- ٢٠ من حسن إسلام المرء..... ١٠١
- ٢١ البر حسن الخلق..... ١٠٦
- ٢٢ ترك ما لا يعنيك..... ١١١
- ٢٣ الاحتياط في حقوق الناس..... ١١٦
- ٢٤ النص قبل الذوق..... ١٢٢
- الباب الرابع: من ورع الصحابة والسلف..... ١٢٨
- ٢٥ أبو بكر واللقمة..... ١٢٩
- ٢٦ عمر ومال المسلمين..... ١٣٤
- ٢٧ عبد الرحمن بن عوف والمال..... ١٤٠
- ٢٨ ما الذي نأخذه من الموقف؟..... ١٤٥
- ٢٩ عقبة بن الحارث: كيف وقد قيل؟..... ١٤٩
- ٣٠ لا تُسَلِّم العيب إلى غيرك..... ١٥٢
- ٣١ عطية أم ثمن تأثير؟..... ١٥٧
- ٣٢ حين تصل القصة قبل مصدرها..... ١٦١
- الباب الخامس: ورع المال..... ١٦٦
- ٣٣ مصدر الراتب..... ١٦٧
- ٣٤ هدية عند باب القرار..... ١٧٢
- ٣٥ الدين الذي لا ينام..... ١٧٨
- ٣٦ يدك على المال المشترك..... ١٨٤
- ٣٧ الأجر الذي ينتظره صاحبه..... ١٨٩
- ٣٨ عمولة لها صاحب قرار..... ١٩٦
- ٣٩ متجر يرى المشتري فيه الصورة..... ١٩٩

- ٤٠ لا يُعَالَج كل مال مختلط بطريقة واحدة..... ٢٠٥
- الباب السادس: ورع اللسان والعلاقات..... ٢١٠
- ٤١ قبل أن تضغط إرسال..... ٢١١
- ٤٢ غيبة في ثوب النصيحة..... ٢١٦
- ٤٣ الباب الذي فُتِح لك..... ٢٢٠
- ٤٤ ضحكة على حساب إنسان..... ٢٢٦
- ٤٥ حين يصير الحق خصومة..... ٢٣٠
- ٤٦ الكلمة التي يثبت بها حق..... ٢٣٤
- ٤٧ هل قالها العالم؟..... ٢٣٨
- ٤٨ متى تصمت، ومتى تقول؟..... ٢٤٢
- الباب السابع: ورع العلم والفتوى..... ٢٤٧
- ٤٩ لا أدري..... ٢٤٨
- ٥٠ من تسأل؟..... ٢٥٢
- ٥١ تتبع الرخص..... ٢٥٧
- ٥٢ القول بلا علم..... ٢٦١
- ٥٣ نقل الحديث الضعيف..... ٢٦٦
- ٥٤ الجزم في مسائل الخلاف..... ٢٧١
- ٥٥ التصدر قبل التأهل..... ٢٧٦
- ٥٦ الرجوع عن الخطأ..... ٢٨٠
- الباب الثامن: حين ينقلب الورع إلى آفة..... ٢٨٥
- ٥٧ حين لا ينتهي الموضوع..... ٢٨٦
- ٥٨ حين يصير الحساب كله مشتبهاً..... ٢٩١
- ٥٩ حين يصبح احتياطك حكماً على الآخرين..... ٢٩٥
- ٦٠ كرامة المباح..... ٣٠٠

- ٦١ حق حاضر واحتياط مؤجل..... ٣٠٥
- ٦٢ هل يأمن الناس جانبك؟..... ٣١٠
- ٦٣ ورع الصورة..... ٣١٦
- ٦٤ علم يضبط الخوف، ورحمة تحمل الحق..... ٣١٨
- الباب التاسع: تربية النفس على الورع..... ٣٢٤
- ٦٥ المسافة بين الدافع والفعل..... ٣٢٥
- ٦٦ سؤال قبل أن تتعلق اليد..... ٣٣٠
- ٦٧ ابدأ برد الحق..... ٣٣٥
- ٦٨ عمل واحد له اسم..... ٣٤١
- ٦٩ خَفَّفْ ما يدخل قلبك..... ٣٤٥
- ٧٠ صاحبًا يقول لك الحقيقة..... ٣٥٠
- ٧١ ليس كل انقباض فتوى..... ٣٥٥
- ٧٢ قلب نظيف ويد أمينة..... ٣٥٨
- الفصل التدريبي: الورع في القرار والعمل..... ٣٦١
- كيف تنتفع بهذا الفصل..... ٣٦١
- التطبيق الأول: ما الذي أعرفه فعلاً..... ٣٦٣
- التطبيق الثاني: إذن لا تصنعه كلمة المرور..... ٣٦٤
- التطبيق الثالث: هدية تصل في وقت القرار..... ٣٦٦
- التطبيق الرابع: المبلغ الذي عاد بالخطأ..... ٣٦٨
- التطبيق الخامس: دَيْن وهدية في الشهر نفسه..... ٣٧٠
- التطبيق السادس: عيب تعرفه قبل البيع..... ٣٧٢
- التطبيق السابع: رابط توصية له عمولة..... ٣٧٤
- التطبيق الثامن: صورة وصلت على الخاص..... ٣٧٥
- التطبيق التاسع: حديث جميل بلا أصل ظاهر..... ٣٧٧

التطبيق العاشر: عندما يحمل السؤال جوابه.....	٣٧٩
التطبيق الحادي عشر: سؤال ثان له سبب.....	٣٨١
التطبيق الثاني عشر: مباح يناسب غيرك.....	٣٨٢
التطبيق الثالث عشر: شهادة لا تغني عنها السلامة.....	٣٨٤
التطبيق الرابع عشر: تصحيح يسمعه من سمع الخطأ.....	٣٨٦
التطبيق الخامس عشر: حدود المراجعة بعد البيان.....	٣٨٨
التطبيق السادس عشر: نصيحة تحفظ صاحبها.....	٣٨٩
التطبيق السابع عشر: توبة تبدأ بحق معلوم.....	٣٩١
التطبيق الثامن عشر: عندما تتعارض رغبتان صالحتان.....	٣٩٣
دفتر القرار في صفحة واحدة.....	٣٩٥
مراجعة أربعة أسابيع.....	٣٩٧
تقييم الأداء دون تزكية للنفس.....	٣٩٨
اختبار الانتقال إلى الحياة.....	٤٠٠
خاتمة الكتاب.....	٤٠٢
فهارس النصوص والموضوعات.....	٤٠٤
إحالات النصوص ومصادرها.....	٤٠٤
فهرس القصص والمواقف.....	٤٠٨
فهرس الآيات.....	٤١٠
فهرس الأحاديث والأخبار.....	٤١١
فهرس الآثار وأقوال العلماء والمسائل التطبيقية.....	٤١٤
فهرس المعاني والموضوعات.....	٤١٦
المصادر والمراجع.....	٤١٨

إهداء

إلى من علّمونا، بسيرتهم قبل كلماتهم، أن طيب العيش يبدأ
من طيب المكسب، وأن للحقوق حرمةً وإن غاب أصحابها...
إلى من بقي أثرهم فينا؛ نتذكّر أمانتهم حين نُؤتمن، وصدقهم
حين يصعب الصدق، وعفّتهم حين تمتدّ أمامنا أسباب
الطمع...

وإلى كل من يجاهد نفسه ابتغاء مرضاة الله؛ تضعف به
الخطوة ثم يعود، ويشقّ عليه ترك ما يحبّ، فيتركه رجاء ما
عند ربّه...

نهدي هذه الصفحات، ونسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها،
وأن يجعل لنا فيها عوناً على صلاح قلوبنا وأعمالنا.
هذا الكتاب وقفّ لله تعالى

تأليف وتوزيع مدارج

ولا تنسونا ووالدينا ومن أعان على هذا العمل من دعوة
صادقة.

مقدمة

قد تعرف الصواب، ثم تحتاج إلى شجاعة صغيرة كي تفعله. أن تعيد شيئاً استبقيته عندك طويلاً. أن تقول: أخطأت، قبل أن يضطرك أحد إلى الاعتراف. أن تغلق رسالة فيها ما يفضح إنساناً، مع أنك تستطيع بكلمة واحدة أن تصبح أهم شخص في المجلس. أشياء لا يصفق لها أحد، وربما لم يعلم بها أحد، لكنها تكشف ما استقر في القلب حين غابت عيون الناس. في تلك المسافة بين ما تستطيع فعله وما يرضي الله عنك يعيش الورع.

وقد يأتبك امتحانه من جهة أخرى: تخاف حتى من الواضح، وتعيد ما أديته، وتفتش وراء الحلال عن سبب يمنعك منه. هنا تحتاج إلى علم يضع للخوف حدّاً؛ فالطاعة لا تطلب منك أن تتهم كل نعمة، ولا أن تعيش يومك عاجزاً عن القرار.

هذا الكتاب صحبة في هذين الموضعين: حين تغريك الرغبة فتحتاج إلى وقفة، وحين يحبسك القلق فتحتاج إلى أن تمضي. سنقترب من الورع في لقمة، وكلمة، ومال، وعلاقة؛ ونقرأ مواقف ثبت أصلها، ثم ننظر في أيامنا نحن: ما الذي نأخذه منها، وأين تختلف أحوالنا عنها؟

لن يعفينا صدق المشاعر من معرفة الحكم. وستجد في مسائل المال والحقوق صورًا متشابهة في أسمائها، مختلفة في حقيقتها؛ فما يصح في واحدة قد لا يصح في الأخرى. غاية هذه الصفحات أن تعينك على رؤية موضع السؤال، لا أن تحل محل أهل العلم في واقعة تحتاج إلى تفصيل.

ولعل أعظم ما نرجوه أن يخف ذلك التفاوض الخفي الذي نخوضه مع أنفسنا كلما شق علينا الحق. نعرف أننا أخطأنا، ثم نبحث عن اسم آخر للخطأ. نعرف أن لإنسان عندنا حقًا، ثم ننتظر أن ينساه. نعرف أن الخبر لم يثبت، ثم نتعلل بأن الجميع يتداوله. في كل مرة نستطيع أن نعود؛ فالورع عمل يبدأ من قرارك التالي، وليس لقبًا لا يستحقه إلا من لم يزل قط.

ينتمي هذا الكتاب إلى سلسلة «ولكن شيءٌ وَقَرَ في قلبه» التي تتبع أثر الإيمان حين يدخل تفاصيل الحياة. وسؤاله هنا محدد: كيف يحفظ الإنسان يده ولسانه وماله وحقوق غيره، من غير أن يجعل الاحتياط وسواسًا أو سلماً للحكم على القلوب؟

تبدأ الأبواب بضبط معنى الورع وصلته بالتقوى والزهد، ثم تضعه بين الحلال البين والحرام البين والمشتبه الذي يحتاج

إلى سؤال. وبعد ذلك نراه في السنة ومواقف الصحابة، وفي المال واللسان والعلم، قبل أن نتبين كيف ينقلب الاحتياط آفة إذا فارق العلم أو أضر بالناس. وينتهي الطريق بخطوات تربي النفس على الوقفة الصادقة ورد الحق وقبول المباح من غير قلق. هذا ترتيب للتعلم والعمل، لا سَلَم للحكم على قلوب الآخرين.

لسنا نطلب قلبًا لا يتعب ولا يتردد. نطلب قلبًا يتعلم، وإذا عرف رجع، وإذا اتضح له الحلال قبله بشكر. قلبًا يستطيع أن ينام بعد يومه وفيه رجاء: لقد حاولت أن أكون أَمِينًا فيما قدرت عليه، وسأصلح غداً ما بقي.

وربما يبدأ ذلك كله بأمانة صغيرة ما زالت عندك؛ تعرف صاحبها، وتعرف أول خطوة في ردها، وتحتاج فقط إلى أن تبدأ.

ويضم الكتاب فصلاً تدريبياً مستقلاً، فيه حالات متخيلة وتمارين على صدق السؤال وصيانة الحقوق وضبط القرار، مع تحليل للإجابات وخطة متابعة مرنة. غايته أن يعينك على عمل معلوم، لا أن يمنحك درجة لقلبك أو يغنيك عن سؤال أهل العلم في نازلتك.

الباب الأول: ما الورع؟

١ أن تترك ما تخاف عاقبته

تخيل أنك وجدت في حقيبتك كتابًا استعترته منذ أشهر. تقلبه، فتجد اسم صاحبه في الصفحة الأولى. تتذكر أنه طلبه مرة، وأنت وعدته بإعادته، ثم مضى الوقت. لا تحتاج في تلك اللحظة إلى تعريف طويل للأمانة؛ تعرف صاحب الكتاب، وتعرف أين هو، وتعرف ما عليك. الذي ينقص هو أن تقوم بالفعل الصغير الذي أجلته.

كثير من الورع يبدأ هكذا، في شيء نعرفه قبل أن نتكلم عنه. لكنه لا يساوي كل ترك ولا كل خوف؛ فقد يكون الواجب أن تفعل، وقد يكون الامتناع مجرد عجز أو عادة. مداره أن تعرف ما يحفظ دينك وحقوق الناس، ثم تعمل به.

الورع يحمل معنى النظر في عاقبة الفعل على الدين. يرى الإنسان المنفعة القريبة، ثم يتذكر أنه سيحمل تبعه اختياره. قد يكون ثمن السلامة مألًا يفوته، أو اعتذارًا يشق عليه، أو كلمة يحبسها وهي على طرف لسانه. حينئذ يتعلم أن هناك أشياء يمكنه أخذها، لكن قدرته عليها لا تجعلها حقًا له.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُسَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ
وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ
يُوَاقِعَهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ
كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^١.

يعطينا هذا التقسيم بداية واضحة: نعمل بما ظهر حكمه،
ونتعلم فيما التبس علينا. لا نسوي بين خطأ نعرفه ومسألة لم
نفهمها بعد.

فإذا كنت تعرف أن المال لغيرك، لم تكن حاجتك إلى مزيد من
التفكير في شعورك تجاهه. وإذا كان العقد غامضاً عليك،
احتجت إلى فهمه قبل الإقدام. وإذا كان الشيء مباحاً واضحاً،
بقيت لك سعته. يختلف العمل باختلاف الحقيقة التي أمامك؛
ولذلك ينفعك العلم أكثر من شدة الانقباض وحدها.

وربما كانت أصعب لحظة هي التي تعرف فيها الجواب، لكنك
تتمنى غيره. تبدأ النفس بتصغير الأمر: لن يضر أحداً، والمبلغ

١ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث ٥٢، عن
النعمان بن بشير؛ اللفظ المثبت في الفصل الأول للبخاري. وأصله في صحيح مسلم
١٥٩٩. لا يجعل الحديث كل قلق شخصي سبهاً شرعية.

قليل، والوقت غير مناسب. وقد يكون في العبارة شيء من الصدق، لكنها لا تجيب عن السؤال الأصلي: هل هذا حق؟ هنا تظهر قيمة الوقفة؛ أن تسمع ما تعرفه، قبل أن تغطيه بأعذار تحبها.

ليس كل خوف علامة على خطأ. قد تخاف من الاعتذار مع أنه الصواب، وقد ترتاح إلى منفعة اعتدتها مع أن فيها ظلمًا. فلا تجعل راحتك حجة على الحكم، ولا تجعل تعبك حجة عليه. تعرّف الحق أولاً، ثم أعن قلبك على احتماله.

عد إلى الكتاب الذي تخيلناه. يمكنك أن تضعه قرب الباب كي تعيده، وأن ترسل إلى صاحبه تعتذر عن التأخير. لا تحتاج إلى إعلان أنك أصبحت أشد ورعًا. يحتاج هو إلى كتابه، وتحتاج أنت إلى أن ينتهي التأجيل.

وليس كل عمل أمين يبدأ برد شيء مادي. قالت لك زميلة سرًا إنها تبحث عن بيت قريب من أهلها، ثم وجدتها تفكر في الانتقال وأنت تعرف فرصة تناسبها. تستطيع أن تخبرها بما ظهر لك دون أن تشرح للآخرين سبب اهتمامها. لقد أعطتك من خبرها قدرًا وثقت أنك تحفظه، ولم تأذن لك أن تجعل قصتها مدخلًا إلى حديث المجموعة. قد تجد في كتمان

التفصيل الصغير تربية أصعب من إرجاع الكتاب المنسي؛ فهو خبر تستطيع أن تكسب به انتباه الآخرين في دقيقة.

وحين تتعامل مع أمانة قديمة لا تعرف صاحبها على وجه اليقين، يختلف مسارها عن كتاب عليه اسم واضح. لا تنقل الحكم من الصورة الأولى إلى الثانية. اكتب ما تعرفه عن منشئها، وابحث في الطريق المعقول إلى صاحب الحق، ثم اسأل عن الباقي إن تعذر. لا يطلب منك الكتاب أن تعرف الغيب، بل أن لا تسمي الكسل عن البحث عجزاً. وفي كلتا صورتين توجد نقطة بداية قريبة: رسالة، أو سجل قديم، أو سؤال صادق لمن يعرف.

حين يصل الحق إلى صاحبه، يكون المعنى الذي قرأته قد دخل يومك.

٢ الورع والتقوى

قد ندقق في الطعام الذي يدخل بيوتنا، ثم لا ندقق بالقدر نفسه في الكلام الذي يخرج منها. نحرص على مال حلال، ثم نقسو على من أعطيناه المال. نمتنع عن شيء خفي الشبهة، ثم نوذي إنسانًا بأمر نعرف حرمة. لا يلزم أن يكون هذا نفاقًا أو ادعاء؛ قد يكون نقصًا في النظر، نصلحه حين نراه.

التقوى توسع نظرتنا إلى اليوم كله.

هي أن نتقي سخط الله بطاعته: نفعل ما أمر، ونترك ما نهى. وفي داخل هذه الحياة الواسعة يبرز الورع عند مواضع الكف والحذر مما يضر الدين. قرب المعنيين لا يغني عن معرفة علاقتهما؛ لأن الإنسان قد يعتني بباب يرتاح إليه، ثم يغفل عما هو أثقل عليه من الأبواب.

انظر إلى مثال متخيل من البيت. يدقق أب في مصدر طعام يشتريه لأسرته، ثم إذا اختلف مع ابنه استباح السخرية منه أمام إخوته. عنايته بالطعام خير يحتاج إلى أن يمتد أثره إلى لسانه. لا نطلب منه أن يقل احتياطًا فيما يدخل بيته، بل أن يرى الابن الذي يجلس إلى المائدة: له كرامة أيضًا، والكلمة التي تكسره ليست أمرًا خارج الحساب.

بهذا تحمي التقوى الورع من الانتقاء. تسأل النفس عما تحب محاسبته وعما تحاول استثناءه. ما أسهل أن ننشغل باللحمة، وما أشق أن نعترف بأننا ظلمنا في خصومة! لكن قربنا من الله لا يبنى على الباب الأسهل لطبيعتنا وحده.

وفي نهاية حديث المشتبهات يأتي ذكر القلب وصلاحه. الصلة عميقة: القلب الذي يطلب رضا الله لا يكتفي بالمظهر المنضبط، بل يريد أن يستقيم المقصد والفعل معاً. وربما ظهرت حاجته إلى الإصلاح في الطريقة التي يطلب بها الحق، أو في الضيق الذي يجده حين يقال له إن مخاوفه ليست حكماً على الآخرين.

لذلك كان من تمام التقوى قبول ما أذن الله فيه. قد تختار لنفسك ترك مباح لسبب تعرفه، ويختار غيرك الانتفاع به. ينتهي حق اختيارك عند الحد الذي يبدأ فيه حقه؛ فلا تحمل اختيارك الشخصي على أهلك وأصدقائك كأنه تكليف نزل عليهم. وما دام الأمر مباحاً في حقهم، فليس اختلافهم معك دليلاً على ضعف قلوبهم.

قد تكون لك عناية جميلة بقلة الترفيه، ولطفك حاجة إلى لعب مباح. وقد تقلل من متاعك، ويحتاج أهل بيتك إلى ما لا

تحتاجه أنت. يكتمل النظر حين تسأل عن واجبك تجاههم، لا حين تجعل راحتك أنت المقياس الوحيد لتدين البيت.

وفي البيت الذي يعيش فيه كبير سن قد يكون امتحان التقوى في بطاء الحديث معه. يسأل عن الشيء نفسه مرة ثانية، وأنت تحرص طوال اليوم على ألا يضيع منك مال أو وقت. تستعجل الإجابة بنبرة تجعله يخاف أن يسأل غداً. هنا تذكر التقوى بأن الحقوق لا تقاس بما يدخل الحساب فقط؛ للإنسان حق في الرفق بحسب قدرتك، ولك أنت أن تطلب عوناً إذا أثقلت الرعاية. لا يطلب منك النص أن تنكر تعبك، بل أن لا تصبه على من احتاج إليك.

وإذا ظهر تقصير، فليكن الإصلاح من جنسه. كلمة جارحة يصلحها اعتذار وتغيير في طريقة الحديث، لا شراء هدية تُبقي الجرح بلا تسمية. وتأخير في حق مالي يصلحه بيان وأداء بحسب القدرة، لا زيادة نوافل تهرب بها من مواجهة صاحبه. ليس المقصود التقليل من الهدية أو النافلة؛ المقصود ألا نستعمل خيراً نحبه سائرًا لحق يشق علينا. بهذا تتكامل أبواب التقوى بدل أن يتنافس بعضها مع بعض.

٣ الورع والزهد

قد يقف اثنان أمام الشيء نفسه، ثم ينصرفان عنه لسببين مختلفين. أحدهما لم يتبين له جواز أخذه، والآخر يعلم أنه مباح لكنه اكتشف أنه لا يحتاج إليه. يشبه الفعلان بعضهما من الخارج، غير أن كل واحد منهما يربي في القلب معنى. قال ابن القيم:

«وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة»^٢.

يضعنا الفرق أمام سؤالين: هل يضرني هذا في ديني؟ وما النفع الذي أرجوه منه؟ قد يكون الترك صورتها الظاهرة، لكنه ليس تعريفهما؛ فالسؤال والسبب والمآل هي التي تكشف المعنى. وحين نميز ذلك، يسهل أن نحسن الاختيار دون أن نحكم على اختيارات الناس بغير علم.

٢ ابن القيم، «مدارج السالكين»، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١٢؛ صورة الطبعة، النص الإلكتروني المساند. التعريف منقول فيه عن ابن تيمية، وليس اجتهداً منسوباً إليه في واقعة معاصرة.

وقد يلتقي المعنيان في ترك شيء مباح: يتركه المرء لأنه لا ينفعه، ويترك بعضه أيضًا لأنه يعرف من حاله أن الاسترسال فيه يجره إلى مكروه أو محرم. فالعبرة بسبب الترك ومآله، لا باسم الشيء وحده. ويبقى أصل المباح مباحًا؛ فلا يجعل تجربته تحريمًا على غيره.^٢

تخيل خزانة امتلأت بأشياء صالحة لا يستعملها صاحبها. يرى شيئًا جديدًا يعجبه، ثم يكتشف أنه يطلب شعور الاقتناء أكثر مما يطلب الشيء نفسه. قد يعدل عن شرائه، ويكتفي بما عنده. لم يجد شبهة في ثمنه ولا في بيعه؛ إنما أراد أن يخفف ما يستولي على اهتمامه. هذا مثال يقرب معنى الزهد في الفضول.

وفي بيت آخر شيء مستعار يريد أهله استعماله في غير ما أذن به صاحبه. سؤا لهم هنا يتعلق بحدود الإذن والحق، لا بمدى بساطة حياتهم. قد تكون الحاجة إلى المتاع حقيقية، ومع ذلك لا تغني الحاجة وحدها عن معرفة ما أذن به مالكه. هذا أقرب إلى الموضع الذي يستدعي الكف والتبين.

٣ خالد بن عثمان السبت، «أعمال القلوب»، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ج ١، باب الورع، ص ٣٥٢-٣٥٣، ثم ص ٣٦٥ و ٣٨١-٣٨٢. محل الإفادة صلة بعض المباحات بالورع باعتبار المآل؛ ولا يجعل المباح محرماً في أصله أو تجربة فرد حكماً عاماً.

لن نخبرنا بساطة الثوب وحدها بما في قلب صاحبه. قد تكون اختياراً هادئاً، أو ضرورة، أو عادة نشأ عليها. وكذلك سعة المال لا تكشف وحدها عن التعلق به. إنسان واسع الرزق يؤدي الحقوق ويحسن الانتفاع، وآخر قليل المال يشغله التطلع إلى ما عند غيره. لا نملك السرائر، ولا يغنينا النظر إلى المتاع عن النظر إلى الأمانة.

وهذا ينفعك عند قراءة أخبار الزهاد. تأخذ منها ما يعينك على حرية القلب من التعلق، ثم تسأل عما يناسب واجبك وحالك. لا تنقل مقدار نفقة شخص إلى بيت مختلف، ولا تحمل أهلك على حاجتك أنت. وقد تكون العناية بأداة نافعة أو مسكن مناسب جزءاً من حسن القيام بالمسؤولية، لا انصرافاً عنها. أما امتحانك الأقرب فقد يكون في شيء لا يعرفه أحد: كم من وقتك يأخذه طلب ما لا تحتاج؟ وكم مرة أردت أن تظهر للناس أنك تستغني عما يحبون؟ حتى الاستغناء يحتاج إلى إخلاص؛ فقد نترك المتاع ونبقى مشغولين بصورة أنفسنا عند من يملكونه.

في مساء الانتقال إلى منزل جديد، تقف أسرة أمام صناديق لم تفتح منذ انتقالها السابق. فيها أدوات صالحة، وثياب بمقاسات تغيرت، وهدايا لم تجد وقتاً للاستعمال. لا يلزمها أن

تتخلص منها لتثبت فضيلة الزهد؛ يمكنها أن تعيد بعضها إلى الاستعمال، وتهدي ما يصلح لمن يحتاجه بإذن أصحابه، وتحفظ بما له ذكرى أو منفعة. يختلف أن تملك شيئاً نافعاً عن أن يملكك القلق كلما غاب عن عينك.

وقد تنشأ رغبة التخلص من المتاع في وقت تتولى فيه رعاية أحد أفراد البيت. هنا يكون السؤال: هل سيرحيه التخفيف أم يحرمه شيئاً يحتاج إليه؟ قرار الاستغناء الذي يخص خزانتك أوسع من قرار يخص أدوية غيرك وأدواته وخصوصيته. لا تستعمل كلمة الزهد لتسكت احتياج من لا يستطيع أن يقرر معك. الحرية من التعلق تُختبر أيضاً في استعدادك لأن تبقي شيئاً لا تحتاجه أنت لأن غيرك ينتفع به بحق.

وقد تكشف مراجعة بسيطة أن كلفة الشيء ليست ثمنه وحده. هناك وقت للصيانة، ومكان للتخزين، وانتباه يتوزع بين ما تملك. هذه موازنة منفعة لا فتوى على المتاع. حين تراها تستطيع أن تختار بوعي: أحتفظ بما يؤدي وظيفة، وأخرج ما لا أستعمله بطريقة تحفظ حقه، وأؤجل شراء ما يعيد الفوضى نفسها. يصبح التخفف ترتيباً للوسائل، لا مسابقة في قلة الممتلكات.

ويظهر الفرق بين الورع والزهد عند امتلاك الشيء لا عند فقدته فقط. قد يملك الإنسان مالاً أو أداة نافعة، فيستعملها بحق ويمنعها من أن تملك قلبه. وقد لا يملك شيئاً، لكنه يظل متعلقاً به في خياله، يقيس الناس عليه ويتحسر كلما رآه. قلة الموجود لا تكفي وحدها لسلامة التعلق، وكثرة الموجود لا تثبت وحدها فساد القلب.

لذلك اسأل عن طريقة الاستعمال: هل تؤدي حق النعمة؟ هل تستطيع تركها إذا تعارضت مع واجب؟ هل تشكر من غير استعلاء، وتفقد من غير انهيار؟ هذه الأسئلة أقرب إلى التربية من عد الأشياء. والزهد النافع لا يحتقر ما خلق الله للعباد؛ يضعه في اليد ويمنعه من أن يصير ميزان الكرامة.

وقد يكون ورعك في الشيء أن تعرف مصدره وحقه، ثم تنتفع به مطمئناً. ويكون زهدك أن لا تجعل ازدياده غاية يومك. يجتمع المعنيان حين يكون الكسب نظيفاً، والاستعمال معتدلاً، والفقد محتملاً، والعطاء ممكناً. ويفترقان حين يطلب أحدهما حكم المصدر ويطلب الآخر تحرير القلب من الاستعباد.

٤ الورع والاحتياط

قبل سفر عائلي، يتفق المشاركون على النفقة: من سيدفع؟ وما الذي يشمل المبلغ؟ وكيف تعاد الزيادة؟ لا يفسد هذا الوضوح فرحة الرحلة. إنه يوفر على أصحابها عتَبًا قد ينشأ بعد العودة، حين يظن كل واحد أن الاتفاق كان شيئًا مختلفًا. هذا مثال من الحياة على احتياط له سبب معروف ونهاية معروفة.

نحتاج إلى مثل هذا الاحتياط؛ يسبق موضع النزاع ويعين على حفظ الحق. والاحتياط هنا وسيلة محددة، لا اسمًا آخر للورع كله: له سبب يمكن وصفه، وإجراء يناسبه، وعلامة ينتهي عندها.

في الحديث الذي سنقرؤه كاملاً في الفصل الثامن عشر، تتجه وصية النبي ﷺ إلى الخروج من الريبة المعتبرة إلى الأوضح؛ فالوقفة تؤدي وظيفة، ثم تفتح طريقًا تستطيع أن تسلكه. أما

٤ جامع الترمذي ٢٥١٨، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. الدلالة على الانتقال من ريبة معتبرة إلى الأوضح؛ لا على جعل كل قلق نفسى حكمًا شرعيًا.

أن يبقى الإنسان معلقًا بين احتمالات لا تنتهي، فذلك يحتاج إلى نظر آخر.

يبدأ الاحتياط النافع بمعرفة الخطر الذي نحاول اتقاءه. صورة خاصة لم تعرف رضا صاحبها عن نشرها، أو متاع لم يتضح الإذن في استعماله، أو اتفاق يحتمل فهمين. في كل مثال تستطيع أن تقول ما الذي ينقصك، وأن تبحث عما يزيل النقص. ما إن يأتي البيان الكافي حتى يتغير موقفك؛ لأن سبب الوقفة قد تغير.

وقد نحب كلمة الاحتياط لما تمنحنا من راحة: نشعر أننا فعلنا ما هو أسلم، دون أن نفحص أثره كاملاً. لكن من يحتاط لا يعيش وحده. ربما حفظ باختياره جانباً وأضر بجانب آخر؛ وربما كان الشيء الذي تركه من حق غيره، فلم يكن مخيراً في تركه أصلاً.

تخيل أن شخصاً جمع مال أصدقائه لمهمة محددة، ثم طال تأخيرها في إعادته بعد انتهاء المهمة، وهو يراجع الحساب نفسه كل مرة بلا واقعة جديدة. حرصه على سلامة الحساب مفهوم، غير أن بقاء المال عنده له أثر أيضاً. يستطيع أن يوضح موضع الخلاف إن وجد، وأن يؤدي ما استقر، وأن

يستعين بمن يحسن المراجعة. المهم أن يصير التثبت طريقًا إلى أداء الأمانة، لا سببًا مفتوحًا لتعليقها.

هنا نحتاج إلى الفقه: ما الذي يلزم معرفته فعلاً؟ وما الذي لا يغير الحكم؟ وما المفسدة التي قد يصنعها اختياري؟ لا تجيب شدة الخوف عن هذه الأسئلة. وقد يبين المختص أن وصفًا صغيرًا تركناه يغير المسألة، أو أن احتمالًا شغلنا لا أثر له في صورتها.

وفي سفر الدراسة تصل طالبة إلى سكن مشترك. تتفق مع زميلاتها على خزانة للطعام وعلى أشياء يستعملها الجميع. إذا كانت قاعدة المشاركة واضحة، فلن تحتاج كل صباح إلى رسالة تستأذن فيها عن ملعقة. وإذا كان شيء خاصًا بإحدهن، فلن تنفعه تسمية «متاع السكن». سؤال واحد في أول الأسبوع يوفر عشرات اللحظات المربكة. الاحتياط هنا ترتيب مشترك يجعل الحياة أخف، وليس ظنًا دائمًا بأن زميلاتها يضمنن لها سوءًا.

وقد تكشف الممارسة أن القاعدة الأولى لم تكن كافية: إحدهن تحتاج إلى طعام محدد، أو أخرى لا تريد مشاركة دوائها. تُعدل القاعدة مع أصحابها، ولا تحاكم كل استعمال سابق على معلومة لم تكن معلنة. بهذه المرونة يصير

الاحتياط حيًّا؛ يتعلم من الواقع، ويعرف متى أدى غرضه. وإذا التبس حكم عينٍ أو حق، تُطلب المعلومة التي تحسمه بدل توسيع الشك إلى السكن كله.

ولكل احتياط نافع علامة خروج. قبل أن تبدأ، قل: سأتوقف حين يصلني رد صاحب الحق، أو يراجع المختص هذا البند، أو تتم المطابقة مرة وفق القائمة. إذا لم تحدد العلامة، استطاع الخوف أن يطلب مراجعة جديدة كلما هدا أثر السابقة. ليست نقطة التوقف تهاوئًا؛ هي جزء من تصميم الاحتياط، مثلما أن موعد التسليم جزء من جودة العمل. وإذا تغيرت الواقعة فعليًّا، تفتحها من موضع التغير، لا من الصفر.

وحين ينتظر غيرك معك، أخبره بسبب الوقفة وما الذي ينهيها. قد يطمئن إلى تأخر له سبب، ويضيق بتعطيل لا يعرف آخره. الاحتياط الذي يصون العلاقة يحتاج إلى وضوح، وإلى استعداد لأن تمضي حين يتبين الأمر؛ فالقلوب التي ائتمنتك على مالها ائتمنتك أيضًا على ألا يطول انتظارها بلا حاجة. ولا يلزم أن يكون القرار كله قبولًا أو رفضًا. قد تستطيع أداء الجزء المتفق عليه، وتأجيل الجزء المختلف فيه، وتوثيق ما بقي. هذه التجزئة نافعة في الحسابات والعقود والمهمات المشتركة؛ فهي تمنع نقطة غامضة من حبس حقوق واضحة.

لكنها لا تصلح حيلة لتفتيت ما هو وحدة واحدة في حقيقته.
لذلك يبقى وصف المختص وصاحب الحق حاضراً، ولا تكفي
براعتنا في التقسيم.

٥ الورع والوسواس

قد تنتهي من العبادة، ويبقى في نفسك سؤال لا ينتهي. هل فعلت؟ هل نسيت؟ هل يكفي ما فعلت؟ تعود لتطمئن، ثم تعود الحاجة إلى الاطمئنان. ويزيد التعب إذا وجدت من يقول لك في كل مرة: أعد، فالاحتياط خير.

الوسواس ليس ورعًا زائدًا ولا احتياطيًا أحكم؛ إنه يكرر طلب الطمأنينة بعد البيان من غير واقعة جديدة. وفي هذا الموضع قد يكون اتباع الحكم في مواصلة الطريق.

جاء عن عم عباد بن تميم رضي الله عنه:

«أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلُ الَّذِي يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ. فَقَالَ لَا يَنْفَتِلْ - أَوْ لَا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا».

المعنى هنا حاسم: الشك العابر لا يهزم اليقين السابق. لو كان كل احتمال بابًا للاحتياط، لأصبحت العبادة نفسها ساحة إعادة لا تنتهي.

٥ صحيح البخاري ١٣٧، كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، عن عبد الله بن زيد. الأمر بعدم الانصراف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا في شك الحدث أثناء الصلاة؛ لا يستعمل لنفي قريبه حسية متيقنة أو حكم باب آخر.

الورع يسأل حين توجد شبهة، ثم يعمل بما تبين. أما من يعاني وساوس قهرية فقد تتكرر لديه الحاجة إلى السؤال رغم معرفته بالجواب، طلباً لطمأنينة لا تدوم. هذا الوصف لا يعني أنه يرفض العلم عمداً أو أن إيمانه ضعيف؛ فالاضطراب القهري يحتاج إلى فهم وعلاج مناسبين، ولا يُشخص من موقف واحد.^٦

قد يكون الخوف شديداً، ومع ذلك لا يضيف إلى الواقعة دليلاً جديداً. وهذه نقطة شاقة على النفس: أن تترك ما اعتادت طلبه من إعادة الفحص، وأن تقبل أن الشعور قد يتأخر عن معرفة الحكم. لا يلزم من بقاء الانقباض أن الجواب الذي تعلمته صار خطأ، أو أن الطاعة لم تقع.

والفرق الذي نبحت عنه يتصل بما تغير في الحقيقة. إن ظهرت معلومة مؤثرة لم تكن تعرفها، فلها سؤالها. وإن عاد الخاطر نفسه بعد الجواب، فلا يصبح جديداً لمجرد أنه عاد

٦ المعهد الوطني للصحة النفسية بالولايات المتحدة، الوسواس القهري: الأفكار غير المرغوبة والسلوك المتكرر، فقرات التعريف والأعراض والتشخيص والعلاج؛ قوبلت في ٤ أكتوبر ٢٠٢٦. الراحة المؤقتة بعد التكرار لا تكفي للتشخيص، والخطأ يحددها المختص. مرجع لوصف الاضطراب لا لتقرير حكم شرعي، ولا يغني هذا الوصف عن التشخيص والعلاج لدى المحص.

أشدَّ إلحاحًا. في الأول تبحث عن بيان ناقص، وفي الثاني قد يكون البحث المتكرر جزءًا من التعب نفسه.

لهذا لا يصلح أن نجعل صفحات الورع قائمة جديدة للتفتيش في كل شيء. من يقرأ عن الأمانة لا يلزمه أن يتهم كل مال عنده بلا سبب. ومن يقرأ عن الإخلاص لا يجعل كل حركة امتحانًا يستحيل اجتيازه. المقصود إصلاح ما ظهر من خلل، واتباع ما تقرر من حكم، دون اختراع تهمة لكل فعل.

ومن الرحمة بمن يعاني شكوكًا قهرية ألا نقول له: زد احتياطًا. قد يحتاج إلى علاج يساعده على مقاومة طقوس إعادة الفحص تحت إشراف مختص، مع تعلّم الحكم الشرعي في موضع الشك. طلب المساعدة لا يضعف الورع؛ قد يكون هو الطريق إلى عبادة أهدأ وأصح.

ولمن يعيش معه دور يحتاج إلى رفق وعلم. لا تجعل شدة قلقه مقياسًا لصدق إيمانه، ولا تصف ما يعانيه بأنه عناد لمجرد أنك أجبت من قبل. وفي الوقت نفسه، لا تحول كل حديث بينكما إلى فحص جديد. تبقى الاستعانة بالمختص في موضع الحاجة أهدى من اجتهد الأسرة في زيادة الطقوس والقيود.

وقد يحتاج من يعاني هذا التعب إلى خطة مشتركة لا إلى موعظة عابرة. يعرف فيها ما سيفعله عند حضور الخاطر، ومن يسأل عند التغير الحقيقي، وكيف يقيس أثر التكرار في وقته وصلاته وعمله. وضع الخطة من شأن المختصين بحسب الحال؛ وما يهمنا هنا أن الالتزام بها قد يبدو في بدايته أشد من الاستجابة للشك. الراحة السريعة تأتي من الإعادة، أما التعافي فيتعلم أن يمر الخاطر من غير أن يقوده. وفي لغة من حولك فرق كبير بين أن يقولوا: «لا شيء بك»، وبين أن يقولوا: «نعرف أن الخوف حاضر، وسنساعدك على اتباع ما تعلمته». الأولى قد تلغي معاناته، والثانية تعترف بها من غير أن تمنحها سلطة الحكم. الرحمة لا تعني الدخول في كل تفصيل يطلبه القلق، كما أن وضع الحد لا يعني القسوة. قد يجتمع في الجملة الواحدة صدق الشعور وثبات المسار. يكفي هنا أن يستقر الفرق: شبهة لها سبب يُطلب بيانها، وشك يتكرر بعد البيان فيحتاج إلى طريقة أخرى في التعامل معه. وسيأتي في الفصل ٥٧ ما يقرب ذلك من يوم من أنهكته إعادة الموضوع. أما الآن فاحفظ لنفسك هذا المعنى الرحيم: اتباع الحكم لا يشترط أن يهدأ شعورك كله في اللحظة نفسها.

٦ درجات الورع

قد تقرأ عن إنسان ترك شيئاً كثيراً، فتستصغر عملك كله. تتمنى لو استطعت أن تفعل مثله، ثم تغفل عن أمر يسير تعرف أنه لازم لك. تضع البداية القريبة لأنك شغلت بالنهاية البعيدة.

وقبل الحديث عن الدرجات، نميز أصلاً لازماً من كمال زائد: أداء الواجبات واجتناب المحرمات ليسا اختياراً خاصاً بأهل المقامات. ويزيد عليهما ورع مستحب، كترك المكروه، والتنزه في مواضع اشتباه معتبرة بحسب دليل كل صورة. وليس كل ما سمي احتياطاً مستحباً؛ فقد يضيع واجباً أو يجر إلى وسواس، فيفوت مقصوده.^٧

ينقل ابن القيم في شرح منزلة الورع من «منازل السائرين» هذه الدرجات، ثم يشرحها ويناقش معانيها:

«وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: تجنب القبائح لصون النفس. وتوفير الحسنات. وصيانة الإيمان».

٧ السبب، «أعمال القلوب»، ج ١، ص ٣٦١-٣٦٧. يميز الموضع بين أصل واجب وورع مستحب، ثم يعرض تقسيمات للورع؛ ولا ينسب التقسيم نفسه إلى ابن القيم، ولا يجعل كل احتياط مستحباً.

«الدرجة الثانية: حفظ الحدود عند ما لا بأس به، إبقاء على الصيانة والتقوى. وصعودًا عن الدناءة. وتخلصًا عن اقتحام الحدود».

«الدرجة الثالثة: التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت. والتعلق بالتفرق. وعارض يعارض حال الجمع».^٨

تبدأ هذه العبارات بصيانة النفس عن القبائح، ثم تتجه إلى حفظها مما يعرضها لتجاوز الحدود، ثم إلى جمع الوقت والقلب على المقصد النافع. وهي درجات في تربية السلوك، لا جدول أحكام يلزم به كل إنسان. والفرق مهم بين متن الهروي وشرح ابن القيم له؛ فلا ننسب كل عبارة في التقسيم إلى الشارح، ولا نجعل الترك الشخصي تحريمًا للمباح على الناس. وتأتي عناية الإنسان بما يعرف من نفسه. قد يجد أن بابًا مباحًا يستولي على وقته، فيقلل منه. وقد يبتعد عن مجال لا يحسن تفاصيله حتى يتعلم. في هذه المساحة ينتفع بمعرفة

٨ ابن القيم، «مدارج السالكين»، تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٢٢-٢٩، والدرجات الثلاث خاصة في ص ٢٦-٢٩؛ صورة الطبعة، مع عروض إلكترونية مساندة للأولى، والثانية، والثالثة. التقسيم متن للهروي يشرحه ابن القيم ويناقش بعض عباراته، وليس نظام درجات تشريعيًا ملزمًا.

حاله، ويحفظ للناس أحوالهم المختلفة؛ فلا تصبح تجربته الخاصة حكمًا عليهم.

تخيل قارئًا يحذف تطبيقًا لأن دقائق استعماله تمتد كل ليلة حتى يضيع عليه وقت يحتاج إليه. يستطيع أن يشرح ما فعله بصدق: هذا أنفع لي الآن. لا يحتاج إلى أن يجعل كل مستخدم مقصرًا كي يكون لاختياره قيمة. ربما استعمله غيره في حاجة، ووضع له حدًا يقدر عليه.

ويتغير النظر حين تتعلق باختيارك حقوق الآخرين. ما تتنازل عنه من مالك قد لا تملك التنازل عنه من مال مشترك، وما تستغني عنه لنفسك قد يحتاج إليه من تلزمك رعايته. كل اتساع في المسؤولية يستدعي اتساعًا في الفقه؛ فلا تحمل الناس كلفة تربية نفسك بغير حق.

وفي شرح ابن رجب لحديثي المشتبهات و«دع ما يريبك» ما يعين على فهم الوقفة عند الشبهة والاستبراء للدين. نأخذ منه هذا الضبط، ونبقي تقسيم الدرجات منسوبًا إلى موضعه الذي يشرحه ابن القيم، دون خلط بين البناءين.^٩

٩ ابن رجب، «جامع العلوم والحكم»، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج ١، شرح الحديث السادس ص ١٩٣-٢١٤، وشرح الحديث الحادي عشر ص ٢٧٨-٢٨٦، وبخاصة ص ٢٨٣-٢٨٤؛ صورة الطبعة،

وبعد أشهر قد تصبح أكثر خبرة، فتجد نفسك أقل ميلاً إلى
الريبة العامة وأسرع في تمييز العقد الغامض من العقد
الواضح. لعل هذا تقدم حقيقي وإن لم يكثر عدد الأشياء التي
رفضتها. لا نقيس الدرجة بكمية الامتناع وحدها؛ ننظر إلى أن
يكون الحكم أقرب إلى الدليل، والقلب أهدأ عند المباح، والحق
أسرع إلى صاحبه. وإذا تغيرت مسؤوليتك، تجدد تعلمك؛
فمسؤولية ميزانية الغير أوسع من اختيارك من مالك الخاص.
من أجمل ثمرات التقدم أن تقل حاجتك إلى مدح نفسك به.
يراك صاحب الحق أسرع إلى أدائه، ويراك أهلك أعدل، وتجد
في علمك ما يمنعك من إلزامهم بكل ما تختاره لنفسك.
ويمكن ترتيب التدريب في ثلاثة ميادين متتابعة. ابدأ بحق
ظاهر تعرفه: موعد تلتزم به، أو مال ترده، أو كلمة تتوقف عن
نقلها. ثم انتقل إلى موضع مشتببه له طريق سؤال واضح.
وبعد أن تتعلم الوقفة والسؤال، راقب المباح الذي يستهلك
قلبك أو وقتك، فضع له قدرًا يناسبك. هذا الترتيب يبني

وعرضا الحديث السادس والحديث الحادي عشر. في الثاني يضبط العمل بالرخصة
إذا عارضها دليل ثابت أو عمل الأمة، ويذكر مثال يقين الطهارة وشك الحدث.
الإحالة إلى الشرح، ولا تتضمن اعتماد جميع الأخبار التي يوردها.

المهارة من الخارج إلى الداخل، ولا يتركك تتحدث عن صفاء الوقت وأنت تؤخر واجبًا ظاهرًا.

في كل ميدان اسأل عن ثمرة يمكن رؤيتها. في الحقوق تكون الثمرة سرعة الأداء ووضوح الحساب. وفي المشتبهات تكون دقة السؤال والقدرة على العمل بعد البيان. وفي المباحات تكون حرية القلب من التعلق، مع بقاء اللسان شاكراً لا محتقراً. إذا غابت الثمرة، فربما انشغلنا بصورة الدرجة عن حقيقتها.

وقد يتقدم الإنسان في باب ويتأخر في آخر. يحسن ضبط ماله، لكنه يندفع في الكلام. أو يلين في حقوق الناس، لكنه يضيق على نفسه في المباح. الاعتراف بهذا التفاوت يمنع بناء صورة كلية زائفة: لست مضطراً إلى أن تصف نفسك بالورع أو بنقيضه؛ صف الموضع الذي يحتاج عملاً، وابدأ منه. التسمية العامة قد تريح النفس، أما الإصلاح فيحتاج فعلاً محدداً.

٧ متى يكون الترك عبادة؟

يمكن أن يمتنع إنسانان عن الحديث في مجلس واحد. يسكت الأول لأنه لا يعرف حقيقة الخبر، ويسكت الآخر عن بيان يلزمه لأن في الكلام كلفة يخشاها. الحركة الظاهرة واحدة، وما يطلب من كل منهما مختلف.

يحتاج الترك إلى معرفة حكم الفعل، ثم إلى النظر في النية والحقوق. إذا عرفت أن الله حرم شيئاً، فتركته تعظيماً لنيهه وطلباً لرضاه، كان ترك عبادة. أما مجرد عدم الفعل فلا يكفي وحده للحكم بأن صاحبه متورع لله؛ فقد يتركه لأنه لا يرغبه أو لا يقدر عليه.^{١٠} وإذا بقي اشتباه معتبر، كان للتوقف والاستبراء موضعهما. وإذا كان مباحاً واضحاً، جاز أن تتركه لحاجة في نفسك أو تربية لها، مع إبقاء حكمه على ما هو عليه.

والنية الصالحة لا تغير حقيقة التصرف. من أراد الخير بترك نفقة واجبة لم تصبح النفقة اختيارية. ومن أثر راحته فسكت

١٠ خالد بن عثمان السبت، «أعمال القلوب»، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ج ١، ص ٣٥٤، ٣٧٦؛ في كون الورع من أعمال القلب وأثر القصد في الترك. الصفحات من النسخة المصورة.

عن شهادة يلزمه أداؤها لم يصبر صمته محمودًا لأنه سماه سلامة. قبل سؤال: لماذا أريد أن أمتنع؟ يبقى سؤال: ما الذي يلزمني هنا؟

قرب المعنى بمثال متخيل من صداقة. نقل شخص كلامًا أضر بصاحبه، ثم تبين له خطؤه. أراد أن يتوقف عن الحديث في الموضوع كله، لئلا يدخل في جدال. قد يكون ترك الجدل حسنًا، لكن أثر نقله ما زال قائمًا. يحتاج إلى تصحيح ما أفسده في موضعه؛ فلا يغني صمته الجديد عن هذا العمل. وقد يترك الإنسان مباحًا ثم يبقى مشغولًا بمن يراه تاركًا له. كان يريد أن يخفف تعلقًا، فنشأ تعلق آخر: أن يعرف الناس مقدار استغنائه. لهذا يأتي فحص النية برفق وصدق، دون تفتيش مرهق في كل خاطر. تسأل نفسك عن مقصدك، وتجدد طلب رضا الله، وتمضي في العمل الصحيح.

لا تحتاج غالبًا إلى إعلان اختياراتك الشخصية. إن اعتذرت عن مجلس لا يناسب حالك، فلا يلزم أن تجعل اعتذارك درسًا في تقصير الحاضرين. وإن قللت مشترياتك، فلا يلزم أن تحاكم بيوت الآخرين. يظل لك نفع الاختيار دون أن تضيف إليه أذى المقارنة.

ومن الصدق أيضًا أن تسمي السبب العادي باسمه. قد لا تسافر لأن الوقت لا يناسبك، أو لا تشتري لأن المال لا يكفي، أو لا تحضر لأنك متعب. لا تحتاج كل راحة إلى لقب شرعي يرفعها في أعين الناس. وباب النية الصالحة واسع، لكنه لا يدعونا إلى تجميل صورتنا بما لم يقع.

حين يشق عليك ترك أمر تحبه، تذكر ما تريد حمايته. ربما تحفظ دينك من محرم، أو حقًا من الضياع، أو وقتًا تحتاج إليه في واجب. وضوح الغاية يعين على احتمال الفوات، دون أن يحوله إلى وعد بأن كل ما تركته سيعود إليك في صورة مكسب دنيوي أكبر.

حين يمرض قريب لك، قد تخطر لك فكرة أن تقلل زياراتك لتحفظ وقتًا لأعمال صالحة تحبها. لا تسارع إلى تسمية ذلك زهدًا في المجالس؛ انظر أولاً إلى حاجته الفعلية وإلى من يقوم معه. ربما تكفيه مكالمة صادقة في يوم، وربما يكون وجودك في ساعة حرجة أحب إليه وأنفع مما كنت تنوي لنفسك في تلك الساعة. لا يراد بالمثال حكم واحد على الزيارة في كل حال، بل أن لا تجعل اسم الترك يحجب عنك إنسانًا له حق أو حاجة.

وقد يقع العكس: يأتيك طلب حضور متكرر يستنزف طاقتك ويجعلك تقصر في واجب قائم. تستطيع أن تضع حدًا مهذبًا، وأن تعرض بديلاً تقدر عليه. حين تعرف ما يلزمك وما تملكه، لا تحتاج إلى صناعة بطولة من رفضك ولا إلى اعتذار طويل عن عجزك. العبادة ليست شكل الامتناع وحده؛ قد تكون في وفاء الوعد الذي قطعته، أو في صدق الحد الذي تذكره قبل أن تعد.

وينفع بعد الترك أن تبني بديلاً، لأن الفراغ يعيد العادة القديمة. من ترك مجلساً يؤدي فيه الناس احتياج إلى صحبة أو موضوع يملأ وقته بخير. ومن أغلق باب شراء اندفاعي احتياج إلى طريقة ينتظر بها ويقارن حاجته. ومن امتنع عن رد غاضب قد يكتب جواباً يؤخره حتى يهدأ. الترك الذي يعرف الخطوة التالية أقدر على البقاء من قرار يعيش على قوة اللحظة وحدها.

وقبل أن تجعل الترك عبادة، راجع أربعة أمور تعينك على فهم اختيارك: أن يكون المتروك مما تملك تركه، وأن يقصد به وجه صحيح، وأن لا يضيع حقاً، وأن لا تنسب إلى الشرع منعاً لم يثبت. قد يستقيم القصد ويختل الحق، أو يصح الترك لنفسك وتخطئ حين تلزم به غيرك. مراعاة هذه الأمور تحفظ العمل من أن تكون صورته أسبق من علمه.

ومن المهم أن تعرف مدة الترك. قد تترك عادة شهرًا لتستعيد ضبطها، أو تؤجل شراء حتى يتضح حسابك، أو تنسحب من مجلس يكثر فيه الأذى. تحديد المدة أو علامة المراجعة يمنع الوسيلة من أن تتحول إلى حكم دائم لم تقصده. إذا تحقق المقصد، نظرت من جديد بدل أن تواصل بقوة العادة.

والترك الذي يريْبُكَ ينبغي أن يزيد قدرتك على الواجب. إذا قللت السهر، فثمرة ذلك صلاة وعمل وخلق أحسن. وإذا تركت جدالًا، فثمرة ذلك حفظ لسان ووقت، لا انتقال إلى جدال آخر في الخفاء. انظر إلى ما ملأ الفراغ؛ فالفراغ الذي لا مقصد له قد تستولي عليه عادة أشد.

وأخف من ترك ما لا تحتاج إلى إظهاره، لكن لا تكذب ولا تضر من يتعامل معك. قد يحتاج أهل البيت أن يعرفوا أنك غيرت ميزانية أو طعامًا مشتركًا. الإخلاص لا يعني أن تجعل قرارك لغزًا على أصحاب الحقوق. العبادة هنا تجمع صدق النية ووضوح المعاملة.

٨ دَعُ مَا يَرِيْبُكَ

في مثال متخيل من أيام الدراسة، تصل إلى طالبة قبيل الاختبار رسالة فيها ملف، ويقال إنه يحمل الأسئلة المقبلة. لا تعرف هل أتاحه المعلم للمراجعة أم خرج بغير إذن. والوقت ضيق، وزميلاتها يتحدثن عنه كأن مصدره لا يهم.

قد يبدأ التبرير قبل أن يبدأ السؤال: لن أستخدمه إلا قليلاً. ربما كان منشوراً للجميع. لماذا أتأخر عن غيري؟ غير أن شيئاً واحداً لم يتغير وسط هذه العبارات: مصدر الملف لم يتضح.

هنا تستطيع أن تتوقف عن فتحه، وتسأل عن مصدره، وتواصل المذاكرة من المادة المعلنة. لديها طريق واضح تعمل فيه، إلى أن يتبين لها أمر الطريق الآخر. لا تحتاج إلى تعطيل ليلتها كلها بسبب ملف واحد.

يدعوننا حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، الآتي بتمامه في الفصل الثامن عشر، إلى الانتقال من الريبة المعتبرة إلى الأوضح. " وهذا يفتح أمام الإنسان عملاً يستطيع أن يمضي

١١ جامع الترمذي ٢٥١٨، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. الدلالة على الانتقال من ريبة معتبرة إلى الأوضح؛ لا على جعل كل قلق نفسى حكماً شرعياً.

فيه؛ فليس المقصود أن يسكن عند كل احتمال، بل أن يطلب البيان ثم يحسن الاختيار.

قد يكون المريب خبرًا لم يثبت، والأوضح أن تكف عن نقله. وقد يكون بندًا لم تفهمه، والأوضح أن تطلب تفسيره قبل الالتزام. وقد يكون حقًا تعرف صاحبه، والعمل اللازم أن تؤديه؛ فلا تحتاج إلى انتظار شعور خاص كي تبدأ. تختلف الوقائع، ويبقى صدق النظر إليها أصلًا مشتركًا.

ولا يصير الأمر مريبًا شرعًا لمجرد أنك لم تألفه. لهذا لا نستعمل الوصية لإعطاء القلق سلطة تحريم ما أحل الله. إذا تبين أن الملف مادة مراجعة أتاحها المعلم للجميع، تغيرت الصورة. وإذا ثبت أنه مسرب بغير إذن، لم يعد الكلام عن حسن فرصته جوابًا عن الخطأ فيه.

أصعب ما في المثال ليس معرفة السؤال، بل طرحه قبل أن تتعلق النفس بالمكسب. يسهل أن تستشير وأنت بعيد عن المنفعة، ويثقل أن تستشير بعد أن رتبت آمالك عليها. لذلك تفيدك الوقفة المبكرة: قبل فتح الملف، وقبل إرسال الخبر، وقبل أن يصبح الرجوع مكلفًا بسبب ما فعلته.

لكن الباب يبقى مفتوحًا إن تأخرت. قد تتبين لك حقيقة لم تكن تعرفها بعد أن بدأت. حينها تنظر فيما يلزمك من توقف

أو تصحيح، وتسأل عن أثر ما وقع. خطأ البداية يفتح باب التصحيح، والندم يصدق حين يحمل صاحبه إلى إصلاح يقدر عليه.

عد إلى تلك الليلة المتخيلة. ما زال أمام الطالبة اختبار، وما زالت تحتاج إلى أن تجتهد. اختيار الطريق الواضح لا يضمن لها الدرجة الأعلى؛ يحفظ لها صدق ما تبذله، ويجنبها أن تبني أملها على أمر لم تعرف سلامته. وهذه فائدة تستحق أن ترى، حتى حين لا يراها من يقارنون النتائج وحدها.

قد تعرض عليك فرصة نافعة ويحتاج قرارها إلى وقت: مسابقة تتيح مشروعًا دراسيًا مشتركًا، لكن وصف حقوق المشاركين في العمل لم يكتمل. البديل الأوضح ليس أن تعتزل كل مسابقة، بل أن تسأل الفريق قبل التسليم من كتب ماذا، وكيف ستذكر الأسماء، وما إذن استعمال المواد المشتركة. إذا اتضح الاتفاق مضيت، وربما زادت الفرصة خيرًا لأنها بنيت على معرفة. وإذا رفض أحدهم البيان، صار لديك سبب محدد للتوقف بدل شعور غامض تخجل من شرحه.

الباب الثاني: بين الحلال والحرام

٩ الحلال بين

في صباح إجازة، خرجت أسرة إلى متنزه قريب. جاء الطعام من مال يعرفون مصدره، والمكان مباح، والوقت لا يضيع حقًا لأحد. ومع ذلك تردد أحدهم: هل من الأفضل أن نلغي النزهة، حتى لا نتعلق بالدنيا؟

قد يكون في تقليل الخروج خير لشخص شغله الله، وقد تكون هذه الساعة من الأئس رحمة لأهله. لن يعرف الإنسان جواب حاله من كلمة «النزهة» وحدها. لكنه لا يحتاج إلى اتهام المباح كي يصح مقدار انتفاعه به.

يبدأ حديث النعمان بن بشير، المثبت كاملاً في الفصل الأول، بالحلال الواضح.^{١٢} وهذه بداية يحتاج إليها القلب الذي طال وقوفه عند باب الريبة. ليس كل ما في يومنا مشكلة تنتظر حكماً جديداً. في الحياة مواضع أذن الله فيها، ونستطيع أن نشكر نعمته ونحن نعيشها.

١٢ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث ٥٢، عن النعمان بن بشير؛ اللفظ المثبت في الفصل الأول للبخاري. وأصله في صحيح مسلم ١٥٩٩. لا يجعل الحديث كل قلق شخصي سبهاً شرعية.

قد تريد أن تترك شيئاً مباحاً لأن له في حياتك أثراً لا تحبه. تعرف مثلاً أن السهر في لقاء طويل يجعلك تقصر في عملك غداً، فتعتذر عنه. تصف السبب كما هو، وتحفظ لمن أحسن ترتيب وقته حقه في الحضور. قد ينفعك الترك، وينفع غيرك الفعل؛ والحكم العام لا يتغير بمجرد اختلاف حاجاتكما.

لكن كلمة «حلال» وحدها لا تخبرنا بكل ما نحتاج إلى معرفته عن التصرف. تملك أن تهدي كتابك، ولا تملك أن تهدي كتاباً استعرتة. يمكنك أن تنشر صورة التقطتها، ثم يبقى عليك أن تنظر هل فيها إنسان لم يأذن بنشرها. السؤال أحياناً في الملكية أو الطريقة أو حق شخص آخر، لا في أصل الكتاب أو التصوير. لهذا لا نغلق باب النظر عندما نقول إن الأصل مباح. ومن جهة أخرى، قد نكره الشيء لأنه جديد، ثم نخلط نفورنا بالحكم عليه. يختلف الناس في عاداتهم وذوقهم وتجاربهم. إن احتجت إلى معرفة حكم أمر بعينه، فاسأل عنه؛ وإن كان مجرد اختيار لا يلائمك، فلك أن تدعه في هدوء. دقة العبارة هنا عدل مع نفسك ومع غيرك.

انظر إلى ذلك الأب في النزهة. يستطيع أن يرى فرحة أهله، ويسأل في نفسه: هل أديت ما عليّ؟ هل أخذنا من وقتنا ما لا

يظلم واجبًا؟ إذا كان الجواب مطمئنًا، فليجلس معهم وليشكر الله. لا يلزمه أن يصنع ضيقًا حتى يثبت أنه يخاف الله.

والشكر نفسه عمل قلب له أثر: أن تعرف ممن جاءت السعة، وألا تستعملها في أذى، وألا تنسى من لا يملك مثلها. قد يعودون في المساء ومعهم ذكرى طيبة ورحمة بينهم. هذه ثمرة مباحة أيضًا، ولا يحتاج صاحبها إلى الاعتذار عنها.

تذكر امرأة أنها اعتادت إعداد طعام تحبه لأسرتها مساء الجمعة، ثم صار يثقلها أن تراه متعة بينما في العالم من يتألم. إحساسها بالآخرين كريم، ويمكن أن يتحول إلى مساعدة أو صلة، لكنه لا يجعل المائدة نفسها ذنبًا. تشكر من شاركها إعدادها، وتأكل دون أن تقيس صلاح قلبها بمقدار ما حرمت نفسها من مذاق مباح. وقد تختار تقليل الإسراف أو مشاركة جار، من غير أن تجعل اللقمة اختبارًا أخلاقيًا على من يجلس معها.

والحلال الواضح مجال مسؤولية أيضًا. قد تملك ثمن جهاز تحتاجه، فتبحث عن جودة تناسب ميزانيتك وتمنع ضياع المال، ثم تشتري. لا يلزم أن تخترع شبهة شرعية كلما وجد خيار أرخص أو كلما رأيت مراجعة مخالفة. القرار الرشيد لا يحتاج غالبًا إلى ضمانٍ يحيط بالغد كله؛ يحتاج إلى قدر

معقول من المعرفة ثم إلى القدرة على إغلاق المقارنة والانتفاع بما اشتريت.

وتظهر سلامة هذا الفهم حين تختلف اختيارات أهل البيت في الأمر المباح. قد يفضل أحدهم هدوء المنزل، ويحب آخر زيارة الأقارب، ويحتاج ثالث إلى ساعة وحده بعد أسبوع مرهق. لا يلزم أن يصبح الخيار الأقرب إلى طبعك هو الأكثر ورعًا. يتفقون على الحقوق المشتركة، ويتركون لكل واحد مساحة لا تضر غيره. بهذا يبقى المباح واسعًا، وتبقى المحبة أوسع من أن تُحبس في صورة واحدة للحياة.

وقد يحتاج الإنسان إلى تدريب نفسه على الانتفاع بالنعمة دون خوف مستمر. يحدد ما يناسب ماله ووقته، ثم يتوقف عن فحص القرار بعد تنفيذه ما لم تظهر معلومة جديدة. فالأسرة التي حجزت رحلة مباحة بعد حساب نفقتها لا يلزمها أن تعيد الحساب عند كل ابتسامة أو مصروف صغير. تراجع إن تغيرت القدرة أو ظهر حق منسي، أما تكرار المراجعة بلا سبب فلا يزيدها أمانة؛ قد يسرق منها حضورها وشكرها.

١٠ الحرام بين

أحيانًا نعرف أن الجملة التي توشك أن تخرج من أفواهنا ظلم، ثم نبحث لها عن اسم أخف. في مجلس اختلف فيه صديقان، قد نعرف ما أُسِّرَ إلينا من أحدهما، ونميل إلى كشفه لنكسب تأييد الآخر. نسميه «توضيحًا للصورة»، مع أننا لم نُؤذن في نشر السر، ولا تقوم على كشفه حاجة تبيحه في الصورة التي بين أيدينا.

الحرام البين رحمة في طريق القرار. لا يطلب منك أن تزن كل مرة مقدار المتعة التي ستكسبها ومقدار الندم الذي قد يصيبك، ثم تختار على هواك. إذا ثبت أن فعلًا محرم في صورتك، فليس الترك مقامًا إضافيًا تتزين به؛ إنه ما يطلب منك. وقد تكون أصعب خطوة أن تترك النقاش الذي تديره النفس مع الحكم بعد أن عرفتته.

لكن الوضوح في أصل الحكم لا يعني أن صور الوقائع كلها واضحة. حرمة أخذ مال الغير لا تخبرك وحدها لمن يعود مبلغ دخل حسابًا مشتركًا بعد تصفية قديمة. قد تحتاج إلى مستند أو بيان من الشركاء أو سؤال من يفهم العقد. الفرق أن سؤال الواقعة يطلب معرفة الحق، بينما سؤال التهرب يخفي ما يعرفه صاحبه ويبحث عن عبارة تعفيه من أدائه.

وحين يكون الخطأ قد وقع، نحتاج إلى أكثر من نية حسنة للمستقبل. إن عرفتَ صاحب المال المستحق، فأوصل إليه حقه بحسب ما يلزمك؛ وإن أفسدت سمعة أحد بكلام، فانظر كيف تصلح أثر كلامك دون أن تضيف أذى جديداً. تفاصيل الرد والإصلاح تتغير، وقد تحتاج إلى علم، لكن ثقل التفاصيل لا يجعل المظلمة صغيرة.

يؤلم الاعتراف أحياناً لأننا نحب صورة الشخص الأمين في أعيننا. نقول: كنت مضطراً، أو كان الجميع يفعل ذلك، أو لم أقصد هذا القدر من الأذى. قد يصدق بعض الوصف، ولا يزيل وحده الفعل وأثره. أصدق بداية أن تقول: وقع مني هذا، فما الذي أقدر على إصلاحه الآن؟

وقد يلزم أن تسد باباً اعتدت الرجوع منه. إن وجدت نفسك تنقل أخبار الناس في مجموعة معينة، فأخرج من دائرة تداولها أو غيّر طريقة حضورك فيها. وإن استعملت صلاحية ائتمنت عليها في غير موضعها، فتخل عن الوصول الذي لا تحتاجه. الكف عن الفعل يشد حين تعالج الطريق الذي يسهل عودته.

وقد يظهر المنع الواضح في بيتك عندما تنقل عن قريب كلاماً ائتمنت عليه لتضغط به في خلاف آخر. تعرف أنه سر، وأن

غضبك لا يملكك إذن نشره. تستطيع أن تتوقف قبل ذكره، أو أن تقول في الخصومة ما رأيته أنت دون كشف ما سمعت في خلوة. سيبقى الخلاف بحاجة إلى حل، لكنه لا يحتاج أن تجعل ثقة غائب سلاحاً في يدك.

وإذا أفلتت الكلمة فلا تحاول إنكارها إذا ثبتت؛ انظر أولاً إلى من سمعها وإلى أثرها الممكن. قد يلزمك أن تطلب حذف الرسالة أو تصحح كلامك أمام من تلقاه، وأن تعتذر لمن خانت كلمتك ثقته بقدر ما ينفعه. ثم اسأل عن تفاصيل الحق إن كان الأمر أعقد من كلمة عابرة. وضوح الخطأ نعمة مؤلمة؛ يوفر عليك شهوراً من البحث عن اسم ألطف لما فعلته، ويفتح باب إصلاح لا يحتاج إلى أن تبرئ نفسك أولاً.

ومن الحيل التي تؤخر الرجوع أن نحول الخطأ الواضح إلى نقاش طويل في النيات. يسأل الموظف نفسه: هل كنت أريد مصلحة العمل حين أخذت الملف إلى جهازه الشخصي؟ وقد يكون السؤال الأول أبسط: هل كان مأذوناً في نقله؟ إن لم يكن، فليوقف الاستعمال، وليعد الملف إلى موضعه، وليبلغ الجهة التي يلزم إبلاغها بحسب النظام. بعد ذلك ينظر في قصده ليربيه، لا ليستعمله ستاراً يحجب الفعل.

ولا يشترط الرجوع أن تعرض خطأك على من لا يعنيه. الستر لا يعني إنكار الحق، كما أن الاعتراف لا يعني نشر التفاصيل على جمهور جديد. تخاطب من وقع عليه الأثر، أو من يملك تصحيحه، بالقدر الذي يحتاجه. فإن أشكل عليك طريق الرد، تسأل عنه بلا تحريف للصورة. وهكذا يصير وضوح الحرام باباً لعمل صادق: كف، وإصلاح، وتعلم، ثم حراسة للباب الذي دخل منه الخطأ. أما إذا بقي وصف الواقعة أو حق صاحبها مجهولاً، فلا نلحقها بالواضح قسراً؛ هناك يبدأ سؤال المشتبهات.

١١ وبينهما مشتبهات

وصل إلى أخوين بعد وفاة قريب صندوق فيه أوراق وقطعة حلي. يعرفان أنه كان يحتفظ بأشياء لغيره، لكنهما لا يعرفان هل هذه القطعة له أم وديعة عنده. ليس الصندوق كله مجهول الملكية، ولا القطعة معلومة الحال بمجرد وجودها فيه. بين ما يعرفانه وما يريدان أن يقرراه معلومة ناقصة تستحق البحث.

هذا النوع من النقص يعيننا على فهم الاشتباه الذي مر في حديث النعمان، كاملاً في الفصل الأول.^{١٣} قد تتبين لمن يملك علماً أو شاهداً أو وثيقة. وقد يبقى في بعض المسائل خلاف يحتاج إلى بيان أوسع. ليست الريبة اسماً يعلق على الشيء إلى الأبد؛ هي وصف لما لم يتضح لك منه الآن.

يستطيع الأخوان أن يفصلا ما عندهما: ما عرفا أنه من مال قريبهم، وما عرفا أنه وديعة، وما بقيت عليه قرينة تحتاج إلى سؤال. يبحثان في الأوراق، ويسألان من يعرف أصل الحلي، ولا يجعل أحدهما رغبته في الاحتفاظ بها دليل ملك. إن لم

١٣ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث ٥٢، عن النعمان بن بشير؛ اللفظ المثبت في الفصل الأول للبخاري. وأصله في صحيح مسلم ١٥٩٩. لا يجعل الحديث كل قلق شخصي سبهاً شرعية.

تكف المعلومات، يصفان الواقعة لمن يحسن النظر في الحقوق. هكذا تصغر المسألة من خوف يملأ الصندوق كله إلى سؤال يمكن تتبعه.

ومثل ذلك في حديث يصل إليك: تعلم أن شخصاً نقله، ولا تعلم أنه وقع. وفي معاملة: ترى السعر، ولا ترى الشروط التي تغير الالتزام. وفي هدية: تعرف قيمتها، ولا تعرف هل صاحبها مصلحة عند من يتلقاها. لا يجدي حكم واحد على الكلمات الثلاث: «خبر» و«عقد» و«هدية». نحتاج إلى الصورة التي تجعل السؤال صادقاً.

وفي بعض الأحيان يكون الجواب أمامك ثم يبقى الشعور متردداً. لا يقتضي صدق البحث أن يتأخر العمل حتى تهدأ كل عاطفة. إذا عرف الحكم من وجه معتبر وأدبت ما يلزمك، فتعلم أن تنتهي من السؤال، وإن احتجت إلى مساعدة لفهم القلق المتكرر فله باب آخر. الاشتباه الذي يزول بالبيان لا نعيده إلى المسألة لمجرد أن القلب لم يسكن في اللحظة نفسها.

الصندوق في مثالنا يحتاج إلى بحث بقدر موضعه. وقد يعثر الأخوان على اسم صاحبة الحلي في ورقة صغيرة؛ عندها لا

يعود «مشتبهًا» كما كان قبل العثور عليها. العلم يغير ما يصح فعله، ومن أمانتنا أن نتغير معه.

والبحث المنضبط يبدأ بتحويل القلق إلى قائمة قصيرة: ما الذي نعرفه؟ ما الذي لا نعرفه؟ ومن يملك المعلومة؟ وفي أي وقت نراجع القرار؟ فإذا كان الاشتباه في تحويل مالي، حفظ الرقم والتاريخ واسم الجهة بدل تكرار الظنون. وإذا كان في شيء وُجد في البيت، سئل من يُحتمل علمه ووُضع الشيء في موضع مأمون. هذا العمل الصغير يمنع الشعور المجهول من أن يتسع حتى يبتلع أشياء لا علاقة لها بالواقعة.

هناك أشياء تبدو مشتبهة لأنها قدمت إلينا ناقصة الوصف. استلمت لجنة صغيرة صندوق تبرعات لمعرض خيري، فوجدت فيه أدوات جديدة بلا اسم متبرع ولا بيان هل تبقى بعد المعرض أم تباع. يستطيع المنظم أن يسأل من سلّم الصندوق أو يراجع سجل الاستلام قبل أن يوزع محتواه. لا يحل الشك بتوزيع سريع يفرح الناس ثم يصعب معه الرد، ولا بترك الأدوات في مخزن إلى الأبد. يتغير الفعل حين يكتمل وصف الملك والغرض.

وإذا تعذر الوصول إلى صاحب الإذن، فلا تنشئ من عادتك السابقة في التعامل مع صناديق أخرى إذنًا لهذا الصندوق.

وثق ما وجدته ومن سألت، ثم اطلب وجه التصرف في هذه الصورة. تعلمك الشبهة المحددة أن تحتفظ بما يثبت، وأن تفرق بين جهل يمكن إزالته وجهل لم تجد له بعد طريقًا. بهذا تصبح الوقفة مرحلة من عمل منظم، لا هوية نفسية تعيش في كل هدية وكل صندوق.

وللاشتباه أجل وظيفي، لا بمعنى أن الحقيقة تنتهي بانتهاء الوقت، بل بمعنى أن الإنسان لا يترك نفسه معلقة بلا خطة. يحدد خطوة البحث التالية، ثم يعيد التقييم على ضوء ما ظهر. فإن بقي الأمر محتاجًا إلى أهل خبرة، حمل إليهم وصفًا دقيقًا بدل قصة مشحونة. وإن زال سبب الاشتباه، قبل زواله ولم يفتش عن سبب بديل ليبقى قلقًا. فالتورع يحرس القرار، وليس مطلوبًا منه أن يحرس اضطرابًا دائمًا.

وقد ينشأ الاشتباه من جمع وقائع مختلفة تحت اسم واحد. تقول: «العمولة» أو «المال المختلط» أو «الهدية»، ثم تنتظر جوابًا شاملاً. لكن الاسم قد يغطي أجرة معلومة، أو منفعة سرية تؤثر في قرار، أو مالا له أصحاب متعددون. فكك الصورة: من يدفع؟ مقابل ماذا؟ من يملك القرار؟ ومن يتضرر إن خفيت العلاقة؟ كل جواب يزيل طبقة من الغموض ويقرب السؤال من حكمه.

وليس الاشتباه درجة واحدة. قد ينقصك وصف حاسم في العقد، وقد تتعارض عندك معلومات، وقد يكون الأصل واضحاً لكن الخوف يكرر احتمالاً بعيداً. جمع هذه الصور تحت كلمة واحدة يجعل العلاج مضطرباً. الأولى تحتاج استكمال البيان، والثانية تحتاج ترجيحاً من أهله، والثالثة تحتاج رجوعاً إلى الأصل وقطعاً للاسترسال.

ولا تجعل كثرة من سألوا بديلاً عن جودة السؤال. عشر إجابات على عشر صور مختلفة لا تنتج يقيناً. ثبت الوصف أولاً، ثم اختر من يعرف بابه، واذكر ما قد يغير الحكم ولو لم يكن في صالحك. صدق العرض جزء من طلب السلامة.

وحين يتبين الأمر، سجّل سبب الانتقال. إن ظهر المنع، عرفت ما تتجنبه مستقبلاً. وإن ظهر الجواز، عرفت لماذا تمضي. هذا التعلم المتراكم يقلل الاشتباه في الوقائع المتشابهة، ويمنعك من بدء البحث من الصفر كل مرة. العلم لا يزيل كل سؤال، لكنه يجعل أسئلتك أضيق وأقرب إلى الجواب. ويبقى قبل اكتمال البيان سؤال العمل: كيف تتوقف بقدر الاشتباه، من غير أن تجعل الوقفة حكماً دائماً؟

١٢ من اتقى الشبهات

قبل أن يرسل رسالة اتهام في مجموعة العائلة، علم رجل أن المعلومة التي بلغته لا تزال ناقصة. ربما كان يستطيع تدارك الرسالة إذا أخطأ، لكنه يعرف أيضًا أن الأثر قد يبقى بعد حذفها. وضع الهاتف جانبًا حتى يسأل من يملك الصورة كاملة. لم يتوقف عن حياته؛ امتنع مؤقتًا عن فعل واحد ينتظر له بيانًا.

في حديث النعمان المثبت في الفصل الأول أصل الاستبراء للدين والعرض باجتنب المشتبهات.^{١٤} وفي هذا الاستبراء معنى جميل: أن تحرص على ألا تتقدم إلى ما تخاف تبعته حين تملك طريقًا أوضح. تظهر الحكمة خاصة حين يكون للفعل أثر في إنسان آخر، أو يصعب محوه بعد وقوعه.

لكن تقدير الوقفة من تقدير المسألة. نشر اتهام قد يجرح سمعة لا ترجع بسهولة، فيستحق تثبُّتًا قبل الإرسال. والالتزام بعقد كبير يحتاج فهم الشروط. ليس كل اختيار عابر بهذه

١٤ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث ٥٢، عن النعمان بن بشير؛ اللفظ المثبت في الفصل الأول للبخاري. وأصله في صحيح مسلم ١٥٩٩. لا يجعل الحديث كل قلق شخصي سببه شرعية.

المنزلة، ولا يصح أن تصبح كلمة «أحتاط» سببًا لتعطيل الواجبات الصغيرة والكبيرة. الورع يضع اهتمامنا حيث يقع الحق، لا حيث يرتفع صوت القلق وحده.

وقد تتخذ الوقفة صورًا غير الترك النهائي: تراجع مستندًا، تسأل صاحب إذن، تعيد مألًا إلى عهدة حتى يتبين مستحقه، أو تمتنع عن نشر خبر اليوم. لها عمل يبدأ منها وعلامة تعرف بها متى انتهت. إذا تبين لك الصحيح بعد ذلك، تغير قرارك. ومن الصدق ألا تتعلق بالامتناع نفسه حتى يصبح عادة يصعب فراقها.

هناك كذلك حق للناس في ألا نجعل احتياطنا حكمًا عليهم. قد تترك معاملة لم تفهمها، بينما فهم غيرك صورتها وسأل في حكمها. قل عن نفسك ما تعلم: لم تتضح لي. لا تنقل جهل التفاصيل عندك إلى حكم على دين من عمل بها. وإن ظهر لك ما يستحق التنبيه، فاعرض دليله وحدوده بإنصاف.

وحين تتعلق المسألة بأمانة عامة، تصبح الشفافية جزءًا من سلامة القرار. من كان يختار لمجموعة هدية أو موردًا وفي أحد الخيارات قريب له، يحتاج إلى إظهار العلاقة لمن فوضوه، وأن يعمل وفق شروط الإذن وصلاحياته. المقصود

حفظ الثقة والحق في صورة محددة؛ وتفصيل الحكم يتبع الواقعة، ولا تكفي حسن نيته وحدها لإغلاق السؤال.

في مثال الرسالة، قد يتبين للرجل أن ما بلغه غير صحيح؛ فيكون توقفه قد حفظ عرض إنسان. وقد يتبين أنه صحيح، لكنه يحتاج إلى طريق إصلاح لا إلى نشره في المجموعة. كلتا النتيجةين أفضل من أن يسبق الإرسال العلم. وحين يعرف ما ينبغي فعله، تنتهي الوقفة ويبدأ العمل.

تدرب فتاة مجموعة ناشأت على عرض مشروع علمي. تكتشف قبل التسليم أن إحدى الصور في الشرائح جاءت من صفحة لم تذكر صاحبها طريقة استعمالها. تملك وقتًا قصيرًا؛ تستطيع أن تستبدل الصورة بما التقطته المجموعة، أو أن تبحث عن إذن واضح وتذكر المصدر. قد يخسر العرض شيئًا من بريقه، لكنه يكسب قدرة الطالبات على شرح ما يقدمن بثقة. ليس حفظ العرض تعليقًا لإخفاء أصل المادة.

ولو اتضح لاحقًا أن الصورة متاحة وفق ترخيص مفهوم، تستعملها في حدود ذلك الترخيص دون أن تظل معذبة باحتمال انتهى سببه. ما حفظته الطالبات من هذا الموقف ليس قاعدة تقول «اتركوا كل صورة من الإنترنت»، بل عادة تسأل عند الاستعمال عن المصدر والحق، وتغير الفعل بحسب

الجواب. الاستبراء هنا فتح طريق لعرض يمكن الدفاع عنه، لا تعطيل دائم للإبداع.

ومن علامات الوقفة السليمة أنها متناسبة وقابلة للرجوع. إذا اشتبهت في خبر، فلا يلزم أن تقطع كل علاقة بمن نقله؛ يكفي ألا تبني عليه حتى تتحقق. وإذا التبس بند في اتفاق، فلا يلزم إفساد المشروع كله؛ يمكن تعليق الجزء المتنازع عليه ومراجعة البند. كلما ضاق الإجراء بقدر موضع الريبة، قلّ الضرر على الآخرين، وسهل تصحيح القرار إن ظهرت معلومات جديدة. هكذا يكون الاحتياط عدلاً لا اندفاعاً في الجهة المقابلة.

وحين تشترك مع غيرك في القرار، لا تتخذ الاحتياط وحدك إذا كان ثمنه من أموالهم أو أوقاتهم. اشرح موضع الاشتباه والبدائل ومدة الانتظار، ثم ارجع إلى صلاحيات العقد أو التفويض. قد يكون لك أن تترك نصيبك، ولا يكون لك أن تمنع نصيب شريك بغير حق. الورع الذي يحفظ دينك لا يفتح لك ملكية جديدة في حقوق الناس.

وتزداد قيمة الوقفة حين ترتب المخاطر بدل أن تسوي بينها. إرسال رسالة يمكن سحبها قبل أن يقرأها أحد ليس كتحويل مال لا تستطيع استرداده، وكلمة عابرة بينك وبين نفسك

ليست كنشر اتهام على ملأ. كلما كان الأثر أوسع أو الرجوع أصعب أو حق الغير أقرب، استحقت الوقفة عناية أكبر. هذا التناسب يعيد للورع بصيرته؛ فلا تنفق يوماً كاملاً في اختيار تفصيل صغير، ثم تمر على قرار يمس سمعة إنسان بسرعة.

١٣ الضرورة والحاجة

قد يتألم إنسان فيسأل الطبيب عن علاج يحتاجه، ثم يتردد لأنه سمع أن في بعض العلاجات إشكالاً شرعياً. يحتاج إلى معرفة طبية دقيقة لما يواجهه، وإلى سؤال شرعي محدد إن ظهر موضع إشكال. لا تنفعه فتوى مبنية على دواء آخر، ولا وصف صحته بكلمة «ضرورة» قبل أن تعرف حاله والبدائل المتاحة له.

قال الله تعالى:

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٧٣].^{١٥}

النص يفتح باب رحمة حقيقياً في موضعه، ويعلمنا أن حال الإنسان تؤثر في الحكم. لا يصح أن ننقل صورة الطعام إلى كل عقد وعلاج بمجرد التشابه في الشعور بالشدّة؛ لكل باب شروطه، ومن حق من يعاني أن يجد جواباً يصف واقعه.

١٥ القرآن الكريم، البقرة: ١٧٣. الآية في الاضطرار إلى المحرم من الطعام مع قيدي عدم البغي والعدوان؛ لا تستقل بتفصيل الضرورات الطبية والمالية والعقدية الحديثة.

وقد يجب تناول ما يدفع الهلاك في صورة الضرورة المستوفية لشروطها؛ فلا يكون الامتناع حينئذ ورعاً. وليس كل علاج أو مشقة بهذه المنزلة؛ إنما يبين المختصون حقيقة الخطر والبدائل، ويسأل أهل العلم عن حكم الصورة المعينة.^{١٦} قد يرهق المرء نفسه لأنه يظن أن قبول التخفيف دليل ضعف. يريد أن يكون أقوى من حاجته، وينسى أن العبودية تكون باتباع ما شرع الله حين تنطبق شروطه. وقد يقع غيره في اتجاه آخر: يسمي كل ما يشق عليه ضرورة ليختصر الطريق إلى ما يريد. الصدق في وصف الحال أسبق من اختيار اللفظ الذي يطمئنه.

حين تعرض مسألة معقدة، يفيد أن تعرف نوع الضرر ودرجته، وما البديل الممكن حقاً، وكم تحتاج من الاستثناء، ومدة بقاء السبب. قد يوجد بديل في الكتب لكنه لا يصل في الوقت الذي يحتاجه المريض؛ وقد يكون ما ظنه صاحبه متعذراً متاحاً بعد السؤال. هذا وصف واقع، ومن دونه لا يستقيم تنزيل الحكم.

١٦ السبت، «أعمال القلوب»، ج ١، ص ٣٧٣، في نقد الامتناع الذي يفضي إلى الهلاك. صياغة المتن مقيدة بالضرورة المستوفية لشروطها وبسؤال المختصين؛ وليست حكماً على كل علاج أو مشقة.

وقد يجتمع في السؤال طبيب يشرح المرض وما يعرفه عن الخيارات، وعالم يبين الحكم الشرعي بناء على وصفها. معرفة أحدهما لا تقوم تلقائياً مقام معرفة الآخر. وإذا اختلفت الصورة بعد أيام، فقد يلزم تجديد السؤال بقدر ما تغير فيها. العمل بما ثبت لحال معينة لا يجعل الاستثناء حكماً دائماً لكل حال تالية.

أما «الحاجة» في كلام أهل الفقه، فلها أحكام وتفاصيل تختلف من باب إلى باب. لا أقدم هنا قاعدة عامة تصدر حكماً في كل مال أو علاج أو شأن أسري. أعينك على أن تروي المسألة بصدق، وألا تخفي بديلاً مؤثراً، وألا ترفض تخفيفاً ثبت لك لأنك تظن المشقة هي دليل الورع الوحيد.

وفي بيت بعيد عن المستشفى يبدأ السؤال بصورة أخرى. تتصل ابنة بوالدها الكبير، فتسمع أنه ترك طعامه منذ الصباح لأنه ينتظر تقرير فحص، وأنه قرر وحده إيقاف دوائه حتى يعرف النتيجة. لا تملك من الهاتف أن تحسم له حكم الصوم أو العلاج، لكنها تملك أن تفرق بين قرار طبي يحتاج صاحبه إلى فريقه العلاجي وبين كلمة شرعية عامة سمعها في مجلس. تساعد على الوصول إلى من يعرف حالته والأدوية التي يتناولها، وتكتب معه الأسئلة التي سيطرحها. الاهتمام

الصادق هنا أن تجمع تفاصيل واقعه، لا أن تمدح شدته ثم تتركه يخاطر بصحته بناء على ظن.

تختلف الحاجة التي يمكن تأجيلها عن خطر يتفاقم إن انتظر. كما تختلف البدائل إذا كان أحدها متاحًا للمريض فعليًا، أو موجودًا في بلد آخر لا يستطيع الوصول إليه. لذلك قد يغيّر الطبيب معلومة واحدة في وصف الضرر، ويغيّر المفتي بناء عليها فهم صورة السؤال. القارئ الذي يتعلم هذا لا يحتاج إلى حفظ عبارة كبيرة يستعملها في كل موقف؛ يحتاج إلى تواضع يحفظ جسد إنسان من قرار لا يعرف شروطه. ولو خرج الجواب بجواز ما كان يتحرج منه، فقبوله جزء من الطاعة، لا هزيمة لورعه.

وفي الحالات المتحركة تتغير الصورة مع الوقت. قد يبدأ الأمر بخيارين ثم يظهر ثالث، أو تتغير القدرة أو درجة الخطر. دُونَ ما بُني عليه القرار ومتى اتخذ، ثم راجعه إذا تغيرت حقيقة مؤثرة. لا يعني ذلك أن تعيد السؤال كل ساعة؛ بل ألا تجعل جوابًا قديمًا يغطي واقعة تبدلت عناصرها. المسؤولية هنا تحفظ أثر القرار، كما تحفظ سبب الحاجة التي دعت إليه. وقد يشعر المريض بحرج من ذكر بعض ما يغير الصورة: عجز مالي، أو علاج جربه ولم يحتمله، أو بعد مكان البديل. إخفاء

هذه الأمور قد يصنع جوابًا صالحًا لشخص آخر لا له. يذكرها بقدر الحاجة ويحفظ خصوصيته عن لا شأن له بها. ليس الصدق أن يقص حياته على الجميع، بل أن يضع المعلومة المؤثرة عند من يبني عليها القرار.

ثم يأتي دور المتابعة. إذا كان القرار محدودًا بمدة أو ظرف، يضع صاحبه موعدًا لمراجعته، ويسجل العلامة التي تستدعي العودة إلى المختص. فإذا زال السبب لم يحول الاستثناء إلى عادة، وإذا بقي لم يتهم نفسه لأنه يحتاج إلى سؤال جديد. هذه المراجعة تحفظ حد الرحمة وحد المسؤولية معًا؛ فلا قسوة باسم الورع، ولا توسع باسم الحاجة، وإنما عبودية تتبع الحقيقة حين تتغير.

١٤ الرخصة الشرعية ليست نقصاً

في رحلة سفر، رأى مسافر رفاقه يعملون برخصة عرفوا حكمها، وشعر أنه إن أخذ بها بدا أقل صبراً. لم يكن يسأل بعد عن مسافة السفر أو صفته؛ كان يسأل في سره عن الصورة التي سيبدو عليها بين أصحابه. أحياناً تدخل صورة الإنسان عند الناس بينه وبين الحكم الذي يبحث عنه.

الرخصة الثابتة حكم شرعي في موضعها. عن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال:

«قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا، مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا } فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ فَقَالَ عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوا صَدَقْتَهُ».^{١٧}

في هذه الصورة من قصر الصلاة تقربنا العبارة من معنى يسهل أن ننساه: الله الذي يأمر بالعزيمة هو الذي يشرع التخفيف في موضعه.

١٧ مسلم بن الحجاج، الصحيح ٦٨٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها.

لا أستخرج من الحديث وحده أحكام كل رخصة. تتغير الشروط من باب إلى باب، ويحتاج المسافر والمريض وغيرهما إلى أن يعرفوا الحكم المتعلق بأحوالهم. لكن القلب يستطيع أن يتخلص من اعتقاد عام مؤذٍ: أن كل طريق فيه مشقة أشرف من كل طريق فيه تيسير، مهما قال الدليل. قد يكون اختيار الأصعب أحياناً ناشئاً عن رغبة صادقة في العبادة، ويحتاج صاحبه فقط إلى معرفة ما يشرع له. وقد يكون التخفيف الذي يطلبه إنسان آخر عذراً ثابتاً، لا محاولة للتهرب. لا نقرأ القلوب من هيئة الصلاة أو مقدار التعب الظاهر، ولا نطلب من الناس شرح أجسادهم وأعذارهم لإثبات جديتهم.

وفي الجانب الآخر، لا تتحول كلمة «رخصة» إلى غطاء لمخالفة شروطها أو جمع الأسهل من كل قول بغير منهج. من الصدق أن تصف حالك كما هي، وأن تسأل عما ينطبق عليها. وحين يتبين الحكم في حالك، تستطيع العمل به وإن اختلفت عن ظروف من حولك.

ينفع هذا في البيت. إذا مرض فرد من الأسرة وعمل بحكم يناسب مرضه بعد سؤال معتبر، فليس دور الباقيين أن يذكره كل ساعة بما كان يفعله صحيحاً. قد يكون بحاجة إلى من

يعينه على الامتثال لحكمه الحاضر براحة. ويحسن أن تسأل: ما الذي تحتاجه؟ بدل أن تجعل قوة الاحتمال معيارًا للمحبة والفضل.

عاد المسافر في مثالنا إلى سؤاله الصحيح: ما حكم سفري أنا، وبأي شروط؟ إذا ثبتت له الرخصة، أخذ بما تبين له من غير خجل، وإن لم تثبت عمل بالأصل. في الحالتين يستطيع أن يترك مسابقة صامته مع رفاقه، ويعبد الله بما شرع له هو.

قد يتردد صاحب عذر في قبول مساعدة متاحة له؛ لا يريد أن يبدو ضعيفًا أمام من يقدر على الأمر من غير عون. في قاعة الانتظار ترى امرأة جهازًا يساعد على سماع النداء، وتعرف أنها لا تفهم النداء من آخر القاعة. استخدام الوسيلة لا ينقص جديتها ولا يدل على قلة عزمها. هذا مثال عادي يوضح كيف تحكم نظرة الناس على قرار نحتاج إليه، لكنه لا يقرر حكم رخصة شرعية بعينها.

وحين تتعلق المسألة بالرخصة الشرعية، لا تكفي المقارنة بمن حولك. اسأل عن الشرط في حالك ونتيجته، ثم اعمل بما ثبت. قد تكون صورة رفيقك مختلفة ولو تشابه التعب الظاهر؛ ربما اختلف سفره أو مرضه أو ما يستطيع تحمله. لك أن تعمل بالحكم الذي عرفت انطباقه عليك، وله أن يختلف

في التطبيق إذا اختلفت حاله. الرخصة الثابتة تفتح طريق العبادة بصدق لمن قامت في حقه، وتعليمها برفق أكرم من تحويلها إلى اختبار للجلد.

وفي العمل قد يظهر التخفيف في صورة ترتيب يراعي مرضاً أو ظرفاً ثابتاً: وقت مرّن، أو مهمة بديلة، أو إجازة مقرّرة. ليس من الأمانة أن يستعمل الموظف ما لا ينطبق عليه، وليس من الرحمة أن يُطلب من صاحب العذر أن يعرض تفاصيله أمام الزملاء كي يثبت جديته. تكفي الجهة المسؤولة معلوماتها بقدر الحاجة، ويبقى على الفريق أن يحترم التنظيم من غير تحقيق اجتماعي يجرح صاحبه.

ومن آداب الرخصة أن تحفظ خصوصية صاحبها. قد يحتاج المسؤول إلى قدر من المعلومات لتنظيم العمل، ولا يحتاج كل زميل إلى معرفة التشخيص أو تفاصيل البيت. السؤال المتكرر أمام الناس قد يدفع صاحب العذر إلى ترك ما ثبت له اتقاء للخرج. الورع هنا أن تطلب من البيان قدر ما يحفظ الحق، ثم تقف عند الحد الذي لا شأن لك به.

ويظهر معنى آخر عند تبدل الحال. من أخذ بتخفيف في وقت عذر لا يلزمه أن يبني هويته كلها حوله، ومن زال عذره يرجع إلى ما يناسب حاله الجديدة بعد العلم. كما أن الرخصة ليست

نقصًا، فمراجعة انطباقها ليست اتهامًا. الفرق في الطريقة: مراجعة هادئة للشرط والواقع، لا تفتيش في النيات ولا تشهير بمن تغير تطبيقه.

وفي الجماعة قد تختلف الأحكام العملية فتحتاج إلى تنظيم يحفظ العبادة والوحدة معًا. لا تجعل صاحب الرخصة موضع تعليق كل مرة، ولا تجعل صاحب العزيمة معيارًا خفيًا يحاكم به الآخرين. اتفقوا على ما يلزم الاجتماع عليه، واتركوا لكل حال ما ثبت لها. هذا أدعى لأن يتعلم الصغير أن الشريعة ليست مسابقة في تحمل المشقة، بل عبودية بعلم.

ومن الخطأ أن نضغط على صاحب العذر باسم الخوف من التلاعب. التلاعب يعالج بإجراء عادل يطبق على الجميع وبقدر الحاجة، لا بإذلال من ثبتت حاجته. ويمكن للنظام أن يطلب إثباتًا من الجهة المختصة، ويحدد مدة للمراجعة، ويحفظ المعلومة في نطاقها. هكذا تجتمع الأمانة والرحمة دون أن يأكل أحدهما الآخر.

١٥ لا تحرم ما أحل الله

اختارت أم أن تقلل شراء الحلوى في بيتها مدة، بعد أن رأت أثر كثرتها في عادات أسرتها. لها أن تنظم المباح بما يناسبهم، وأن تشرح لهم السبب. لكن لو قالت لأطفالها إن كل من يأكلها قليل الإيمان، فقد نقلت اختياراً في تدبير البيت إلى حكم على قلوب الناس. ربما لم تقصد ذلك، غير أن اللغة التي نستعملها تربي معهم طريقة النظر إلى الدين.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. [المائدة: ٨٧].
﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾. [المائدة: ٨٨].^{١٨}

لا نستطيع أن نتقرب إلى الله بأن ننسب إليه منعاً لم يثبت. وقد نختر في حياتنا تقليل شيء أو تركه، من غير أن نغير اسمه الشرعي أو نحكم به على غيرنا.

١٨ القرآن الكريم، المائدة: ٨٧-٨٨. الآية ٨٧، الآية ٨٨. مقابلة نص الآيتين؛ الاستدلال على منع تحريم الطيبات ووجوب حفظ الفرق بين الترك الشخصي والحكم الشرعي.

العبارات هنا تصنع فرقاً: «هذا لا يناسب وقتنا»، «نقل منه حفاظاً على صحتنا»، «لا أستطيع أن أضبط نفسي معه»؛ كلها تصف أسباباً شخصية يمكن بحثها. أما «هذا حرام» فتحتاج دليلاً على الحكم الذي نسبته إلى الله. وحتى بغير لفظ التحريم، قد تؤدي السخرية المتكررة ممن يأخذ بالمباح وظيفية قريبة منه في نفس السامع.

وقد تكون النصيحة بحق في وصف خاص للفعل. شيء مباح في أصله قد تقع به إساءة أو يترتب على طريقته ضرر أو حق للغير. عندئذ نوضح الوصف المحدد الذي نحتاج إلى إصلاحه. لا نبرئ كل استعمال بكلمة «مباح»، ولا نتهم الأصل كله لأن بعض طريقه آذت أحداً.

من يربي طفلاً أو يقود جماعة مسؤول عن الأثر الأوسع لعبارته. تستطيع الأم في مثالنا أن تحدد مقدار ما تشتريه لبيتها، وأن تتحاور مع أولادها فيما يناسبهم، وتبقى بيوت الناس لها أحوال أخرى. ومدير المجموعة يستطيع تنظيم استعمال مورد مشترك بحسب تفويضه، لكن رأيه في الزهد الشخصي لا يصبح تلقائياً حكماً على اختيارات كل من معه. وإذا اكتشفت أنك وصفت أمراً مباحاً بأنه محرم بغير علم، فارجع علناً حيث انتشرت عبارتك. لا تحتاج إلى شرح طويل

يحفظ لك هيبتك. قل: أخطأت في الحكم، وهذا ما تبين لي. قد يتعلم من يسمع رجوعك أمانة أعظم من التي تعلمها من شدة خطابك الأول.

البيت الذي بدأنا به يستطيع أن يقلل الحلوى، ثم يستقبل ضيفًا قدمها له بمحبة فلا يتحول اللقاء إلى اختبار. نحتاج إلى ضبط اختياراتنا وإلى سعة في التعامل مع الناس. كلاهما ينبت من معرفة الحد الذي وضعه الله، ومن تواضع لا يضيف إليه من عنده.

وفي موسم الامتحانات تمنع أسرة الشاشات عن البيت كله أسبوعًا؛ لأن أبناءها لا يستطيعون ضبط الوقت حين تظل مفتوحة. قد يكون ذلك تنظيمًا نافعًا إذا راعوا حاجات الجميع واتفقوا عليه بعدل. لكن أن يقول أحدهم لجاره إن كل مشاهدة مباحة في وقت الراحة مخالفة للورع، فهذه خطوة أخرى تحتاج دليلًا لا تمنحه تجربته العائلية. يمكنه أن يشرح ما نفعه دون أن يصادر اتساع الأحوال.

وربما تبين بعد شهر أن المنع الشامل أضر بعلاقة أحد الأبناء بأهله البعيدين، أو عطل دراسة يحتاج فيها إلى جهاز. يستطيع الوالدان إعادة النظر في وسيلتهما دون أن يعدا ذلك سقوطًا من طاعة إلى معصية. نظم المباح تتغير بالتجربة

والاتفاق، أما حدود الشرع فلا تُنشأ بمجرد نجاح خطة في منزل واحد. حين يفصل الإنسان بينهما يصبح أقدر على مراجعة الخطة، وعلى شكر من استطاع نفعًا مباحًا بغير خطته.

كما أن للمنظمات والبيوت أن تضع سياسات تنظم العمل، لكن السياسة تُنسب إلى واضعها وسببها. قد تمنع الجهة استخدام جهاز لاعتبارات الأمن، أو يحدد البيت وقتًا للشاشات لمصلحة الأبناء؛ فيلتزم المرء بالنظام المشروع من غير أن يزعم أن كل مخالف له قليل الورع بإطلاق. وإذا بالغ في عبارته، صححها بلا حرج: «قصدت نظامنا، لا حكم الناس جميعًا». هذا الرجوع الصغير يربي اللسان على الأمانة، ويمنع العادات النافعة من أن تتحول إلى أبواب ضيق.

وتظهر المشكلة أيضًا في المدح. قد نمدح شخصًا لأنه ترك مباحًا نافعًا له، ثم نصوغ المدح كأن الترك فضيلة مطلقة. الأعدل أن نمدح ضبطه لنفسه أو وفاءه بهدفه، لا أن نذم أصل الشيء ولا من ينتفع به باعتدال. بهذا يتعلم السامع أن الفضل قد يكون في حسن التدبير، لا في كثرة قائمة الممنوعات.

١٦ أسأل أهل الذكر

سألت طالبة عن عبارة في بحثها، فأجابتها صديقة بآية سمعتها من قبل. شعرت أن الجواب قريب، لكن الأمر في تخصص لم تعرفاه بما يكفي. تستطيع أن تشكر صديقتها على حرصها، ثم تبحث عن صاحب العلم الذي يفهم السؤال، وتعرض عليه النص والسياق. هذه ليست قلة ثقة في الصداقة؛ هي احترام للمسألة ولمن ستكتب لهم النتيجة. قال الله تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

جاءت الآية في سياق الاحتجاج على من أنكر بشرية الرسل، ويستفاد منها أصل الرجوع إلى أهل العلم عند الجهل.^{١٩} وحين يتعلق السؤال بدينك أو حق غيرك، يصبح من أمانتك أن تعرف ماذا تسأل ومن تسأل.

١٩ القرآن الكريم، النحل: ٤٣. سياق الآية في الرد على من أنكر بشرية الرسل؛ استعملت هنا في أصل الرجوع إلى أهل العلم عند الجهل، دون جعل كل متصدر من أهل الذكر أو إسقاط واجب تحرير صورته الواقعة.

ابدأ بوصف الواقعة قبل البحث عن جوابها. ما الذي حدث؟ من له الحق؟ ماذا يقول المستند؟ ما الذي تعلمه يقيئًا، وما الذي تظنه؟ قد تكتشف عند كتابة السؤال أنك لا تعرف وصفًا أساسيًا. وحينئذ تعود إليه أولاً؛ فلا يصح أن تطلب جوابًا دقيقًا لصورة تركت أهم أجزائها فارغة.

وفي المسائل التي تحتاج إلى معرفة فنية وحكم شرعي، قد يحتاج السائل إلى أهل اختصاص مختلفين. من يشرح له تركيب علاج أو أثر عقد يبين جانبًا من الواقع؛ ومن يعرف الأحكام ينظر في الصورة الموصوفة له. لا نجعل أحدهما يقول في تخصص الآخر بلا بيان، ولا نسكت عن وصف قد يغير النتيجة.

قد تقول في سؤالك: «وصلتني هدية». ويكون المؤثر أنها وصلت ممن تنتظر منه خدمة في موقع كُلفت به. إذا حذفت هذه الجملة، لم يعد الجواب عن الواقعة التي تعيشها. الصدق في السؤال قد يصعب أكثر من طرحه؛ لأنك تعرض فيه الوصف الذي كنت تتمنى لو لم يكن موجودًا.

ثم انتبه إلى القيد الذي في الجواب: إن كان الملك لك، أو إن أذن صاحبه، أو في هذه الصورة خاصة. لا تحتفظ بالنتيجة وحدها وتترك «إن» التي قامت عليها. وإن تغير شرط العقد أو

الدور الذي تؤديه، فاسأل عن الجديد بقدره. أما إعادة السؤال من غير تغيير مؤثر بعد جواب كاف، فقد تعيدك إلى القلق بدل أن تزيد علمًا.

ويبقى الجواب متعلقًا بالصورة التي عرضتها. احتفظ بالسؤال معه حين تنقله؛ فقد يكون الشرط الذي أسقطته من الحكاية هو الذي قام عليه الحكم. وفي الفصل ٥٠ ننظر في اختيار من نسأل، أما أمانتك هنا فتبدأ قبل أن تسمع جوابه: أن تعطيه الحقيقة كاملة.

ومن أدب السؤال ألا تطلب من المسؤول تصديق دعواك على شخص غائب. صف ما رأيته أو ما في الوثيقة، وافصل بينه وبين تفسيرك للنية. إذا كان الخلاف مع شريك، فاذكر قوله كما فهمته، واترك مساحة لاحتمال أنك لم تنقل كل قصده. لا يضيع حقك بهذا الإنصاف؛ بل يصل الجواب إلى واقعة أقرب إلى حقيقتها.

أما إذا أخطأت في عرض الوصف، فارجع بالتصحيح. قل: أغفلت أن المال مشترك، أو تبين أن الإذن كان مقيدًا، أو لم يكن العقد كما ظننت. لا تحاول حماية جواب سابق من معلومة تهدم مقدمته؛ الجواب أمين للصورة التي عرضت،

وأمانتك أن تعرض الصورة التي عشتها. بهذا يصبح السؤال عبادة صدق، لا وسيلة لنقل مسؤولية قرارك إلى اسم آخر. وقبل الإرسال، افصل في ورقة قصيرة بين أربع خانات: الوقائع التي رأيته، والنصوص التي قرأتها، وما استنتجته أنت، وما تريد معرفته. هذا الفصل الصغير يمنع أن يدخل تفسيرك في السؤال كأنه حقيقة ثابتة. تقول مثلاً: «ينص العقد على كذا»، ثم: «وأفهم منه كذا»، ثم تسأل: «هل هذا الفهم صحيح، وما أثره؟» عندها يستطيع المسؤول أن يصحح الوصف قبل أن يبني عليه.

ولا تجمع الأجوبة المتعددة من غير غرض واضح. قد تسأل ثانية لأن الأول لم يفهم وصفك، أو لأن المسألة تحتاج اختصاصاً آخر، أو لأنك علمت معلومة جديدة؛ وهذه أسباب يمكن تسميتها. أما سؤال أشخاص كثيرين حتى يخف ثقل جواب لم يعجبك، فينقل الحيرة من طلب العلم إلى طلب المخرج. الصدق أن تذكر للمسؤول ما سبق أن قيل لك إذا كان مؤثراً، وأن تسأله عن موضع الاختلاف بدل أن تعرض السؤال كأنه يبدأ من الصفر.

وللخصوصية حقها أيضاً. لا ترسل عقدًا كاملاً أو قصة أسرية بأسماء أصحابها في قناة عامة إذا كان يمكن حذف ما لا

يحتاجه الجواب أو اختيار طريق يحفظ السر. كمال الصورة لا يعني كشف كل هوية؛ يعني إيصال الأوصاف المؤثرة إلى من ائتمنته على السؤال. وقد تحتاج أحياناً إلى موافقة صاحب المعلومة قبل عرض وثيقته، أو إلى حجب ما لا صلة له بالمسألة.

وبعد الجواب حدّد الفعل الذي يليه: بند استراجعته، وحق ستؤديه، وموعد ستعود فيه إن ظهرت معلومة جديدة. فالسؤال ليس زينة للمعرفة ولا طريقة لتأجيل القرار كلما اقترب. من بركة العلم أن ينقل المسألة من الدوران في الرأس إلى خطوة معلومة، وأن يعرف السائل متى انتهى دوره في جمع الجواب وبدأ دوره في الوفاء به.

رجعت الطالبة إلى بحثها. قد تأخذ جواباً يضبط العبارة، أو تكتشف أن المسألة أكبر من شاهد واحد فتغير بناء الفقرة. في الحاليين صارت أقدر على أن تكتب ما تعرفه، وأن تترك ما لم يتبين لها. وبعد السؤال يأتي العمل بما عُلّم، ومن هنا نتقل إلى هدي السنة في وقائع قصيرة كشفت حدود الورع بالفعل.

الباب الثالث: الورع في السنة

١٧ تمر الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ
الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَخِ كَخِ - لِيَطْرَحَهَا
ثُمَّ قَالَ - أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ».^{٢٠}

في الخبر لحظة قصيرة يستطيع الطفل أن يفهمها: التمرة
طيبة في نفسها، لكن طريق وصولها إليه غَيْرَ حكمها في حقه.
لم يكن البيان درسًا في الخوف من الطعام. عُلِّمَ الحسن سبب
الترك، فصار للحد اسم ومعنى. والطفل الذي يسمع السبب
أقدر على أن يميز بين طعام أُذِنَ له فيه، وآخر لا يأخذه بسبب
يخص طريق وصوله إليه؛ فلا ينشأ وهو يظن أن كل لقمة
مجهولة خطر ينتظره.

وعن أنس رضي الله عنه قال:

٢٠ صحيح البخاري ١٤٩١، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ وآله،
عن أبي هريرة؛ وفيه أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرًا من تمر الصدقة
وأمر النبي ﷺ بطرحها. الحكم في صدقة مخصوصة وحق آل البيت؛ لا يُحوَّل إلى
أصل للشك في كل طعام مجهول التفاصيل.

«مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً لَأَكَلْتُهَا».^{٢١}

هنا رغبة لها منشأ محدد: احتمال الصدقة وما يتعلق بها من حكم خاص. لو محونا السبب وصارت القصة دعوة إلى الشك في كل طعام، لفقدنا دقتها. تعلمنا السنة أن ننظر في الشيء والطريق الذي جاء منه، وأن نعرف لماذا نتوقف.

قد تكون التمرة صغيرة في أعين من يقرؤون عنها، لكنها لم تكن خارج العلم الذي يحتاجه الآخذ. وإذا ظهرت اليوم لقمة أو منفعة من طريق تعرف أن فيه حقًا لغيرك، فلا تصغرها لتسكت عن السؤال. حجم الشيء ليس دائمًا حجم المعنى الذي يختبره في قلبك.

وفي الجهة الأخرى، لا تصنع من صغر التمرة عذرًا لتفتيش كل تفصيل مجهول في رزق الناس. لم يبين الخبران على ملاحقة الخواطر. لكل واحد منهما سياقه وسببه. حين يكون عندك سبب حقيقي للسؤال، اسأل؛ وحين يظهر حكم الشيء، اعمل

٢١ صحيح البخاري ٢٠٥٥، كتاب البيوع، باب ما ينتزه من الشبهات، عن أنس رضي الله عنه؛ وفيه امتناع النبي ﷺ عن التمرة الساقطة خشية أن تكون من الصدقة. سبب التوقف احتمال محدد متعلق بالصدقة، لا مجرد نفور غير مفسر.

به. هكذا تصير القصة معرفة تعينك على الحركة، بدل صورة
تزيد قلقك بلا عمل.

يحتاج الطفل أيضًا أن يرى الفرق بين المنع والحرمان. قد
تمنعه أمه من استعمال مبلغ جُمع لرحلة المدرسة، ثم تعطيه
من مالها ليشتري ما يحتاجه. الشيء الذي أراده مباح، لكن
المال المخصص للرحلة لم يكن مباحًا لهذا الشراء. إذا فهم هذا
الفرق، صار قادرًا على احترام المال المخصص من غير أن
يظن أن حاجته عيب أو أن كل إنفاق مخاطرة.

وفي البيت أشياء صغيرة تحمل أسماء أصحابها: قطعة حلوى
احتفظ بها أخ لأخيه، أو جهاز أعير لوقت محدد، أو صندوق
تبرع لا يفتح للنفقات اليومية. حين يعرف الصغير لماذا لا
يأخذ، يتعلم أن الملك والإذن جزء من صورة الشيء. لا نحتاج
إلى إغراقه في فروع لا تناسب سنه؛ يكفي أن يسمع حقيقة
قريبة: هذا ليس لنا، أو هذا جعل لغرض آخر، أو نسأل صاحبه
أولاً.

تخيّل أنك متطوع في إعداد طعام لطلاب مدرسة. توجد
صوانٍ مخصصة لفئة في نشاط معين، وأخرى أتيح منها
للجميع. ربما يشبه الطعام بعضه بعضًا، لكن الجهة التي وزعته
تعرف سبب تخصيصه. إذا سألك طفل عن قطعة، لا تخترع

من نفسك إذناً عاماً لمجرد أن القطعة صغيرة؛ ارجع إلى من يعرف ترتيب التوزيع، ثم قدّم له ما أتيح إذا وُجد. هذا مثال معاصر في الانتباه إلى حد الإذن، وليس تنزيلاً لحكم صدقة النبي ﷺ على طعام المدرسة.

ويتعلم الكبير من المشهد نفسه أن يصحح بأقصر طريق نافع. إن أخذ طفل شيئاً ظنه متاحاً، نرده ونبين السبب، ثم نبحت عن خلل الترتيب الذي أوهمه. لا نحول الواقعة إلى محاكمة لذمته، ولا نضحك على السؤال حتى يخشى أن يسأل مرة أخرى. الورع الذي يبدأ بتمرة يستطيع أن يصنع في البيت لغة واضحة للحدود، بلا قسوة وبلا غموض.

ويعين على حفظ الحقوق أن تحمل الأشياء المشتركة أسماء واضحة. صندوق الرحلة لا يختلط بمصروف البيت، والهدية المخصصة لشخص لا توضع مع ما أتيح للجميع، والكتاب المستعار يبقى معروفاً حتى يعود إلى صاحبه. التنظيم هنا لا يغني عن الأمانة، لكنه يساعدها؛ فالطفل والكبير يخطئان أقل حين يرون الحد قبل أن تمتد اليد.

وإذا توليت توزيع منفعة، فاسأل قبل أن تجتهد: لمن خُصصت؟ من يملك تغيير وجهتها؟ وماذا أفعل بما بقي؟ قد تكون الإجابة مكتوبة في رسالة قصيرة أو معلومة عند

صاحب التفويض. لا تستبدل بها ظنك ولو كان مقصدك حسنًا. الإذن لا يصير أوسع لأن الباقي قليل، والنية الطيبة لا تجعل يدك مالكة لما وكلت بحفظه.

لكن وضوح الحدود لا يربي البخل. بعد أن يعرف الإنسان ما ليس له، يتعلم كذلك أن يبذل مما يملك بإذن وطيب نفس. تستطيع الأم أن تقول: هذه القطعة لأختك، وسأعطيك من هذا الطبق؛ ويستطيع المسؤول أن يحفظ المخصص ثم يطلب إذنًا في الانتفاع بالباقي. بذلك لا يسمع الصغير كلمة «لا» وحدها، بل يرى أن المنع يحرس حقًا، وأن العطاء الصحيح يفتح بابًا آخر.

١٨ حديث «دع ما يريبك»

عرفت امرأة أن رسالتها لصديقتها تحتمل معنى غير الذي تريد. قرأتها مرة، ثم غيرت جملة صغيرة حتى لا توهم أنها وافقت على وعد لا تقدر عليه. في مثال كهذا قد يكون الطريق الأوضح قريبًا جدًّا؛ يحتاج إلى صدق في العبارة قبل الضغط على زر الإرسال.

قال أبو الحوراء السعدي:

«قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ».^{٢٢}

في الحديث صلة بين الصدق والطمأنينة، وبين الكذب والريبة. لا يعني ذلك أن كل كلمة صادقة سهلة، أو أن ألم قول الحق يزول فورًا. لكنك حين تصوغ ما تعنيه حقًّا، تستغني عن حراسة معنى خفي تريد أن يفهمه الآخر ولا تريد أن تتحمل مسؤوليته.

٢٢ جامع الترمذي ٢٥١٨، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. الدلالة على الانتقال من ريبة معتبرة إلى الأوضح؛ لا على جعل كل قلق نفسى حكمًا شرعيًا.

ترشدنا الوصية إلى الانتقال. قد يكون الذي يريْبك بنْدًا لا تعرف أثره، فيكون الطريق الأوضح أن تسأل قبل التوقيع. وقد يكون منفعة لا تملك الإذن فيها، فيكون الواضح أن تتركها حتى تعرف حقك. وقد يكون كلامًا تزيينه ليخدع، فيكون الواضح أن تقول ما تقصده. لا يشترط أن تهجر أصل العقد أو العلاقة إن أمكن إصلاح موضع الريبة فيها.

ولهذا ابدأ بتسمية الجزء الذي يشغلك. «القرار كله سيئ» عبارة واسعة لا تساعدك. ما المعلومة الناقصة؟ هل هناك صاحب حق؟ هل تجهل حكمًا أو تخشى كشف حقيقة تعرفها؟ تتغير الخطوة حين تعرف موضع التردد؛ تذهب إلى من يملك البيان بدل أن تعيد الدوران حول قرار كبير بلا صورة واضحة.

ومن الصدق أن ترى أثر رغبتك في اختيار الأسماء. قد تسمي العملة «هدية» لأن هذا أخف عليك، أو تسمي الخبر غير المتحقق «مجرد مشاركة» لأنك تريد إرساله. لا يحسم تغيير الاسم حكم الشيء. إن كانت الصورة تحتاج إلى سؤال، فأعط السائل أو العالم حقيقتها، بما فيها التفصيل الذي كنت تتمنى لو لم يكن فيها.

وللوصية موضعها الذي يحفظ دلالتها. قد يخاف إنسان اختبارًا لازمًا، أو يظل قلقًا من فعل أبيح له بعد بيان معتبر. هنا لا تتحول الراحة النفسية إلى مصدر مستقل للأحكام. إن عرفت الحكم وبقي الشعور، فتعامل مع الشعور من بابه؛ وإن ظهرت معلومة جديدة مؤثرة، فانظر في أثرها. تميز هذين الحالين يحفظ الحديث ويخفف عن القلب.

وفي بعض المواقف يكون البديل مكلفًا: تعتذر، أو ترد مألًا، أو تعلن شرطًا قد ينصرف لأجله الآخر. ليست الطمأنينة وعدًا بأن تزول كل كلفة. قد يبقى الموقف صعبًا، لكنك تعرف لماذا اخترت الطريق الذي تستطيع أن تصفه بلا مراوغة.

وفي ورشة الخياطة الصغيرة تعرض امرأة على جاريتها أن تصلح لها ثوبًا قبل مناسبة عائلية. تذكر ثمن القماش والعمل، ثم تدرك أنها لم تسأل عن موعد وصول القطعة الناقصة. يسهل عليها أن تقول «بإذن الله سيكون جاهزًا» لتظفر بالطلب، مع أن الموعد يتوقف على شيء لا تملكه. الطريق الأوضح أن تذكر ما تعرفه: أستطيع إنجاز الخياطة في يومين بعد وصول القطعة، وسأخبرك إن تأخرت. قد تختار الجارة محلًا آخر، لكن الوعد الذي بقي صادقًا لا يطارده صاحبته مساء المناسبة.

هنا لا يصبح كل احتمال سبباً لإغلاق الورشة، ولا يُطلب من الصانعة أن تضمن الغد. يكفيها أن تميز ما هو في يدها مما ينتظره عمل غيرها، وأن تتيح للزبونة قراراً على بينة. إذا وصلت القطعة مبكراً أمكنها الوفاء، وإذا تأخرت وجدت بينهما لغة مشتركة للحديث عن البديل. انتقال الحديث إلى ما لا يريب ليس حركة خائفة تنتهي بالانسحاب دائماً؛ قد يكون نقلاً للكلام من وعد مبهم إلى اتفاق يعرف الطرفان حدوده. وحين تتردد بين طريقين، لا تكتف بأن تكتب عيوب أحدهما. اكتب ما تعرفه عن كليهما، وما الذي يمكن الرجوع عنه، ومن يتحمل أثر الخطأ في كل اختيار. ربما كان الطريق الأوضح أقل راحة لك لكنه أحفظ لحق غيرك، وربما كان خوفك من البديل مبنياً على تصور لم تسأله. المقارنة العادلة تكشف حين تكون النفس قد جعلت ما تريده هو الأصل، ثم وصفت غيره بأنه «مريب» من غير بينة.

أعادت صاحبة الرسالة في المثال قراءتها بعد التعديل. صارت الجملة أدق، وإن بقي عليها أن تنجز ما وعدت به. هذه حركة الحديث في اليوم: أن تدع عبارة توهم، إلى عبارة تظهر؛ وأن تستبدل خطوة تخفي الحق بأخرى تحفظه.

كما أن الانتقال إلى ما لا يريْبك لا يعني اختيار البديل الأعلى أو الأشد دائمًا. المقصود وضوح الطريق بحسب العلم المتاح والحقوق القائمة. قد يكون البديل عقدًا أبسط، أو تأجيل نشر، أو شراء من جهة تبين وصفها، وقد يكون المضي في المباح بعد ظهور حكمه. الشدة ليست مرادفة للوضوح.

وإذا اشترك معك آخرون، لا تجعل ريبتك الخاصة حكمًا ملزمًا لهم قبل البيان. اشرح موضع النقص واطلب الوقت المعقول، ثم شاركهم النتيجة. إن كان الحق لهم، كان صوتهم جزءًا من القرار. وإن كانت المسألة خاصة بك، فاختر لنفسك من غير اتهام من اختار غيرك على علم.

١٩ الإثم ما حاك في الصدر

قد يكتب إنسان مراجعة قاسية لشخص اختلف معه، ثم يتوقف عند عبارة فيها واقعة لم يرها بنفسه. يتمنى أن يصدقها، لأنها تقوي موقفه. وعندما يحذفها يشعر أن كلامه صار أقل قوة، لكنه أقرب إلى ما يعلم. هذا التردد لم يمنحه حكمًا جديدًا؛ ذكره فقط بأن يتثبت من الشيء الذي أراد أن يقوله.

عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال:
«سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ
وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».^{٢٣}
في العبارة دعوة إلى محاسبة الصدر، خصوصًا حين نحاول أن نخفي عن الناس الجزء الذي يغير صورتنا عندهم. يعرف المرء من دوافعه أحيانًا ما لا يراه من يستمع إليه؛ فينتفع بأن يقف ويسأل نفسه عن حقيقة ما يفعل.

٢٣ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، حديث ١٢٥٥٣،
عن النواس بن سمعان الأنصاري؛ النص الكامل في الفصل ١٩، وتحيل إليه الفصول
٢١ و٢٤.

لكن كراهة اطلاع الناس وحدها ليست حكمًا على كل خفي. قد يستتر إنسان صدقته إخلاصًا، أو يصون خصوصية مباحة، أو يخشى سخرية الناس من حق يتبعه. وقد يقلق من أمر مباح لأنه لم يعتده، أو من فعل صححه مرارًا بسبب وسواس. لهذا لا نقول لمن انقبض صدره: صار الشيء حرامًا؛ ولا نقول له أيضًا: لا تسمع قلبك. نسأله عما وراء هذا الانقباض، ثم نرجع إلى العلم والواقعة.

وفي الأمر الذي بقي مشتبهًا، لقلب المؤمن المتقي نصيب من هذا التنبيه؛ فيدع ما يريبه استبراءً لدينه إذا لم يعارض ذلك دليلاً بيّنًا أو يضيّع واجبًا. وقد يختار لنفسه التنزه مع بقاء موجب معتبر للاشتباه، ولو وُجد من يفتيه بالجواز؛ أما الفتوى القائمة على دليل شرعي فلا يردّها لمجرد انقباض صدره، كما يبيّن ابن رجب. وهذا غير شك قهري يعيد سؤالاً انكشف جوابه، وغير شعور يجعل به الحلال البيّن حرامًا على الناس.^{٢٤}

٢٤ السبت، «أعمال القلوب»، ج ١، ص ٣٥٨-٣٥٩، ٣٨٢، ٣٨٦. محل الإفادة بقاء عمل القلب في المشتبه عند المؤمن المتقي؛ وقيد المتن يمنع تحويل الانقباض المجرد إلى تحریم، أو إحياء الشك القهري، أو إهدار واجب. وانظر ابن رجب، «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث السابع والعشرين، فقرة «وإن أفتاك المفتون»: النص الإلكتروني. يفرق بين الشبهة الباقية ورد الدليل الشرعي لمجرد انقباض الصدر؛ الإحالة هنا للنص الإلكتروني، لا لصفحة في الطبعة المصوّرة السابقة.

في مثال المراجعة، يمكن أن يحدد ما يعلم من تجربته، وما لم يتحقق منه، وأن يحذف ما لا يملك نسبته. هنا خدمه الشعور لأنه نبّهه إلى دعوى قابلة للفحص. لو ظل بعد الحذف يراجع كل كلمة عشرات المرات بلا معلومة جديدة، لاحتاج إلى طريقة أخرى للخروج من إعادة لا تنتهي. ما ينفع في البداية قد يصبح بعد البيان عبئًا على صاحبه.

الاعتراف بالهوى لا ينبغي أن يسحق الإنسان. قد يفرح عندما يكتشف أنه يفضل رأيًا يخدم مصلحته، ثم يعود ليختبر الدليل من غير أن يدعي براءة كاملة لنفسه. القلوب تتربى بهذا الصدق: لا تصدق كل شعور يمر بها، ولا تتركه حين يكشف رغبة كانت تتخفى وراء كلمة حسنة.

اسأل نفسك مرة واحدة عن موضع الكتمان: هل أخفي حقيقة لها أثر على حق أحد أو قراره؟ فإن ظهر شيء، أصلحه أو اسأل عنه. وإن تبين الأمر مباحًا، فلا تجعل شعورك بالحرَج من اطلاع الناس سببًا لإعادة حكم انتهى. الذي يربيه الحديث ضمير حي يعمل، لا ضمير يظل يحاكم كل لحظة من غير بيّنة. وقد يكشف الصدر انقسام العبارة لا أصل الفعل. تكتب تقريرًا صحيح الأرقام، لكنك تختار له عنوانًا يوهم نجاحًا أكبر لأنك لا تريد مناقشة الجزء الضعيف. تستطيع أن تسأل: لو قرأ

صاحب القرار البيانات كاملة، هل سيفهم ما فهمه من العنوان؟ هنا صار الانقباض مدخلاً إلى فحص يمكن إنجازَه، لا سرّاً غامضاً يحتاج إلى تفسير لا ينتهي.

وفي علاقة قريبة قد تخفي كلمة لأنك تخشى خلافاً، لا لأن الكلمة نفسها باطلة. ليس كل ما نخجل من قوله واجب الإظهار لكل أحد. انظر: هل وعدت وعداً يعتمد عليه غيرك؟ هل سيتخذ قراراً على معلومة تعرف خلافها؟ هل حفظ السكوت خصوصية مشروعة أم صنع صورة غير حقيقية؟ هذه الأسئلة تنقل الشعور من دائرة الاتهام إلى دائرة الأمانة.

يطلب منك شخص مراجعة توصية كتبها لصديق. جملة واحدة تمدحه بأنه أتقن عملاً لم تره منه، لكنها تبدو طبيعية في خطاب التزكية. يخاطبك ضميرك لأنك تعرف موضع الزيادة؛ تستطيع أن تسأل الصديق عما أنجزه فعلاً أو تصوغ ما شهدته أنت: كان ملتزماً بالمواعيد في المشروع الذي عملنا عليه. إذا زال سبب الانقباض بالصدق، لم يعد عليك أن تفحص كل صفة ممكنة فيه قبل إرسال الخطاب.

وإذا كان ضيق الصدر ناشئاً من خوف قديم من الكتابة للناس، لا من معلومة تعرف أنها غير صحيحة، فلا يكفي الضيق وحده لإلغاء التزكية. استعن بمعيار واضح: ما الذي شهدته،

وما لا تعلمه، وما الذي سيظنه القارئ من عبارتك؟ بهذا تساعد زميلك من غير أن تعطيه شهادة عن مجهول، وتمنع خوفك من أن يسكتك عن كلمة نافعة تستطيع قولها بحق.

وبعد البيان، لا تعد فتح السؤال لمجرد أن القلق عاد بالصوت نفسه؛ إنما تجدده إن ظهرت حقيقة مؤثرة لم تكن تعرفها.

وفي القرارات الجماعية قد لا يكون الخفاء عن الناس جميعاً، بل عن صاحب حق واحد. يعرف الفريق أن المورد قريب من أحد أعضائه، لكن لجنة الاختيار لا تعرف. أو يعرف بعض الورثة ديناً على التركة ولا يذكرونه لمن يقسمها. لا يكفي أن تكون المعلومة معروفة في مجلس ما؛ اسأل هل وصلت إلى الشخص الذي يتغير قراره بها. هنا يدلك انقباض الصدر إلى موضع إفصاح له وظيفه واضحة.

والصدر الذي يستفتى يحتاج إلى قلب يتعلم ولسان يسأل، لا إلى شعور منفرد يشرّع. قد ينقبض الإنسان من حق لأنه يخالف هواه، وقد يرتاح إلى باطل لأنه اعتاده. لذلك يُعرض ما يجده على العلم والعدل والحقوق. الوجدان ينبهك إلى موضع مراجعة، ثم تأتي الأدلة والوقائع لتبين الطريق.

إذا حاك في صدرك أمر يتعلق بإنسان آخر، ابدأ بحقه قبل تحليل إحساسك. ربما كان الانقباض من تأخير مال أو إخفاء

معلومة أو نسبة جهد إلى نفسك. رد الحق أو اشرح الصورة،
ثم انظر إلى ما بقي. لا تجعل البحث عن راحة القلب سببًا
لتأجيل واجب ظاهر.

وحيث تنصح غيرك، لا تقل له إن قلبه وحده يعرف الحكم.
ساعده على تسمية الواقعة، وتمييز الحق، وسؤال من يعلم.
قد يكون ضميره حيًا لكنه قليل الخبرة، أو يكون متعبًا فيرى
الخطر في كل شيء. الرحمة أن تجمع له بين احترام إحساسه
وعدم تحميله ما لا يحتمل.

٢٠ من حسن إسلام المرء

في طريق عودتك إلى البيت قد تفتح هاتفك لتعرف خبرًا واحدًا، ثم تجد نفسك بعد ساعة تتبع حياة أشخاص لا تعرفهم: خلافاتهم، مشترياتهم، وما ظنه الآخرون في نياتهم. لم تؤذ أحدًا بكلمة بعد، لكن شيئًا من وقتك وقلبك صار مشغولًا بما لا تملك إصلاحه ولا تحتاج معرفته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».^{٢٥}

حسن النووي هذا الحديث، وفي طرقه خلاف مبين في الحاشية. نقرأه مع هذا البيان، فلا ندعي اتفاقًا على ثبوته. ومعناه يلفت النظر إلى حدود العناية: فلا نستهلك العمر في تفاصيل لا يتعلق بها واجب ولا نفع معتبر.

٢٥ جامع الترمذي، كتاب الزهد: طريق أبي هريرة في ٢٣١٧، ووصفه الترمذي بالغريب؛ وطريق مالك عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً في ٢٣١٨، ورجحه الترمذي على طريق أبي سلمة عن أبي هريرة. فالرقمان هنا لطريقين مختلفين، ولفظ «أصح» ترجيح بينهما، ولا ينقل إلى تصحيح مطلق للحديث. وأورده النووي في الحديث الثاني عشر ووصفه بالحسن. هذه أحكام منقولة بأصحابها، وليست دعوى اتفاق أو دراسة أسانيد مستقلة.

ولا يعني «ما يعنيني» ما يريحني وحده. قد يعينك أمر لا ترغب فيه: حق والد يحتاج إلى رعاية، أو أمانة قبلتها، أو شهادة تعرفها، أو خبر من شأنه سلامة من تحت مسؤوليتك. يخطئ من يترك الواجب بحجة أنه يريد أن ينشغل بنفسه فقط. السؤال الأدق: هل لي هنا دور يطلب مني علمًا أو عملًا؟

وقد يعينك أصل القضية ولا تعينك خصوصياتها. تريد أن تواسي قريبًا أصابه مرض؛ تحتاج إلى معرفة ما يطلبه من عون، ولا يلزمك أن تعرف تقريره الطبي كله. تريد مساعدة جار في خلاف؛ قد تحتاج إلى وصف الضرر، ولا تحتاج إلى جمع تاريخ أسرته. مقدار المعرفة تابع للعمل الذي تسعى إليه، لا لمقدار ما تستطيع انتزاعه بالسؤال.

وفي شأن عام يمس حياتك، خذ ما يغير قرارك من مصدره، وافهمه، ثم امض إلى عملك. متابعة كل تعليق بعد ذلك قد لا تضيف علمًا، لكنها تزيد الانفعال وتسرق القدرة على الفعل. ليس المطلوب اعتزال العالم؛ المطلوب أن تفرق بين حضورك فيه وبين أن تحمل كل ما يمر على شاشته.

وإذا طلب منك أحد الإصلاح، فحدد دورك قبل أن تدخل في أسرار لا تحسن حملها. تستطيع أن تقول: أستمع لك، لكن لا أستطيع أن أحكم بينكما من رواية واحدة. أو: أستطيع أن

أعينك في هذه الخطوة، ولا أحتاج إلى تفاصيل أكثر. هكذا تحفظ حدودك من غير أن تغلق باب العون.

في آخر يومك قد تجد وقتًا انفتح فجأة لصلاة بهدوء، أو حديث مع أهل بيتك، أو قراءة كنت تؤجلها. لم تصنعه ساعة جديدة؛ استعدته حين تركت بعض ما لم تكن ملزمًا بحمله. هذا هو السؤال الذي ينفعك من الحديث اليوم: ما الذي يستحق انتباهي حقًا؟

يصعب الترك حين تصمم التطبيقات أن تجعل كل خبر يبدو قريبًا وملحًا. ترى خلافًا في بلد بعيد، ثم مقطعًا عن أسرة لا تعرفها، ثم تعليقًا يغضبك. لا يحتاج كل ما أثار مشاعرك إلى موقف معلن منك. اختر وقتًا معلومًا للأخبار التي تمس واجبك أو قرارك، واترك ما عداها يمر من غير أن تمنحه بقية يومك.

وفي العمل قد يختلط الحرص بالتدخل. ينسخك زميل في رسالة لا تطلب منك جوابًا، فتشعر أن عليك مراجعة المشروع كله. قبل أن تدخل، اسأل عن دورك: هل ينتظرون موافقتي، أم أضيف اسمي للعلم؟ سؤال صغير يحمي الفريق من آراء متراكمة، ويحميك من حمل مسؤولية لم تُسند إليك. وإذا

رأيت خطرًا واضحًا أو حقًا سيفوت، فاذكره بقدر ما تعلم؛ ترك ما لا يعينك لا يعني الغياب عن أمانة ظهرت لك.

حين تذهب إلى مجلس عائلي، تجد من يسألك عن تفاصيل غياب أخيك: لماذا لم يحضر؟ وهل تشاجر مع أحد؟ قد تعرف السبب لأنه ائتمنك عليه، وقد لا تعرفه. تستطيع أن تقول ما يحفظ صلته بهم: هو بخير، وأرجو أن تلتقوا قريبًا، ثم تترك له أن يخبرهم بما يشاء. ليس كل سؤال فضولًا مذمومًا؛ ربما أرادوا الاطمئنان، وتستطيع إشباع ما يحق لهم من اطمئنان دون تسليم قصة لا تملكها.

وفي عملك قد تكون معلومة عن غائب مما يعينك فعلاً: إذا تعلقت بسلامة من ترعاه أو بمهمة ينبغي أن تسلمها إليه. حينئذ يكون السؤال من مسؤوليتك، ويحتاج الصمت إلى مراجعة. وظيفة الحديث أن تعلمك تمييز الحاجة من التسلية بالمعرفة؛ تكفيك من التفاصيل القدر الذي يسمح بفعل صحيح، ثم تحفظ الباقي لمن تخصه حياته.

ويمكن أن يكون للانتباه ميزانية مثل المال. تسأل في أول اليوم: ما الأشخاص والأعمال التي لها حق معلوم في وقتي؟ ثم تترك مقدارًا للأخبار والراحة والفضول المباح. إذا أنفقت، لا تستدين من نومك أو مجلس أهلك لتلاحق كل جديد. هذا

التنظيم لا يجعل اليوم آلة جامدة؛ يمنح القلب فرصة أن
يحضر حيث اختار أن يكون.

٢١ البر حسن الخلق

عاد أب إلى بيته وقد أمضى يومه يحرص ألا يأخذ منفعة لا تحل له. دخل مرهقًا، فرد على سؤال ابنته بحدة، ثم اعتذر بعد دقائق. لا تلغي الحدة أمانته في المال، ولا تلغي أمانته أثر كلمته على من يحب. في حياة واحدة يحتاج المرء أن يرى الموضوعين معًا، وأن يصلح ما يستطيع.

يربط حديث النواس، الذي قرأناه كاملاً في الفصل التاسع عشر، بين البر وحسن الخلق.^{٣٦} يفتح لنا هذا الشرط بابًا لا يظهر دائمًا حين يكون شغلنا كله بما نمتنع عنه. يحتاج الناس إلى أن يأمنوا من ظلمنا، وأن يجدوا في قربنا كلمة كريمة وحقًا مؤدى.

قد يختار المتورع لنفسه ترك شيء مباح، ثم يضيق بمن لم يتركه. وقد يحرص على دقة حق مالي ويهين من يسأل عنه. هنا لا نطلب منه أن يخفف أمانته، بل أن يمد أثرها إلى

٢٦ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، حديث ٢٥٥٣أ، عن النواس بن سمعان الأنصاري؛ النص الكامل في الفصل ١٩، وتحيل إليه الفصول ٢١ و٢٤.

معاملته للناس. فما فائدة أن يعرف مقدار ما لغيره من مال ثم لا يعرف قدر ما له من كرامة؟

وحسن الخلق يتسع للاعتذار وللمطالبة العادلة. إذا آذاك أحد، تستطيع أن تقول له إنك تأذيت وأن تطلب حَقَّك من غير افتراء عليه. وإذا أخطأت أنت، فحسن قصدك لا يغني عن إصلاح الأثر. وفي الوقت نفسه لا تملك أن تسامح باسم الرفق عن حق شريك أو غائب؛ الخلق الكريم يسير مع العدل، لا يتصرف في حقوق الناس نيابة عنهم.

قد يكون أشق أعمال يومك أن تسمع جواب من تختلف معه إلى آخره. ما دفعك إلى قطع كلامه ليس خشيتك من الخطأ فقط؛ ربما خفت أن يظهر بعض الصواب عنده. الورع هنا أن تكف عن ظلم القول، وأن ترد على ما قاله فعلاً، وأن تحفظ له حقه في ألا تنسب إليه ما لم يقل.

رجع الأب في المثال إلى ابنته. ليس في الاعتذار وعد بأنه لن يتعب مرة أخرى، بل اعتراف بأنه تكلم بحدة وأن عليه أن يغير طريقته. حين ترى منه هذا الرجوع، تتعلم أن الأمانة ليست صورة جامدة لشخص لا يخطئ، بل عمل يعود صاحبه به إلى الحق إذا زلّ.

وفي بيئة العمل يظهر حسن الخلق في تفاصيل لا تحمل أسماء كبيرة. ترد على من خالفك في الاجتماع دون أن تستعمل زلته القديمة، وتصحح خطأ المتدرب أمامه لا أمام جمهور لا يحتاج إلى معرفته، وتشكر من أنجز قبل أن تبدأ قائمة الملاحظات. هذه التصرفات لا تمنع التقييم الصريح؛ تجعل المقصود منه إصلاح العمل لا تثبيت تفوق شخص على آخر.

وقد يحتاج الخلق الحسن إلى حد واضح. من يتلقى رسالة جارحة في ساعة متأخرة لا يلزمه أن يجيب وهو غاضب. يستطيع أن يقول: سأعود إلى الموضوع غدًا، ثم يفي. التأجيل المعلن يختلف عن صمت يعاقب به الآخر أو يترك حقه معلقًا. وحين يخشى أن يظلم في الجواب، تكون المسافة القصيرة وسيلة لحفظ اللسان والعلاقة معًا.

ترسل جارتك طبقًا تحبه، فتجد فيه مكوّنًا لا يناسبك. تستطيع أن تشكرها وتشرح ما يلزمك إذا أرادت تكرار الهدية، دون أن تجعل ما طبخته موضع تهكم أمام البيت. قد يكون اختيار الطعام عندك مدروسًا، لكن حسن الخلق يظهر في كيف يحمل الآخرون معرفتهم بما تحتاج. لا ينبغي أن تدعي أنك أكلته إذا لم تأكل، ولا أن تحوّل اختلاف الذوق أو الحاجة إلى لوم.

وقد تصل المشكلة أكبر من طبق: يعتذر إليك صديق بعد كلمة ألمتك. ليس عليك أن تمحو أثرها فوراً كي تثبت حسن خلقك، ولا أن تردّها بكلمة أثقل. قل ما الذي أثر فيك وما تحتاج إليه لتستأنف العلاقة، واترك له فرصة أن يشرح دون أن تجعل شرحه إلغاءً لما شعرت به. البر في التعامل ليس قناعاً من اللطف يخفي الحقوق، بل طريقة تذكر بها الحق وتحفظ كرامة من تخاطبه.

ومن حسن الخلق في موضع الورع أن تعطي الناس فرصة البيان. قد ترى تصرفاً ناقص الصورة، فتستطيع السؤال عنه بلفظ لا يتهم: «هل اتفقتم على هذا؟» أو «هل وصل الإذن؟». الفرق بين السؤالين وبين قولك «كيف تأخذ ما ليس لك؟» هو الفرق بين طلب الحقيقة وإصدار الحكم قبلها. الأدب هنا لا يضعف الحق؛ يفتح الطريق إلى معرفته.

وحسن الخلق لا يعني تأجيل المطالبة إلى الأبد. لصاحب الحق أن يطلب حقه بوضوح، وللمسؤول أن يوقف إجراءً ضاراً، وللمربي أن يضع حداً. الميزان أن يكون اللفظ بقدر الواقعة، وأن يترك باب الرجوع مفتوحاً، وأن لا تتحول الزلة إلى اسم دائم لصاحبها. الحزم الذي يحفظ الكرامة أقرب إلى الإصلاح من غضب يريد أن ينتصر لنفسه.

وفي البيت يظهر الامتحان عند تكرار الخطأ. قد تشرح مرة، ثم تحتاج إلى نظام يمنع تكراره: مكان ثابت للأمانات، سجل للمصروف، أو قاعدة للخصوصية. الاعتماد على العتاب وحده يرهق الجميع. حين تبني إجراءً واضحاً، تقل المواقف التي تثير الغضب، ويصبح حسن الخلق جزءاً من تصميم الحياة لا مجرد محاولة للتماسك بعد كل أزمة.

وعند الخلاف، احفظ قدر الصواب عند مخالفتك. قد يخطئ في النتيجة ويصيب في التنبيه إلى معلومة غابت عنك. شكره على الجزء الصحيح لا يلزمك بقبول الباقي، لكنه يمنع الخصومة من ابتلاع الحقيقة. كما أن اعتذارك عن لفظ قاس لا يعني تنازلك عن الحق الذي تطلبه.

اختبر خلقك مع من لا تحتاج إلى رضاه: عامل خدمة، أو طفل أخطأ، أو غائب لا يدافع عن نفسه. هناك يظهر هل صار الورع رحمة وعدلاً، أم بقي صورة نحسها أمام من يهمننا رأيه. القلب الذي يتعلم التوقف عند الشبهة ينبغي أن يتعلم أيضاً التوقف قبل كلمة تهين إنساناً. ورب رد هادئ حفظ حقاً وقلباً في وقت واحد.

٢٢ ترك ما لا يعينك

جلست صديقة إلى أخرى تريد أن تواسيها. بدأت بسؤال عما تحتاجه، ثم كادت تسأل عن تفاصيل خلاف أسري لا علاقة لها بالمساعدة التي عرضتها. توقفت. لم ينقص ودها بالسكوت عن السؤال؛ صار لصاحبها مكان تختار فيه ما تريد قوله وما تريد ستره.

قال الله في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».^{٢٧}

في الفصل العشرين نظرنا إلى ما يستحق وقتنا وانتباهنا؛ وهنا ننظر إلى اللسان عندما يستطيع أن يقتحم حياة غيره بسؤال يبدو عادياً.

٢٧ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث ٦٠١٨، عن أبي هريرة. أثبت متنه كاملاً في الفصل ٢٢؛ ولا يجعل الأمر بالصمت السكوت أفضل من شهادة أو بصيحة أو بيان واجب.

ليست كل صداقة إذناً بكل تفصيل، ولا كل حقيقة قابلة للنقل لمجرد أنها صدقت. ربما عرفت سبب غياب إنسان لأنه استأمنك عليه، فيأتي من يسأل بمحبة صادقة. تستطيع أن تدعو له وأن تعرض عليه المساعدة، من غير أن تهدي إليه سر صاحبك. النية الحسنة لا تجعل ما أوتمنت عليه متاحاً للجميع.

وفي المجالس قد يبدأ الفضول بكلمة لا تبدو مؤذية: «وماذا قالت بعد ذلك؟» إذا لم تكن لك مهمة في حل المشكلة، فقد يكفي أن تصرف الحديث. لا يلزم أن تلقي خطبة، وقد لا تحتاج إلى بيان أنك أشد ورعاً. يكفي أن تمنع من نفسك التفصيل الذي كان سيمنحك لحظة حضور ويترك غيرك مكشوفاً.

ومع ذلك قد يكون الكلام واجباً أو نافعاً في موضعه. شاهد يعرف واقعة حق لا يصمت لمجرد أن الصمت أريح له، ومن يملك خبر خطر محدداً على من يستطيع دفعه لا يجعل الأدب ذريعة للانسحاب. ضبط اللسان يحتاج إلى تحديد الدور: هل أشهد بما علمت؟ هل أطلب مساعدة؟ أم أضيف إلى الناس رواية لا أملك حق نشرها؟

حتى النصيحة تحتاج قدرها. قد تستدعي كلمة على انفراد، أو سؤالاً يوضح ما وقع قبل الحكم، أو إحالة إلى من يعلم. حين تصنع النصيحة من عيوب الناس قصة ترويتها في كل مجلس، فقد خرجت عن الغاية التي أعلنتها. احفظ صورة الشخص وأنت تصلح فعله بقدر ما تستطيع.

في المثال الأول يمكن أن تقول الصديقة: أنا هنا إن احتجت إلى شيء محدد. جملة قليلة تفتح باباً من غير أن تدفع صاحبها إلى كشف ما لا تريد كشفه. هكذا يترك اللسان ما لا يعنيه، ويبقى القلب قريباً.

ومن صور الفضول الجديدة لقطة شاشة تصل من محادثة خاصة. قد يكون ما فيها صحيحاً، لكن صاحبها لم يأذن بأن تتحول كلماته إلى مادة لمجلس آخر. قبل أن ترسلها اسأل: هل أملك نقلها؟ هل يحتاج من سيرها إلى النص كله، أم تكفي خلاصة تحمي الأسماء؟ وإذا كان في المحتوى خطر أو مظلمة، فليصل إلى من يستطيع التعامل معها، لا إلى جمهور يضاعف الكشف ولا يرفع الضرر.

ويحتاج التفريغ عن النفس إلى حد كذلك. تقول لصديق: أريد أن أتكلم عما ضايقني، ثم تسرد تفاصيل تكشف شخصاً ثالثاً لا يستطيع أن يجيب. قد تحتاج إلى مشورة صادقة، فصف ما

يلزم للمشورة، واختر من يحفظ الكلام، فالغضب لا يبيح ما وراء حاجة المشورة من عرض غيرك. ويمكنك أحياناً أن تتكلم عن شعورك وقرارك من غير ذكر اسم ولا علامة يعرف بها صاحب الواقعة.

وفي دار عمل تطوعية تسأل عن حاجات المشروع لتعيينه. يمنحك المسؤول جدول توزيع الطعام، فتلاحظ فيه أسماء أسر لا تعرفها وأعمار أطفالها. لا تحتاج إلى حمل الجدول معك أو إرساله لصديق يرى كيف تعمل؛ يكفيك ما يتصل بدورك من عدد الطرود والمواعيد. ما أعطي لك لإتمام مهمة لا يصير مادة لتوسيع فضولك في حياة الناس. إذا احتجت معلومة إضافية لتجنب خطأ في التوزيع، اطلبها ممن يملكها وفي مقدارها.

وقد يعكس الموقف حاجة واجبة للسؤال: ترى أن أسرة لم يصلها ما سجل باسمها، فلا تقل «لا يعنيني» وتمر. تحقق من سجل التسليم بالقدر الذي يبين أين توقف العمل، وأبلغ من يصلح الخطأ. هذا هو الحد النافع: سؤال بقدر المسؤولية، وستر خارجها. يخف على القلب عبء قصص لا يلزمه حملها، ويصل النفع إلى من كان ينتظره.

في المؤسسات يسمى هذا أحياناً «قدر الحاجة إلى المعرفة». ليس كل من يعمل في المكان محتاجاً إلى ملف المريض أو شكوى الموظف أو عنوان الأسرة. الصلاحية التقنية لا تجعل الاطلاع فضولاً بريئاً، والمنصب لا يحول السر إلى قصة يتبادلها الزملاء. حين تعرف الدور الذي تؤديه، تعرف القدر الذي تحتاجه؛ وما زاد يبقى مستوراً حتى يوجد سبب مشروع لإظهاره.

ويختلف «ما لا يعنيك» باختلاف المسؤولية. ما لا يعني الجار قد يعني ولي الأمر أو المسؤول أو صاحب الحق. ترك السؤال في موضع الأمانة ليس ورعاً، كما أن اقتحام التفاصيل بلا صفة ليس نصحاً. قبل أن تدخل، اسأل: هل علي واجب هنا؟ هل عندي قدرة على الإصلاح؟ وهل أحتاج هذه المعلومة لأداء الحق؟

ضع سؤالين عند أبواب الأخبار: ماذا سيتغير في عملي إذا عرفت؟ ومن سيتضرر إذا نقلت؟ إذا لم تجد جواباً نافعاً، فالإغلاق راحة لا فوات. وإذا وجدت واجباً، ادخل بقدره ثم اخرج؛ فالمسؤولية لا تمنح إذنًا مفتوحاً لكل التفاصيل.

٢٣ الاحتياط في حقوق الناس

كان عند شخص ثمن خدمة لأحد أقاربه، وتأخر في إرساله. كلما تذكره قال: المبلغ يسير، والقريب لا يسألني. في الوقت نفسه كان شديد السؤال عن أشياء أقل منه أثراً في يومه. قد لا يكون قصد الظلم، لكن الحق المؤجل لم يتغير حين انشغل بمخاوف أخرى.

قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ».^{٢٨}

وقال ﷺ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو

٢٨ صحيح البخاري ٢٤٤٩، كتاب المظالم، باب «من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته»، عن أبي هريرة. أصل المبادرة إلى رفع المظلمة؛ لا يفصل وحده جميع طرائق التحلل المالي ومظالم الأعراض. أبقى سؤال الصورة الخاصة.

الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا.
وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ
يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ
وَعِرْضُهُ».^{٢٩}

يوقظنا هذان النصان إلى ترتيب يغيب أحياناً: الحق المعلوم
في يدك أسبق إلى العمل من بحث جديد عن شبهة لم تظهر
بعد. وسيأتي تفصيل طرق الرد بحسب الصور المختلفة في
الفصل ٦٧.

في مثال القريب، ربما كانت رسالة تطلب بيانات التحويل
أصعب على النفس من ساعة قراءة عن الأمانة. الرسالة تخرج
المعنى من جماله العام إلى اسم إنسان ينتظر. وإذا كان بعض
المبلغ مختلفاً فيه، فلتكن للمختلف فيه طريقته العادلة في
البيان؛ أما ما استقر فلا يستتر وراءه.

وقد يكون الحق كلمة أو صورة أو مستنداً، لا مאלً. صورة
خاصة نشرتها بغير إذن قد تحتاج إلى حذف وإصلاح أثر

٢٩ صحيح مسلم ٢٥٦٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم
وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، عن أبي هريرة: «كل المسلم على المسلم
حرام: دمه وماله وعرضه». يثبت حرمة الحقوق الثلاثة، ولا يفصل وحده طريقة
إزالة كل مظلمة أو ما قد يترتب على الاعتراف بها.

النشر. كتاب استعترته يحتاج إلى إعادة، ولو لم يسأل عنه صاحبه. وما اشترك فيه إخوة أو زملاء لا يملك واحد منهم أن يسامح عن حصة الآخرين لمجرد أن العلاقة ودودة.

وفي الجانب المقابل، حفظ حقوق الناس يشمل ألا تتهمهم من غير بينة. قد تبحث عن سلامة مالك، ثم تروي عن شخص شبهة لم تتحقق منها فتجرح عرضه. لا يصبح الاحتياط لنفسك رخصة لتوسيع الضرر على الآخرين. وإن كنت أنت صاحب حق مختلفاً فيه، فلك أن تطلبه بطرق عادلة؛ لا يلزمك أن تتنازل عنه حتى تبدو متورعاً.

ولكن الحقوق ليست كلها أرقاماً تصل إلى هاتف صاحبها. قد تضع ابنتك صورة لأختها في مجموعة صغيرة، فتطلب الأخت حذفها لأنها لا تحب انتشارها. تقول الابنة: من سيرى المجموعة غير العائلة؟ ليس السؤال عما إذا كانت الصورة جميلة أو كانت النية طيبة، بل عما يملكه من صورته من ظهر فيها، وما يستطيع صاحب المجموعة فعله الآن لتقليل انتشارها. تستطيع الاعتذار والحذف وطلب الحذف ممن أعاد إرسالها، وإن تعذر محو ما خرج من يدك فقل الحقيقة ولا تعد بما لا تقدر عليه.

وفي جهة تعليمية تحتفظ موظفة بنسخة من مشروع طالبة شاركت فيه لتساعد أخرى. ربما أرادت الخير، لكن صاحبة العمل لم تأذن بنشره، وقد يضيع بذلك جهدها أو خصوصيتها. اطلب إذنًا محددًا أو اصنع مثالًا جديدًا لا يكشف عملها. ليس حفظ الحق عائقًا للمنفعة؛ يربّي اليد على أن تسأل عن دفع كلفة ما تريد الانتفاع به. وما كان حقًا في صورتك الخاصة لا تصدر فيه فتوى عامة من هذه الأمثلة؛ المقصود أن ترى صاحب الحق قبل أن تحتاط لما يريحك أنت وحدك.

وقد يجتمع حقان يحتاجان إلى فصل لا إلى مقايضة. كتب مصمم هوية لمشروع صغير، وتأخر صاحب المشروع في دفع بقية الأجر. لا يبيح التأخير للمصمم نشر بيانات العملاء التي اطلع عليها، ولا تبيح السرية لصاحب المشروع حبس المقابل. يُطلب كل حق بطريقه، وتُحفظ الأدلة، ويُفصل المتفق عليه عن المختلف فيه. هذه القاعدة الأخلاقية تمنعنا من قول: لن أؤدي ما علي حتى يؤدي الآخر كل ما عليه، حين يكون بعض الواجبين مستقلًا عن بعض.

ومن الورع أن تراجع ما يقع تحت سلطتك لا ما يعلو صوته فقط. قد يسكت عامل جديد عن ساعات إضافية لأنه يخشى فقد العمل، أو يسكت قريب عن مال له حياءً. لا يصبح السكوت تنازلًا بمجرد، ولا نعر من هذا المثال حكمًا في نزاع

معين؛ لكنه يدعوك إلى الرجوع للعقد والسجل وسؤال صاحب الحق، بدل انتظار أن يرفع صوته. الأمانة المبادرة لا تستثمر ضعف المطالبة.

قد يسامحك قريبك بعد طول انتظار، وقد يخبرك أنه كان يحتاج المال في يوم مضى. يصل المبلغ اليوم ولا يعود ذلك اليوم. حين ترى هذا، تفهم لماذا لا تقاس الأمانة بحجم الشيء وحده: خلف كل حق حياة لا ترى تفاصيلها، وإن كان الذي عليك صغيراً.

وإذا كان بعض الحق مختلفاً فيه، فلا تجعل الخلاف يغطي القدر المتفق عليه. أدّ ما استقر، واكتب موضع النزاع، واجمع مستنداته، واطلب طريق الفصل المناسب. وقد يكون الاحتياط المؤقت أن تحفظ المبلغ أو الأصل دون انتفاع حتى يتبين، لا أن تنسبه لنفسك ولا أن تتخلص منه بطريقة لا تملكها. تفاصيل التصرف تحتاج إلى سؤال بحسب الواقعة، أما فصل المعلوم عن المختلف فيه فخلق يحمي الطرفين.

وفي آخر المراجعة قد تجد حقوقاً لا يطالب أصحابها بها لأنهم وثقوا بك. هذه أمانات أولى بالعناية، لا فرصة للتأخير. الورع لا ينتظر ارتفاع الصوت؛ يفتش في حدود سلطته، ويرد ما عرف، ويسأل عما أشكل، ويترك لصاحب الحق حرية

المسامحة بعد أن يعرف حقه، لا قبل ذلك. لكن طريقة الرد لا تُختار بالشعور وحده؛ فحسن القصد يحتاج إلى نص وعلم يصحان طريقه.

٢٤ النص قبل الذوق

بعد أن تقرأ حديث النواس في الفصل التاسع عشر، قد تميل إلى جعل شعورك الأخير جواباً لكل مسألة. وإذا سمعت عن الاستبراء، قد تظن أن الأشد دائماً هو الأصح. نحتاج إلى مرجع يجعل القلب حياً ومتعلماً في الوقت نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

قد يكون للنفور وظيفة أولى: يوقفك عن خطوة سريعة حتى تسأل. وقد يكون للراحة وظيفة تذكرك بنعمة ظهرت لك. لكنهما لا يقومان وحدهما مقام معرفة النص وثبوتته ودلالته، ولا مقام تصوير الواقعة. خبر صحيح في باب معين لا يتحول إلى حكم لكل شيء يشبه لفظه من بعيد.

تصور إنساناً قرأ نصاً في معاملة مالية، ثم أطلق حكمه على تطبيق جديد يحمل الاسم نفسه. قد تختلف صفة الملك أو الوكالة أو الشرط الذي يؤثر في الحكم. يحتاج أولاً إلى أن يفهم ما يحدث فعلاً، ثم يعرضه على من يحسن الاستدلال. الخبير يشرح عمل النظام، والعالم ينظر في الحكم؛ ولا يكفي بحث سريع عن كلمة متشابهة في النص والتطبيق.

ولا يلغي هذا الرجوع إلى العلم التنبيه الوارد في حديث النواس، المثبت كاملاً في الفصل التاسع عشر.^{٣٠} قد ينبّهك صدرك إلى معلومة تتجنب ذكرها، فتعود لتصفها بصدق. وإذا ثبت الحل في صورتك وبقي عليك أثر خوف قديم، لا تجعل الخوف يعيد التحريم من جديد. القلب يعينك على طلب الحق، ويتعلم من الوحي والعلم أيضًا.

ومن الإنصاف أن تميز بين اختلاف أهل العلم في مسألة لها وجه معتبر وبين اتباع الهوى الذي يريد نتيجة بعينها. قد تحتاج إلى شرح الدليل والقيود حتى تعرف كيف تعمل في حالك. لا يصير اختيارك الأشق فتوى للناس، ولا يسقط احترامك لمن فهم وجهًا معتبرًا غير ما أخذت به.

ابدأ عرض المسألة من الواقع لا من النتيجة التي ترغب فيها. قل ماذا تملك، وما الاتفاق، ومن يتأثر، وما الشرط المختلف فيه. إذا بدأت بسؤال عام مثل «هل هذا حلال؟» وتركت التفصيل الذي يغير الصورة، فقد تحصل على جواب صحيح لمسألة أخرى. أمانة الاستفتاء جزء من أمانة العمل بالجواب.

٣٠ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، حديث ٢٥٥٣أ، عن النواس بن سمعان الأنصاري؛ النص الكامل في الفصل ١٩، وتحيل إليه الفصول ٢١ و ٢٤.

ثم افصل بين ثلاث طبقات: نص ثابت، وشرح العالم له، وتنزيله على الواقعة. قد يثبت النص ويكون الخلاف في فهم دخوله في صورتك. وقد يكون المعنى حسنًا لكن اللفظ المنسوب لم يثبت. وقد يصح الحكم العام وتبقى حقوق تعاقدية أو نظامية تحتاج إلى معرفتها. هذا الفصل يمنعك من استعمال هيبة النص لتجاوز سؤال لم يُبحث أصلًا.

وإذا تغيرت الواقعة، فليس الرجوع تناقضًا مذمومًا. ربما سألت وأنت تظن أنك مالك الشيء، ثم ظهر أنه عهدة؛ أو ظننت أن الإذن عام ثم تبين أنه مقيد. الجواب الأول كان متعلقًا بما عرضته أولاً. عد بالمعلومة الجديدة، ولا تطلب من العبارة السابقة أن تحمل ما لم يدخل فيها. تقديم النص على الذوق لا يعني جمود الفهم؛ يعني أن يبقى فهمك أمينًا للنص والواقع كلما اتضحت الصورة.

في درس صغير يناقش الحاضرون موقفًا واحدًا، فيحكي كل منهم ما شعر به عند سماعه. قد يكون الانقباض في أحدهم تنبيهًا إلى وصف لم ينتبه له غيره، فيستحق أن يسأل عنه. وقد يكون في آخر أثر تجربة قديمة لا صلة لها بالواقعة. بدل أن تتنافس المشاعر على وظيفة الدليل، اكتبوا الوصف الذي يمكن التحقق منه: من قال ماذا، وما الشيء الذي انتقل، وما

الإذن الذي طلب أو لم يطلب؟ حين تظهر الوقائع يتغير النقاش.

وللنص نفسه سياق ولغة ومخاطب. لا تقتطع كلمة «القلب» لتلغي الأصول التي تبين كيف يُفهم الحكم، ولا تُسكت قلبك إذا كشف لك نقصاً في وصفك لواقعة مؤثرة. يعينك الشعور على أن تنتبه، ويعينك العلم على أن تعرف ما إذا كان انتباهك قد وقع في مكانه. بهذا يمكن أن تكون أكثر صدقاً مع نفسك وأقل استعجالاً في تسمية تصرف الناس.

وفي التربية يحتاج الطفل إلى تمييز الحكم الشرعي من تفضيل والديه. قل له: هذا أمر نهانا الله عنه، وهذا نظام للبيت، وهذا اختيار أراه أنفع الآن. حين تكبر قدرته على الفهم، سيتعلم أن يسأل بأدب عن الدليل والسبب، لا أن يرفض كل توجيه ولا أن ينسب كل ترتيب بشري إلى الدين. وضوح المصدر يحفظ هيبة النص من أن تُستعمل في تفاصيل قابلة للمراجعة.

وقد يعجبك قول لأنه يوافق احتياطك، فتبحث له عن دليل بعد أن استقر القرار في نفسك. راقب هذا الترتيب. الأفضل أن تجمع الصورة والأدلة والحقوق، ثم تدع النتيجة تتكون.

إذا ظهر لك ما يخالف رغبتك، فقبولك له عبادة عقل وقلب، لا هزيمة في نقاش.

وفي زمن المقاطع المختصرة، قد يصل النص مبتوراً من شرطه أو سياقه. لا يكفي جمال العبارة ولا كثرة تداولها. ارجع إلى المصدر بقدر استطاعتك، واقرأ ما قبلها وما بعدها، ثم اسأل من يعرف إذا ترتب عليها حكم أو حق. وإذا لم يتيسر لك التحقق، فترك النشر أصدق من ملء الفراغ بتخمين.

وتقديم النص لا يلغي التجربة؛ يضعها في موضعها. تجربتك تخبرك أن عادة ما تضر تركيزك، أو أن نظاماً يفتح باب نزاع، وهذه معرفة نافعة في تدبيرك. لكنها لا تنشئ وحدها حكماً شرعياً عاماً. حين تحافظ على هذا الحد، تنتفع بما عشته من غير أن تجعل نفسك ميزاناً للناس.

قبل أن تقول «الدين يقول»، جرّب أن تكمل العبارة في نفسك: ما النص؟ ما درجة ثبوته؟ ما وجه دلالته؟ وما الذي لا يثبتته؟ إن عجزت، فربما كان الأورع أن تقول: «أحتاج أن أراجع». هذه الجملة لا تنقص هيبة العلم؛ هي من هيبتة.

سأل صاحب التطبيق عن صورته الحقيقية؛ فقد يتبين أن فهمه للنص يحتاج تحريراً، أو أن وصف التطبيق لم يكتمل. في الحالين كسب ما هو أبقي من سرعة الجواب: ترك للدليل

حقه، وللواقع حقه، ولشعوره مكاناً ينبهه من غير أن ينفرد بالحكم. وبهذا الميزان ندخل مواقف الصحابة والسلف في الباب التالي: نثبت الواقعة، ونفهم سياقها، ثم ننظر فيما تعلمنا إياه اليوم.

الباب الرابع: من ورع الصحابة والسلف

٢٥ أبو بكر واللقة

كان قد أكل منها. انتهت اللقة، ثم بدأ السؤال.

قالت عائشة رضي الله عنها:

«كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ تَدْرِي مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ قَالَ كُنْتُ تَكْهَنُتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ. فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»^{٣١}.

وصل الخبر إلى أبي بكر بعد الأكل. هذا القدر الثابت يكفي لجعل للقصة ثقلها: قد تنتهي قدرتك على تغيير ما وقع، وتبقى قدرتك على أن تستجيب لما علمت.

وربما قرأت القصة وقلت: ماذا أصنع أنا إذا علمت بعد أن تصرفت؟ ليس في فعل أبي بكر وصفة عامة بأن يتقيا الناس

٣١ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، حديث ٣٨٤٢، عن عائشة رضي الله عنها. الخبر في فعل أبي بكر بعد إخبار غلامه بسبب الكسب، ولا يتضمن أمراً عاماً للناس بمحاكاة ذلك الفعل. لفظ الغلام فيه الكهانة والخديعة، لا مجرد تخمين مجهول الصفة.

ما أكلوا. تختلف الحقوق والأموال والأحوال، ويُسأل أهل العلم عن صورة الواقعة. لكن القصة تمنع حيلة شائعة: أن تجعل انتهاء التصرف نهاية للأمانة. انتهى الأكل ولم ينته الصدق مع المعلومة الجديدة.

قد يقاوم الإنسان التصحيح لأنه يكره أن يرى نفسه قد أخطأ. يحب أن يقول: «ما دمت لم أكن أعلم، فقد انتهى كل شيء». عدم العلم الأول له أثره، لكنه لا يمحو ما صار معلوماً الآن. وقد يبالغ في الاتجاه الآخر فيحمل نفسه وزراً لم يتعمده، ثم يستبدل رد الحق بعقوبة يختارها لجسده أو سمعته. كلا الطريقتين يبعده عن السؤال المحدد: ما الذي ثبت، ولمن الحق، وكيف يصل إليه؟

أما التطبيق المعاصر فلا يستنسخ فعل أبي بكر، بل يختبر معنى الاستجابة للمعلومة الجديدة في واقعة أخرى. تشتري ثوباً من سوق المستعمل، ثم تتصل بك البائعة بعد أيام: أرسلته إليك وفي جيبه قطعة حلي تخص أختها. لا يحتاج الأمر إلى محاكمة ذاكرتك: افحص الثوب أولاً، وأخبرها بما وجدت فعلاً. إن لم تجد شيئاً فلا تصنع يقيناً من خوفها ولا من رغبتك في إغلاق المكالمة. وإن وجدتتها فلا تختبر قدرتك على الاحتفاظ بها؛ صار لها صاحب ينتظرها. هذا وجه آخر من

استقبال الخبر المتأخر: أن تضع المعلومة تحت ضوء التثبت، ثم تدع ما ثبت يقود الفعل.

وقد يكون تصحيح المسار محرّجاً أكثر من أصل الخطأ. تخشى أن تسألك صاحبة الثوب لماذا لم تتصل فوراً، وأن تفسر تأخرك تفسيراً سيئاً. ابدأ بالحق الذي بين يديك، ثم احك زمن علمك كما هو. ليس حسن صورتك شرطاً لرد ما ليس لك، ولا يلزمك أن تضيف اعتراحاً بما لم يقع. في هذا المعنى يقترب الخبر القديم من بيت معاصر؛ فالقلب حين يسمع الحقيقة يملك فرصة جديدة ولو لم يملك تغيير الأُمس. ومن صدق الرجوع ألا نطالب الناس بأن ينسوا الأثر فوراً. قد ترد المال وتعتذر، ويبقى الطرف الآخر محتاجاً إلى وقت أو إلى إجراء يحميه. فعلت ما عليك اليوم، وتتعلم مما بقي غداً. التوبة والإصلاح لا يمنحانك حق التحكم في مشاعر من تأذى؛ يمنحانك شرف ألا تضيف إلى الخطأ إنكاراً جديداً.

والخبر المتأخر ليس كله في درجة واحدة. قد يأتيك قول لا تعرف صدقه، وقد ترى مستنداً يثبت حقاً، وقد يعترف لك من نقل المال أو المتاع بسبب لم تكن تعلمه. لا تبني الإجراء الكبير على أول همسة، ولا تستعمل حاجتك إلى التثبت عذراً لتجميد حق ظهر دليله. اجمع القدر الذي يغير الفعل، ثم انتقل

من سؤال «كيف أبدو بعد هذا؟» إلى سؤال «ما الذي يلزمني الآن؟».

تظهر هذه الأمانة في المشتريات والتعويضات الحديثة. يصل إلى حسابك رد ثمن لطلب لم ترجعه، أو تعوضك جهة مرتين عن المصروف نفسه، أو تعلم أن فاتورة قُيدت باسمك خطأ. قد يغريك صغر المبلغ أو كبر المؤسسة أن تعتبره هبة مجهولة. لكن البداية ليست تسمية المال بما يريحك؛ البداية مراجعة السجل وإبلاغ الجهة بما وقع، ثم اتباع الإجراء الذي يثبت بعد البيان. لا يحمل هذا المثال حكم كل نظام، وإنما يريك أين تبدأ مسؤولية من ظهرت له معلومة جديدة.

وقد يكون التصحيح غير قابل للإنجاز في لحظته. لا تعرف صاحب الحق، أو لا تملك المبلغ كاملاً، أو تحتاج إلى وثيقة تثبت المقدار. هنا اكتب ما ثبت، واحفظ المال عن استهلاك جديد إن كان باقياً بيدك، وابحث في الطريق المعقول، واسأل عن الصورة التفصيلية. العجز عن الإغلاق الفوري لا يساوي ترك المحاولة، كما أن الرغبة في الإغلاق السريع لا تبيح لك إجراءً يضيع حقاً آخر.

ولا تجعل القصة باباً لإيذاء الجسد أو اختراع عقوبة شخصية. فعل أبي بكر خبر ثابت في واقعة بعينها، وليس أمراً عاماً

بتكرار صورته. الذي يعبر الأزمنة هو صدقه عند ظهور المصدر، لا تحويل كل خطأ متأخر إلى مشهد قاسٍ. في زماننا قد يكون الورع اتصالاً محرّجاً، أو تصحيح قيد، أو إعادة مبلغ، أو طلب فتوى في مال اختلطت أوصافه؛ وهذه أعمال أقل إثارة في الحكاية، لكنها أقرب إلى الحق الذي أمامك.

وحين لا يمكن محو أثر ما وقع، يبقى منع امتداده. توقف استعمال المنفعة المشتبهة بقدر ما يبينه الحكم، ولا تبني عليها التزاماً جديداً، ولا تسارع إلى توزيعها لتخرج من ثقلها قبل أن تعرف صاحبها. الإصلاح ليس نقل القلق من يد إلى يد؛ هو إعادة ترتيب العلاقة على ضوء ما ثبت، ولو احتاج ذلك وقتاً وسؤالاً وصبراً على صورة نفسك وهي تتعلم.

يبقى فعل أبي بكر كما نقله الخبر، وتبقى لكل واقعة أحكامها. والذي يصحبك من القراءة سؤال هادئ: إذا علمت ما كنت لا تعلم، فهل أملك شجاعة أن أغير ما كنت أريد؟ قد لا يشهد رجوعك أحد، لكنه يضع الحقيقة في موضعها من قلبك، ويخفف عنك كلفة الدفاع عن قرار لم يعد صحيحاً.

٢٦ عمر ومال المسلمين

روى مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه أنه قال:

«خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ ابْنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي جَيْشٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَلَمَّا قَفَلَا مَرَّ عَلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ فَرَحَّبَ بِهِمَا وَسَهَّلَ ثُمَّ قَالَ لَوْ أَفْدِرُ لَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَنْفَعَكُمْ بِهِ لَفَعَلْتُ. ثُمَّ قَالَ بَلَى هَا هُنَا مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأُسْلِفُكُمْاهُ فَتَبْتَاعَانِ بِهِ مَتَاعًا مِنْ مَتَاعِ الْعِرَاقِ ثُمَّ تَبِيعَانِهِ بِالْمَدِينَةِ فَتَوَدَّيَانِ رَأْسَ الْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكُونُ الرَّبْحُ لَكُمْ فَقَالَا وَدِدْنَا ذَلِكَ. فَفَعَلَ وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمَا الْمَالَ فَلَمَّا قَدِمَا بَاعَا فَأَرْبَحَا فَلَمَّا دَفَعَا ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ قَالَ أَكُلُ الْجَيْشِ أَسْلَفَهُ مِثْلَ مَا أَسْلَفَكُمْ قَالَا لَا. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأُسْلَفُكُمْ أَدْيَا الْمَالَ وَرَبِحَهُ. فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَسَكَتَ وَأَمَّا عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَالَ مَا يَنْبَغِي لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا لَوْ نَقَصَ هَذَا الْمَالَ أَوْ هَلَكَ لَضَمِنَاهُ. فَقَالَ عُمَرُ أَدْيَاهُ. فَسَكَتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عُمَرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ جَعَلْتُهُ قِرَاضًا. فَقَالَ عُمَرُ قَدْ جَعَلْتُهُ قِرَاضًا.

فَأَخَذَ عُمَرُ رَأْسَ الْمَالِ وَنِصْفَ رِبْحِهِ وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ
اللَّهِ ابْنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نِصْفَ رِبْحِ الْمَالِ».^{٣٢}

هنا ينتهي الأثر المنقول. وما يأتي استنباط تربوي من سؤال
العدل في الواقعة، لا نقل لتسويتها إلى العقود والفرص
المعاصرة.

لم يكن سؤال عمر: هل ربحتما؟ فقد كان الربح ظاهراً. سأل
عن باب الفرصة نفسها: هل فُتِحَ للجيش كله؟ قد يحسن
الإنسان عدّ ما دفعه وما كسبه، ثم لا يلتفت إلى امتياز أوصله
إلى الصفقة دون غيره.

حين يقرأ صاحب عمل هذا الخبر، لا ينبغي أن ينقل تسويته
إلى عقد آخر فيجعل نصف الربح نسبة شرعية جاهزة.
الصورة المالية في الأثر لها أهلها وملابساتها. لكن السؤال عن
الإنصاف صالح ليوقظ القلب. من اختار قريباً لمنحة محدودة،
أو قدّم صديقاً في طابور خدمة عامة، يستطيع أن يسأل

٣٢ مالك، «الموطأ»، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ج ٢، ص ٦٨٧-٦٨٨، كتاب القراض، باب
ما جاء في القراض، الخبر الأول، من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه. وفي
العرض الإلكتروني الرقم العربي ١٣٨٩، وترقيم الكتاب ٣٢:١. ونقلت الدرر السنية
عن ابن حجر في «الإصابة»، ٣/٧٥ بحسب إحالتها، الحكم: «إسناده صحيح». الأثر
موقوف، ونسبة نصف الربح فيه تخص الواقعة ولا تعمم على كل عقد.

نفسه: أي معيار أعلنت؟ وهل استطاع الآخرون الوصول إلى ما وصل إليه هذا الشخص؟

وقد لا يكون الجواب واحدًا في كل مرة. لعل للقريب استحقاقًا ظاهرًا، ولعل التقديم ضرورة معتبرة، ولعل في القرار محاباة تحتاج تصحيحًا. إنما يفسد الورع إذا خلط المسؤول بين محبة الشخص وحقه في مال لا يملكه المسؤول لنفسه. وحين يخجل من إعلان سبب القرار، تتأكد الحاجة إلى النظر في الصورة مع من يملك الحكم عليها.

في بيتك يستطيع الحب أن يسبق الحساب؛ تدعو من تحب وتكرمه من مالك. أما حين تكون أمنيًا على مال جماعة أو فرصة مشتركة، فالمحبة لا تصير معيار توزيع. ليس سهلاً أن تقول لابنك أو صديقك: سأعرض طلبك بالطريق نفسه الذي يسلكه غيرك. وقد يكون هذا أصدق ما تهديه له: اسمًا لا يحمل عنه بابًا مغلقًا في وجه الناس.

وقد يظهر الامتياز قبل القرار بوقت طويل. يعرف قريبك موعد فتح التقديم، أو تصله الشروط التي لم تُنشر للآخرين، أو يجد من يصوغ له طلبه من داخل الجهة. ربما انتهت اللجنة بعد ذلك إلى أنه الأكفأ حقًا؛ لكن سلامة النتيجة لا تمحو سؤال الطريق. حين تكون المعلومة جزءًا من فرصة عامة، فمن

يملكها بسبب موقعه لا يعاملها كخبر عائلي خاص. ينظر أولاً:
هل أذن بنشرها؟ وهل وصلت إلى المتقدمين على وجه
متقارب؟

وفي لجنة شراء قد يكون أحد العروض لشركة يملكها صديق
قديم. لا يلزم من الصداقة اتهام العرض، ولا يكفي معها أن
يقول صاحب القرار: أنا أعرف نفسي ولن أنحاز. يستطيع أن
يصرح بالعلاقة لمن يملكون الإجراء، وأن يترك تقدير
مشاركته أو تنحيه للنظام المعتمد. إعلان الصلة لا يدين أحداً؛
بل يحفظ القرار من سؤال كان سيظهر متأخراً، ويحفظ
الصديق من ربح يُنسب إلى الباب الذي دخل منه لا إلى جودة
ما قدم.

قد تعلن جمعية محلية عن منحة صغيرة للطلاب، ثم تتلقى
طلباً من ابنة أحد المشرفين. ربما تكون أحق بها فعلاً. الحماية
هنا أن يثبت معيار الاختيار قبل قراءة الأسماء، وأن يترك
صاحب الصلة القرار لمن يراجع الأدلة على قدم المساواة. إن
فازت بمعيار معلن، لا يلزم أن تعاقب لأنها تعرف مشرفاً؛ وإن
خسرت، لا يقال إن العدالة خصومة لأهل المسؤولين. يتبين
وجه الورع من الطريق الذي سلكه القرار، لا من هوية الفائز
وحدها.

ويستطيع طالب المنحة نفسه أن يطلب ذلك الوضوح. قربه من المشرف لا يريحه إذا ظل الناس يظنون أن فرصته جاءت من الباب الخلفي. يسأل عن الشروط ويقدم ملفه كما يفعل الآخرون، ويترك المسافة اللازمة بين أبيه ومن يحكم. بهذا يصير سؤال عمر عن بقية الجيش معيارًا يقظًا في الذاكرة، من غير نقل تسوية الربح في خبره إلى منحة تعليمية أو معاملة مختلفة.

اكتب معيار الاختيار قبل أن ترى الأسماء إن استطعت، ثم احتفظ بسبب القرار بلغة يمكن عرضها على أصحاب الحق. قد تكشف الكتابة أن العبارة واسعة بحيث تسمح لك بتقديم من تحب كل مرة، فتحتاج إلى معيار أدق. وقد تكشف أن اختيار القريب كان صحيحًا بالفعل، فيخرج من دائرة التهمة بقدر ما تسمح به الشفافية. الورع هنا لا يَعدُّ بإزالة كل ظن؛ لكنه يمنع صاحب الأمانة من صناعة استثناء لا يستطيع تسميته.

ولا ينتهي العدل بإعلان فرصة عامة إذا كان الوصول العملي إليها محصورًا. قد تُنشر المنحة في صفحة لا يعرفها إلا أهل الدائرة، أو توضع مهلة لا يملكها إلا من وصل إليه الخبر مبكرًا. راجع القناة والوقت واللغة، لا اسم الإعلان وحده. فإن تعذر بلوغ الجميع، فليكن الطريق المتاح معلنًا على قدر الاستطاعة،

ولتُحفظ أسباب الاستثناءات حتى لا تتحول الضرورة المؤقتة إلى باب دائم للمقربين.

وقد تكتشف الصلة بعد صدور القرار: كان أحد المقيمين شريكًا قديمًا للمتقدم، أو ظهرت معلومة لم تكن في الملف. لا يلزم أن تهدم العمل كله بمجرد الظهور، ولا أن تدافع عنه كي تحمي صورتك. أوقف ما يمكن إيقافه، واعرض المعلومة على جهة مستقلة، ودون ما إذا كانت تغير النتيجة أو تستدعي إعادة جزء من الإجراء. المراجعة اللاحقة ليست اعتراقًا حتميًا بالفساد؛ هي وفاء بحق الناس في قرار يمكن تصحيحه.

وفي التوظيف الداخلي قد يكون المرشح قد عمل مع أحد أعضاء اللجنة سنوات. المعرفة السابقة تمنح معلومات لا يملكها الآخرون، وفيها نفع وخطر معًا. تُذكر العلاقة، وتُطلب شواهد محددة على الأداء، ويشارك مقيمون آخرون في وزنها. لا تُمحي الخبرة لأنها قريبة، ولا تتحول الثقة القديمة إلى دليل وحيد. الإنصاف لا يساوي الجهل بالناس؛ يساوي أن يكون لما تعرفه موضع ظاهر في ميزان يمكن مراجعته.

٢٧ عبد الرحمن بن عوف والمال

روى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف:

«أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ قَتَلَ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ، إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ - وَأَرَاهُ قَالَ - وَقَتَلَ حَمْرَةَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ - أَوْ قَالَ أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ».^{٣٣}

وينتهي الخبر المنقول عند هذا الحد. وما بعده قراءة تربوية لمعنى محاسبة النفس عند السعة، ثم أمثلة معاصرة لا تُنسب إلى عبد الرحمن.

الطعام حاضر، وذكرى مصعب حاضرة أيضًا. لم يحكم عبد الرحمن بأن نعمة المال علامة رفض، ولم ينقل الخبر حكمًا بأن ما خشيته وقع. هو خوف صالح على نفسه في لحظة نعمة. إذا

^{٣٣} صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد، حديث ١٢٧٥، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. أثبت شك الراوي في ذكر حمزة ولفظه البديل كما في الرواية؛ لا يجزم بما شك فيه الراوي، ولا يُحوّل خوف عبد الرحمن إلى إخبار غيبي.

قرأناه حكمًا على الغني أو دعوة إلى كراهية الرزق، أضعنا رقة المعنى ودقته معًا.

كم تتبدل الحياة بين مائدة ومائدة. ربما كنت قبل سنوات تنتظر فرصة العمل أو تسأل من يعينك، ثم صرت تملك أن تعين. ليس المطلوب أن تتظاهر بأن أيام الضيق أكرم في ذاتها أو أن تفسد فرح من حولك. لكن ذاكرة من وقف معك يومئذ تحفظ وجهك الإنساني. تجعلك أبطأ في ازدياد من يطلب، وأسرع في أداء دين قديم، وأقدر على رؤية النعمة دون أن تصير صورتك عن نفسك.

قد يتخذ المرء شكر المال كلمات تسبق كل شراء، ثم يبقى دين لغيره يؤخره وهو قادر، أو يثقل عليه صوت محتاج يعرف حاله. هنا يكون باب العمل أقرب من البحث عن إشارة غيبية في اتساع الرزق: أد ما ثبت عليك، وأحسن حيث تستطيع، وانظر كيف يعامل نجاحك من لا منفعة لك عنده.

وللنعمة امتحان لا يظهر في مقدارها، بل في الطريقة التي تغير بها حديثك. تلتقي صديقًا كانت تجمعك به مقاعد انتظار الوظائف؛ تخبره الآن عن سفر أو بيت جديد. هل تسمع ما يجري معه أم تجعل لقاء كما معرضًا لما وصلت إليه؟ ليس عليك أن تخفي خيرًا رزقته، ولا أن تتوقع من كل صديق

الغيرة. لكن الذاكرة التي استيقظت عند عبد الرحمن تساعدك أن ترى من أمامك إنساناً كاملاً، لا جمهوراً لتقرير نجاحك.

وربما رزقت مالم بعد مرض طويل لأحد والديك، فصار بوسعك أن تختار له رعاية أوسع. هنا يمكن للشكر أن يأخذ هيئة قرار يومي: تسأل عما يحتاجه حقاً، وتحفظ له حقه في الاختيار بقدر استطاعته، ولا تجعل نفقتك عليه حجة تمن بها. ثروة القلب ليست دمة في مجلس فحسب؛ تظهر في أن اتساع الخيارات لك لا يضيق خيارات من تحب. هذا تطبيق أخلاقي من معنى القصة، وليس حكماً منقولاً عن عبد الرحمن في رعاية المرضى.

كما أن الوفاء لا يحتاج إلى إعلان كل مرة. قد تكافئ من أحسن إليك، وتفتح فرصة لغيرك، وتذكر فضل الناس في موضعه، من غير أن تجعل عطايك سجلاً يطالبهم بالولاء. وإذا لم تستطع رد الجميل بالصورة نفسها، لم يلزم أن تحمل نفسك ديناً عاطفياً لا ينتهي. اشكر، وادع، وأحسن بما تقدر، واترك للنعمة أن تزيدك تواضعاً لا حساباً على الخلق.

ومن امتحان السعة أن يتغير معيار الكفاية كلما زاد الدخل. ما كان قبل عام نعمة واسعة يصير اليوم أمراً لا يذكر، ثم تبدأ النفس تقيس أمنها بما لم تشتتره بعد. لا يعني هذا رفض

تحسين العيش، بل أن تعطي كل زيادة اسمها وحجمها. ضع قدرًا للادخار والحاجة والحقوق والصدقة، ثم راقب أين يذهب الباقي. الحساب الهادئ قد يكشف لك أثر النعمة أكثر من الانفعال العابر.

وفي بيئة العمل قد تأتي السعة في صورة نفوذ لا مال فقط. صرت قادرًا على ترشيح الناس، أو توزيع المهام، أو فتح باب تدريب. هنا تحتاج إلى أن تتذكر أيام من كان ينتظر فرصة مثلك. لا تجعل الامتنان للماضي محاباة لمن تعرفه، ولا تجعل خوفك من المحاباة قسوة على القريب المستحق. أعلن المعايير، وافصل صلتك الشخصية عن القرار، واترك أثرًا يمكن مراجعته.

وقد يكون شكر النعمة أن تحمي أهلك من تقلبها. لا تنفق لتثبت لنفسك أن الرزق دائم، ولا تحرمهم من حاجة معتبرة لأنك تخشى زواله في كل ساعة. اجمع بين التوكل والتخطيط، وبين السرور والاعتدال. المال وسيلة واسعة، والورع يمنعه من أن يصبح مقياس القيمة الوحيد في البيت. اسأل نفسك عند كل انتقال كبير: ما الحق الذي صار في وسعي أداؤه ولم يكن في وسعي من قبل؟ قد يكون دئيًا قديمًا، أو علاجًا تأخر، أو وقتًا تستعيده لأسرتك بعد سنوات

من الانشغال. لا يلزم أن يكون الجواب تبرعاً ظاهراً؛ بعض الشكر أن يتوقف عذر العجز حين زال العجز.
بكى عبد الرحمن وترك طعامه؛ ليست الدموع امتحاناً نطلبه من كل قارئ. تستطيع أن تفرح بزيادة رزقك ثم تضع معها خطة حق: لمن الفضل بعد الله؟ من ينتظر وفاءك؟ ماذا يستطيع هذا المال أن يصلح؟ خوفه لم يغلق باب الشكر؛ فتح فيه نافذة لا يرى الإنسان منها نفسه وحده.

ومن الورع أن لا نحول موقفاً تاريخياً إلى وصفة مالية لكل شخص. تختلف القدرة والالتزامات والبيئات. ما نأخذه هو المعنى المنضبط: صدق الكسب، والاستغناء عن التطلع لما في أيدي الناس، وأداء الحقوق، وعدم جعل المال سيد القرار. أما النسبة والتوقيت والصورة فتحتاج إلى حال صاحبها وعلمه.
وفي زمن الفرص السريعة، يظهر هذا المعنى في القدرة على رفض مال يشتري قرارك، لا في رفض كل ربح. تستطيع أن تنمي عملك وتفاوض على أجرك، مع بقاء حدود لا تبيعها.
اكتب هذه الحدود قبل الحاجة: ما الذي لا تخفيه عن شريك؟ وما الهدية التي تراجعها؟ وما الحق الذي يخرج أولاً؟

٢٨ ما الذي نأخذه من الموقف؟

ثلاثة مواقف، وثلاثة أبواب مختلفة: لقمة علم أبو بكر مصدرها بعد أكلها، وفرصة من مال المسلمين فحص عمر عدل توزيعها، ونعمة واسعة حركت في قلب عبد الرحمن ذكرى مصعب. لو سميتها كلها «ترك المال» لضاعت التفاصيل التي جعلت كل واحد منها نافعا.

والتفريق الآتي أداة تحريرية لقراءة هذه المواقف، لا ألفاظًا منقولة عن أصحابها ولا حكمًا مستخرجًا من مجرد التشابه بينها.

حين يخبرك أحد بأن عالمًا رد عطية، تريد أن تعرف لماذا. ربما تعلق الأمر بمصلحة في منصبه، أو بعلاقة خاصة بالمعطي، أو كان اختيارًا في الزهد. لا يصير تركه حكمًا عامًا لمجرد أن صاحبه جليل. وربما لم يثبت الخبر أصلًا؛ وهذه مسألة أخرى لا يعالجها حسن المعنى الذي تحمله القصة.

ولكي تقرأ الموقف قراءة أمينة، افصل بين أربع طبقات. الأولى: ثبوت أصل الخبر. والثانية: الفعل الذي وقع كما وصفه المصدر. والثالثة: السبب الذي صرح به صاحبه أو دل عليه السياق دلالة ظاهرة. والرابعة: المعنى الذي تريد نقله إلى

واقعك. الخلط بين هذه الطبقات هو الذي يجعل عبارة قصيرة في ترجمة عالم تتحول إلى حكم واسع، أو يجعل اختياراً شخصياً دليلاً على خطأ كل من لم يختره.

قد يثبت أن رجلاً رد هدية، ولا يثبت أنه ردها لأنها محرمة. وربما نقل المصدر سبباً يتعلق بمنصبه أو بعلاقة خاصة، فلا يصح أن تحذف السبب وتبقي صورة الرد وحدها. وقد يكون السبب معلوماً، لكن صورتك مختلفة: هو كان صاحب قرار عام، وأنت تقبل هدية معتادة من قريب لا تتعلق بقرار. التشابه في اسم «الهدية» لا يكفي؛ العبرة بالصلة والحق والشرط والأثر.

لهذا لا تبدأ بسؤال: كيف أفعل مثله؟ ابدأ بسؤال أسبق: ما المسألة التي كان يعالجها فعله؟ ربما كان يحمي مალأ عاماً، أو يقطع أثر محاباة، أو يربي نفسه على قلة التعلق. إذا عرفت المسألة، استطعت أن تبحث عن نظيرها في حياتك. أما تقليد الهيئة قبل فهم الوظيفة، فقد ينقلك إلى فعل يشبه الصورة ويخالف المقصد.

سنرى في قصة عقبة بن الحارث وجهاً آخر: معلومة ترد بعد استقرار أمر كبير. قيمة الخبر ليست في تكثير التردد، بل في أن الحق إذا تكلم سمعه الإنسان، ولو جاء متأخراً.

قد تقرأ عن رجل ترك منفعة، ثم تكون أنت مسؤولاً عن نفقة واجبة أو أجرة ينتظرها صاحبها. تشبه نفسك به في الترك، بينما موضع أمانتك أن تدفع. وقد تقرأ عن محاسبة عبد الرحمن نفسه في السعة، فتظن أن حسن الاستفادة أن تنقص على أسرتك كل فرح. الأقرب أن تسأل: هل أدت النعمة حقاً؟ هل حفظت لساني من الكبر؟ هل رأيت من أعانني؟ هكذا ينتقل أثر الموقف من تقليد هيئته إلى إصلاح موضعك أنت.

وتحتاج التربية إلى لغة تكشف هذه المسافة. بدل أن تقول لابنك أو لطالبك: «فلان فعل هذا، إذن يجب أن تفعل مثله»، قل: «هذا الموقف يوقظ سؤالاً عن الأمانة أو العدل أو أثر المنصب». ثم اشرح ما تعرفه وما لا تعرفه. يتعلم القارئ بهذه الطريقة أن يحب القدوة من غير أن ينسب إليها ما لم تقل، وأن ينتفع بالفعل من غير أن يحوله إلى نص جديد.

وفي بيئة العمل قد تسمع أن المدير السابق رفض عقداً مع جهة معينة. لا تجعل الرفض سياسة دائمة قبل أن تعرف سببه: أكان في العقد خلل، أم في تضارب المصالح، أم في توقيتته، أم كان قراراً شخصياً لم يسجل تعليله؟ تحفظ الوثائق إن وجدت، وتساءل من يملك البيان، ثم تنظر في العرض الحاضر بمعاييره. الوفاء للقرار القديم لا يكون بتكرار نتيجه عمياً، بل بحفظ السؤال الأخلاقي الذي كان يحميه.

ومن علامات القراءة المتعجلة أن تختار نهاية الموقف وتترك مقدمته؛ تروي أن صاحبه ترك المال، ولا تذكر كيف عرف مصدره. أو تروي أنه اشتد على نفسه، ولا تذكر الحق الذي كان في ذمته لغيره. وقد تُسقط لحظة نادرة على كل يوم، فتطلب من الناس أن يعيشوا دائماً عند أقصى ما وقع في خبر واحد. القراءة المنضبطة تعيد الحدث إلى حجمه: موقف له سياق، ودلالة لها حد، وتطبيق يحتاج فقه الواقعة الجديدة.

ولا تُحمّل صاحب القصة تفسيراً لنفسه لم ينقله المصدر. عبارة مثل «فعل ذلك لأنه رأى نفسه كذا» قد تبدو أدبية، لكنها تزيد خبراً عن القلب. تستطيع أن تقول: يظهر من الفعل احتياط في موضع محدد، ثم تبني التطبيق على الفعل المعلوم. هذا التحفظ لا يجفف السرد؛ يجعله أكثر صدقاً وأبعد عن صناعة بطل كامل لا يخطئ ولا يتردد.

٢٩ عقبة بن الحارث: كيف وقد قيل؟

يبدأ كثير من الأسئلة بعد أن نكون قد انتهينا في الظاهر. وقع الاختيار، وتكون البيت، ومضت الأيام. ثم تقول امرأة إنها تعرف شيئاً لم يعرفه أهل البيت.

عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه:

«أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي. فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ». فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ».^{٣٤}

لم يحل عقبة المسألة بإقناع نفسه أن القادم متأخر، ولا جعل رغبته في بقاء الحياة التي بدأها دليلاً. وفي الخبر أيضاً أنه لم يتخذ قراره وحده بناء على ظن عابر؛ سأل النبي ﷺ، ثم عمل بما وجهه إليه. هذا هو موضع الاقتداء الذي تستطيع حمله: أن

٣٤ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، حديث ٨٨، عن عقبة بن الحارث. أثبت متن هذه الرواية كاملاً وحده. وللخبر طرق أخرى في ٥١٠٤ و ٣٦٤٠؛ لم تُركب ألفاظها في المتن المختار. الخبر في رضاع وعقد زواج بعينه؛ لا يستخرج منه حكم عام بعبول كل دعوى منفردة.

تعرض المسألة المؤثرة على من يعرف حكمها، بوقائعها كما ظهرت.

تخيل أسرة تكتشف بين أوراقها سند ملكية قديماً يناقض ما ظنته في جزء من عقار تتقاسمه. الورقة لا تفصل النزاع بنفسها، ولا ينبغي أن تُخفى لأن ظهورها مزعج. تُفحص صحتها ودلائلها، ويُسأل أهل الاختصاص، وتُحفظ حقوق الجميع حتى يتبين الأمر. هذا مثال في أمانة السؤال، ولا تنزل عليه أحكام الرضاع الواردة في قصة عقبة.

المعلومة المؤثرة محددة. لها مصدر وصورة وأثر إن صحت. أما تكرار احتمال بلا شاهد جديد حتى يطمئن القلق، فله باب آخر سنبلغه عند الكلام على الوسواس. تستطيع أن تحب الاستقرار وتطلب التثبيت في الوقت نفسه؛ فالسؤال الصادق لا يستدعي هدم الحياة بكل شائعة، وإنما يمنع ستر ما يستحق أن يُعرف.

في زمن تجد فيه جواباً سريعاً لكل رغبة، تصبح الأمانة في طريقة عرض السؤال: لا تحذف ما يغير حكمه، ولا تطلب من المستشار أن يبارك قراراً اتخذته سلفاً. قد تسمع بعد البيان أن تمضي، فتمضي. وقد يلزمك إصلاح، فتبدأ به. القوة هنا

ليست في القدرة على الشك؛ هي في قبول الجواب بعد طلبه
بحق.

٣٠ لا تُسَلِّم العيب إلى غيرك

المشهد الآتي مثال معاصر متخيل، لا خبر منقول: أعارتك أختك صندوقاً تحفظ فيه الصور القديمة. اكتشفت أن قفله لا يثبت؛ ربما كان كذلك حين وصل، وربما أصابه ما لا تعرف سببه. إذا أعدته مغلقاً وتركتها تضع فيه ما تخشى عليه، تكون قد أخرجت القلق من يدك وأبقيت الخطر في يدها. قل ما لاحظت وما لا تعرفه. لا تحمل نفسك ما لم يثبت، ولا تخف ما تعلم أنه سيؤثر في قرارها.

في هذا المشهد الصغير يظهر خلل يقع في صور أكبر. قد ينقل موظف ملفاً يعرف أن فيه خطأ إلى زميل ليغلق المهمة في نظامه. وقد يبيع صاحب سلعة ما يعرف من عيب مؤثر ثم يقول إن المشتري لم يسأل. وقد يعيد أحدهم كلاماً جارحاً إلى شخص آخر بحجة أنه لا يطيق كتمانها، فيرتاح هو ويترك خصومة. تختلف الأحكام والتفاصيل، لكن راحة صاحب التصرف لا تكفي وحدها دليلاً على أنه أصلح ما حدث.

اسأل: من سيحمل أثر قراري؟ وما البيان الذي يحتاجه ليختار عن علم؟ إذا ثبت حق مالي فطريقة رده تتبع صاحبه وسببه وصورة المسألة؛ لا تصلح صدقة عشوائية أو اعتذار علني بدلاً عن أداء الحق. وإذا تعلقت سلامة الناس بالأمر، قد يكون

إبلاغ المسؤول المختص هو الطريق النافع. وإذا كان الكلام لا يلزم نقله وقد يزيد الأذى، فالسكوت عنه قد يكون أول إصلاح.

في بيت واحد قد يبدو نقل العبء بريئاً: تؤجل معالجة تسرب الماء حتى يغادر الضيف، أو تترك وصفة دواء غير واضحة لمن يرعى كبير الأسرة بعدك من غير أن تخبره بما عرفته. لا يحتاج الورع في مثل هذه الصور إلى مظهر استثنائي؛ يحتاج أن ترى الإنسان الذي سيأتي بعدك. تصحيح الخطأ قد يكلف وقتاً أو مالاً أو شيئاً من صورتك أمام الناس. لهذا تميل النفس إلى حل يجعل سجلها نظيفاً وإن بقي الضرر متنقلاً. أعد السؤال إلى مكانه: هل زال الضرر، أم غير العنوان؟

تظهر هذه الأمانة عند تسليم العمل. يغادر موظف فريقاً وفي الحاسوب ملف ناقص أو كلمة مرور مرتبطة به وحده. يستطيع أن يقول إن المهمة خرجت من عهده يوم سلم الجهاز، لكن أثر النقص سيقع على من يأتي بعده وعلى أصحاب الخدمة. التسليم الصادق لا يطلب منه إصلاح كل ما في المؤسسة؛ يطلب أن يميز ما اكتمل مما لم يكتمل، وأن

يسمي الخطر المعروف، وأن يضع ما يلزم للوصول إلى الملفات في يدٍ مخولة.

وفي العالم الرقمي قد تنقل المشكلة من حساب إلى حساب. تحذف رسالة فيها مطالبة صحيحة من بريدك من غير أن تحولها إلى الجهة المختصة، أو توقف إشعارات عميل لأن كثرتها تزعجك مع بقاء حاجته بلا جواب. الهدوء الذي حصلت عليه ليس دليلاً على أن المسألة انتهت. اسأل قبل الإغلاق: هل انتقل الطلب إلى شخص يستطيع معالجته؟ وهل بقي لصاحبه طريق يعرف منه ما جرى؟

تستلم مسؤولية في مكتبة حي صناديق كتب للتبرع، فتجد في أحدها صفحات عائلية خاصة بين دفتي دفتر. تستطيع أن تفصل الدفتر عن التوزيع وتسال من سلّم الصندوق كيف يُعاد إلى أهله، بدل أن تختار قارئاً جديداً يحمل خصوصية لم يقصد أصحابها نشرها. لا يلزم من هذه الملاحظة اتهام كل كتاب في الصندوق؛ حدد الشيء الذي بان، واعمل فيه وحده.

وأحياناً لا تملك إصلاح العيب بمفردك. تلاحظين في ورشة للأطفال أن درج الأدوات لا يغلق جيداً، ولست المسؤولة عن صيانتها. أخبري من يملك الإصلاح، وضعي علامة واضحة أو امنعي استعماله في حدود صلاحيتك حتى يُنظر فيه. لا

تسلمي الأدرج لمن يأتى بعدك مع جملة «سيكتشفون الأمر». الأمانة لا تتطلب أن تتولي كل وظيفة؛ تتطلب ألا يمر من علمك إلى جهلهم خطر يمكن التنبيه إليه.

أما ما لم يثبت أنه عيب منك، فلا يصلحه اعتراف واسع يحملك ما لا تعلم. قل: «وجدت هذا»، و«لا أعرف متى حدث»، و«هذا ما فعلته لمنع الضرر الآن». الدقة تحمي الطرفين؛ لا تستر المعلومة، ولا تحول الاحتمال إلى إدانة. ومن تمام التصحيح أن تترك أثرًا واضحًا لمن بعدك: رسالة قصيرة، أو ملاحظة على الملف، أو موعدًا للمتابعة. عندها لا تكون قد دفعت القلق إلى باب آخر؛ تكون قد حملت نصيبك منه حتى وصل إلى موضع المعالجة.

ويحتاج التسليم إلى اسم لا إلى صندوق بريد مجهول. إذا أحلت المشكلة فعين من تسلمها، وما الذي فهمه، ومتى يعود بالجواب. عبارة «أرسلتها إلى الفريق» قد تخفي أن كل فرد ظن غيره مسؤولاً. في الأعمال الحساسة يكفي سجل قصير: صاحب المهمة، والخطوة التالية، والموعد، وما يمنع الاستعمال إلى أن يتم الإصلاح. بذلك تنتقل المسؤولية فعلاً، لا القلق وحده.

وإذا تغيّر الملف بعد التسليم، فلا تكتف بإرسال نسخة جديدة بلا بيان. سمّ ما تغيّر وما بقي، واسحب النسخة الخاطئة من الموضوع المشترك إن كانت صلاحيتك تسمح، ونّبّه من يحتمل أنه عمل عليها. لا يفترض الورع ذاكرة كاملة ولا يمنع الخطأ؛ لكنه يمنعك من ترك الآخرين يبنون على خطأ تعرفه لأن شرح التصحيح محرج أو طويل.

وفي البيت تقع صورة أصغر: يكتشف أحد الوالدين أن دواء الطفل قارب النفاد، ثم يكتفي بوضع العلبة على الطاولة ظاناً أن الآخر سيفهم. التسليم الأمين رسالة واضحة: المقدار الباقي، ووقت الجرعة، ومن سي جلب البديل. لا نحتاج إلى نظام مؤسسة لكل شأن، لكننا نحتاج إلى ألا نعتمد على الإشارة حين يترتب على النسيان ضرر.

٣١ عطية أم ثمن تأثير؟

توضع الهدية على الطاولة وتبدو لطيفة. لا تعرف بعد هل هي شكر على علاقة مستقلة، أو مكافأة مستحقة بنظام معروف، أو باباً إلى قرار يملكه من سيتلقاها. الاسم الواحد لا يجيب.

هذا وصف لصورة معاصرة محتملة، لا تنتم لقصة تاريخية ولا فتوى في كل عطية. وظيفته أن يحدد الأسئلة التي تكشف الفارق قبل سؤال المختص أو الجهة صاحبة الصلاحية.

لهذا إذا بلغك أن صالحاً ترك عطية، فابحث عن سببها قبل أن تجعل تركه حكماً على كل هدية. قد يحمي حياده في موضع ولاية، وقد يزهّد في مال مباح، وقد يعرف من علاقته بالمعطي ما لا تعرفه. وإذا كان المال حقاً ظاهراً يشارك صاحبه فيه آخرون، فقد يلزم النظر إلى حقهم قبل أن يصنع المرء من رفضه صورة للزهد.

تظهر المسألة الآن في هدية تُرسل إلى معلمة قبل تقدير اختبار، أو رحلة مدفوعة لمن سيكتب رأياً عن منتج، أو مكافأة توزعها جمعية بمعايير معلنة. لا تتساوى هذه الصور في الحكم؛ انظر إلى سبب العطية، وسلطة الآخذ، وما يعرفه الطرف الآخر، والنظام الذي التزمه، والحق الذي قد يضيع. هل

كان المعطي سيقدمها لو زال المنصب أو التأثير؟ سؤال كاشف، لا فتوى بمفرده.

ومن حق نفسك أيضًا ألا تجعل كل لطف تراه رشوة في خيالك. إذا بان سبب مشروع واستقام الإذن والحقوق، فقبول ما يحل لا يحتاج إلى دفاع دائم أمام الظنون. أما إن بقيت صورة تحتاج إلى سؤال، فضع تفاصيلها كاملة بين يدي أهل العلم أو الجهة المسؤولة، ولا تكتفِ بكلمة «هدية» في رأس الاستفتاء.

الورع هنا يحمي علاقيتين: علاقة من أوّتمن بمن ينتظر منه عدلاً، وعلاقته هو بقلبه حين يحب أن يظهر مستقلاً عن المال. ربما صدق في تركه، وربما أحب ثناء الناس على ذلك الترك. لا نعرف سريره، لكننا نستطيع امتحان قرارنا نحن: هل رددت الحق إلى موضعه، أم صنعت لنفسك مشهدًا حسنًا وحملت الأسرة أو الفريق ثمنه؟

يساعدك أن تفصل بين ثلاثة أزمنة: ما قبل القرار، وأثناءه، وما بعد انتهائه. الهدية قبل ترسية عقد أو إعلان نتيجة أقرب إلى موضع التأثير من تذكاريصل بعد زمن في علاقة مستقلة، لكن الزمن وحده لا يحكم. قد يبقى لصاحب المنصب أثر في التجديد أو التقييم، وقد تكون سياسة الجهة تمنع ما يبدو

يسيرًا. لذلك لا تخفِ موعد العطية ولا علاقتك بالمعطي ولا القرار الذي في يدك حين تسأل.

في نادي رياضي تعرض شركة على المدرب قسيمة لكل مشترك يأتي عن طريقه. قد يكون الإعلان عن اتفاق إحالة مشروعًا في صورة، وقد يجعل نصيحته عن حاجة المتدرب إلى الاشتراك أو نوعه منحاظة في صورة أخرى. إن كان المتدرب يسأله بوصفه أمينًا على خطة صحية، يحتاج أن يعرف مصلحة المدرب وأن يحصل على نصح لا تخفيه العمولة. وإن كان المدرب يعلن خدمة تسويق مستقلة، فالعلاقة مختلفة. لا يكفي اسم القسيمة لفهم الدور.

وقد يقول المدرب: كنت سأقترح الاشتراك نفسه بلا قسيمة. ربما صدق، لكن الصدق مع النفس لا يغني عن البيان لمن يعتمد على رأيه، ولا يصحح شرطًا يمنع أخذها إن وجد. يمكنه أن يسأل الجهة والمتدرب عن حد الإذن، وأن يذكر البدائل التي لا تدفع له شيئًا إذا كانت أنسب. بهذه الطريقة لا يعاقب على حاجته إلى دخل، ولا يجعل ثقة الناس موردًا مستترًا لا يستطيعون حساب أثره.

وفي الجمعيات والمبادرات الصغيرة يختلط الخاص بالعام بسرعة. يهدي موردٌ منسقة المشروع شيئًا لبيتها بعد أن

اشتريت منه للمبادرة مرات. السؤال لا يختصره صغر قيمة الهدية ولا حسن العلاقة: هل تملك وحدها اختيار المورد لاحقاً؟ هل يعرف الفريق؟ هل توجد قاعدة معلنة؟ حين لا توجد سياسة، فهذه فرصة لصنع واحدة قبل الهدية التالية، حتى لا يبقى كل شخص قاضيًا في منفعته. التنظيم البسيط يحفظ القلوب من الظن، ويحفظ المتطوع من اختبار يتكرر بلا ميزان.

وقد تأتي المنفعة من غير علبة ولا تحويل: دعوة خاصة، أو خصم لا يحصل عليه سائر الناس، أو خدمة لقريب الموظف، أو نقاط تجمع بسبب مشتريات الجهة. لا يحسم الاسم اللطيف حقيقتها. اكتب من قدمها، وما صلتها بالقرار، وهل كان سيقدمها لولا الوظيفة، ومن يملك قبولها. هذه الأسئلة لا تصدر فتوى، لكنها تمنع أن تختبئ المصلحة في شكل لا نسميه هدية.

إذا كانت للجهة سياسة، فالورع يبدأ بقراءتها لا بتجاوزها تحت دعوى أنك تعرف نيتك. وإذا لم تغط الصورة، فالإفصاح المكتوب وترك القرار لغير المنتفع أقرب إلى السلامة من قبول صامت يعقبه تفسير متأخر. التنظيم هنا يحفظ الثقة ولا يدعي أنه يصدر حكمًا عامًا لكل هدية أو منفعة.

٣٢ حين تصل القصة قبل مصدرها

تصل إلى هاتفك بطاقة تحمل اسم أحد الأئمة وقصة قصيرة تجعلك تريد إرسالها إلى كل من تحب. قبل أن تضغط زر المشاركة، توقف لحظة: من أين جاءت؟

للأثر المؤثر قوة خاصة. قد تحفظ مشهدًا أكثر مما تحفظ عشر قواعد، ثم تبني عليه حكمك على شخص أو عصر أو عبادة. لهذا يحتاج الخبر إلى أكثر من جماله. ظهور القصة في كتاب، أو تكرارها في مقاطع كثيرة، لا يخبرنا وحده عن صحة نسبتها. نسأل عن الموضع الذي وردت فيه، وطريق نقلها، وما تسمح به ألفاظها من معنى.

إذا ثبت الفعل لم يثبت معه بالضرورة كل ما نضيفه من مشاعر. وحين يقول الراوي إن الرجل بكى، نستطيع أن ننقل بكاءه؛ لا نستطيع أن نضع في فمه حوارًا أو نزعم علمًا بحقيقة مآله. وإذا لم تصح نسبة قصة أحببناها، نستطيع إبقاء معناها بدليل آخر صحيح أو بوصف تجربة معاصرة مصرح بأنها مثال. لا يحتاج الصدق إلى خسارة كل جمال؛ يحتاج إلى ألا يستعير الجمال اسمًا لا يملكه.

هذه الصفحات نفسها امتحان لهذا المبدأ. في الفصل ٢٥ ورد خبر أبي بكر كما نقلته عائشة، ثم بدأ الاستنباط التحريري، وضُرب مثال معاصر متخيل بثوب مستعمل وقطعة حلي. ليس المثال تاريخاً عن الصحابة، ولا المعنى المستخرج لفظاً مروياً. وفي الفصل ٢٦ تسوية خاصة بمال المسلمين، فلا نبيعها على أنها نسبة مقررة لكل مشروع. تمييز هذه الطبقات يتيح لك أن تتأثر وأن تعرف في الوقت نفسه أين ينتهي النص وأين يبدأ فهم الكاتب.

قد تقول: لست محققاً. لا يلزمك أن تحكم بنفسك على كل إسناد. يكفي أحياناً أن تمتنع عن النسبة الجازمة حين لا تجد مصدرًا مؤهلاً، وأن تترك السؤال لمن يملك أدواته. و«لم يثبت لي» عبارة أمينة؛ لا تعني أن القصة مكذوبة قطعاً، ولا تسمح لنا بنشرها على أنها ثابتة. إذا ظهر صحيح لما نشرته، عد إلى الموضوع الذي انتشر فيه الخطأ قدر استطاعتك، واذكر الصواب بوضوح.

في قصة عقبة لم نحتج أن نخترع لون الطريق الذي سلكه أو حال بيته ساعة الخبر. كلمات قليلة ثابتة حملت ثقل السؤال: «كيف وقد قيل؟». ما نريده للقارئ ليس دهشة سريعة تنطفئ، بل ثقة تسمح للقصة الصادقة أن تبقى معه حين

يحتاجها. ومن الورع الذي يتعلمه هذا الباب أن تصون قلبه من أثر جميل اشتريته بنسبة لا تعلمها.

وحين تكون المادة في صورة مصممة، افصل بين جمالها ودليلها. اسم الكتاب ورقم الصفحة في أسفل البطاقة قد يكونان صحيحين، وقد يكونان زينة نُسخت مع الخطأ. ابحث عن النص في المصدر نفسه إن تيسر، لا عن بطاقة أخرى تكرر البطاقة الأولى. وإذا كان الخبر خارج قدرتك على التحقق، أرسله إلى من تثق بعلمه للسؤال، لا إلى جمهورك على هيئة تقرير.

وابن لنفسك عادات قليلة: لا تنشر نسبة من لقطة بلا سياق، واحتفظ برابط المصدر أو بياناته، وميز في كتابتك بين «روي» و«ثبت» و«ذكر فلان» بحسب ما تحققت منه، ولا تجعل شهرة الناقل بدلاً عن فحص المنقول. قد تبطئ هذه العادات مشاركة واحدة، لكنها تبني لدى قارئك شيئاً أثمن من سرعة التأثير: ثقة لا تنفصل عن الصدق.

تجد أم قصة منسوبة إلى أحد الصحابة في كتاب صغير بلا توثيق، وتحب أثرها على ابنتها. تستطيع أن تقول لها: وجدت معنى أعجبني لكن لم أتأكد من نسبة الحكاية؛ نتعلم منه دون أن ننسبه إلى فلان حتى نعرف. قد تسألها الطفلة: ولماذا

كتب اسمه إذن؟ هنا فرصة تعلمها أن وجود اسم على الصفحة بداية سؤال لا نهاية له. لا يلزم أن تتحول كل سهرة إلى درس في الأسانيد؛ يكفي ألا ينتقل اليقين من المطبعة إلى اللسان بلا فحص.

وإذا وجدت القصة بعد ذلك في مصدر معتبر، فاقرئي حدود ألفاظها كما هي. قد يكون الثابت فعلاً قصيراً لا يحمل الحوار المؤثر الذي وضعه صاحب الكتاب. تستطيع أن تحكي الفعل الصادق وتترك للطالبة أن تتأثر به دون هندسة دموعها. عندئذ تكسب الحكاية عمراً أطول؛ لأنها لا تنهار إذا سأل قارئ متيقظ عن أول خطوة في الطريق الذي سلكته إلينا.

وفي فريق التعليم لا يكفي أن يصحح فرد منشوره ثم تبقى النسخة الأولى في ملفات الزملاء. ضعوا سجلاً صغيراً للمادة: مصدرها، وتاريخ آخر مراجعة، وما الذي صُحِّح، ومن يملك النسخة المعتمدة. لا يحول هذا كل معلم إلى محقق متخصص، لكنه يمنع أن تكون الذاكرة الشخصية هي الحارس الوحيد لنسبة تتكرر في عشرات العروض.

أما القصة التي لم يحسم أمرها، فلها مكان غير المنبر: قائمة انتظار. يُكتب فيها ما وجد، وما ينقص، ومن سيبحث، ولا تُحذف بدافع الحرج ولا تنشر بدافع الاستعجال. وقد يتبين

بعد البحث أن معناها حسن لكن نسبتها لا تثبت؛ عندها يُصاغ المعنى بوصفه مثلاً تربوياً من إنشاء الكاتب، بلا اسم تاريخي يستعير له الهيبة.

والتصحيح نفسه يحتاج إلى قدر. إذا نشرت القصة في مجموعة صغيرة، فلا يلزم أن تحوّل اعتذارك إلى حملة تشهر بنفسك؛ أوصل البيان إلى من وصلتهم النسبة، وبالوضوح الذي يزيلها. وإن انتشرت على نطاق واسع، فلا يكفي تعديل صامت لا يراه من حفظ النسخة الأولى. المقصود إعادة المعلومة إلى حجمها الصحيح، لا حفظ صورة الناشر ولا تحطيمها.

الباب الخامس: ورع المال

٣٣ مصدر الراتب

تصل رسالة إيداع الراتب، فينصرف الذهن إلى ما سيُقضى به: إيجار، ودواء، وحاجات بيت. قبل ذلك الرقم عقد بين إنسان وجهة عمل، ووقت أو خدمة وعد أن يؤديها. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾. [النساء: ٢٩]. الآية أصل واسع، لا حكماً تفصيلياً لكل وظيفة.

من يعمل في مهمة مباحة بعقد واضح ويؤدي ما التزم به لا يحتاج أن ينقب في كل معاملة تقع في مؤسسة كبيرة حتى يبيح لنفسه طعامه. لكن قد تقع مهمة بعينها في منطقة تحتاج سؤالاً. قبل أن تقول «راتبي كله مشبوه»، صف نشاط الجهة، ودورك أنت، وما تفعله بيدك، ومدى اتصال المهمة بما أقلقك. وفرّق بين ما شاهدت وما سمعته، وبين عمل يطلب منك الآن وخبر عن قسم آخر. بهذه التفاصيل يستطيع أهل العلم فهم السؤال، وقد يتبين لك ما يلزم فعله في وظيفتك نفسها.

وثمة باب أقرب: سجل ساعات لم تعملها، أو بدل سفر لم تسافر له، أو نتيجة وقعت عليها قبل إتمامها. قال النبي ﷺ:

«الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».^{٣٥}

سياق الحديث البيع؛ ومعناه في تعظيم الصدق يوقظ العامل، فلا يكتب عقده شيئاً وتمارس يده شيئاً آخر.

في مثال قريب من البيت، اتفقت مع جارة على تعليم ولدها ساعة كل أسبوع، ثم اعتدت أن تصل متأخراً عشر دقائق وتأخذ الأجر كاملاً من غير اتفاق جديد. صغر المدة لا يحولها إلى هبة من صاحبة المال. وفي عمل آخر قد يكون التأخر مأذوناً أو يعوضه إنجاز متفق عليه؛ لذا تبدأ من العقد والواقع، لا من شعور عام بأنك مقصر مهما صنعت.

في بعض البيوت تدخل الأجرة من أكثر من باب: تعليم، وصنعة يدوية، وخدمة رقمية صغيرة بعد دوام الوظيفة. يسهل أن يكون لكل باب اتفاق مختلف ثم تُعاملها جميعاً باسم «عمل». خصص لكل مهمة سؤالها: ما الذي وعدت بتسليمه؟

٣٥ صحيح البخاري ٢٠٧٩، كتاب البيوع، باب إذا بَيَّن البيعان ولم يكتما ونصحا، عن حكيم بن حزام؛ وفيه بركة البيع بالصدق والبيان ومحقها بالكتمان والكذب. الحديث في البيع؛ واستعماله في الفصل ٣٣ تنبيه تربوي إلى الصدق والبيان في عقد العمل، واستعماله في الفصل ٣٩ في بابه الأصلي المتصل ببيان السلعة؛ ولا ينقل الاستعمال الأول جميع أحكام البيوع إلى الوظيفة.

هل المادة التي استخدمتها لك حق استعمالها؟ هل أعاد العميل إليك ملفاً فيه بيانات غيره؟ قد تكون المهمة نفسها مباحة لكن سبيل إنجازها يحتاج تصحيحاً، وقد تكون شكواك من راتب منخفض صحيحة بينما لم تستأذن في إعادة استخدام مواد الجهة. لا يغير الظلم المحتمل في جانب حدود الأمانة في جانب آخر؛ اطلب حَقَّك وبيِّن ما تملك وما تؤديه. وفي المقابل لا تستعمل تعقيد المؤسسة ذريعة لعدم النظر في فعل مباشر منك. إن طُلب منك تزوير رقم، أو إخفاء عيب، أو احتساب ساعات لم تعملها، فهذه وقائع قريية يمكن تسميتها وطلب المخرج منها. ابدأ بما تحت يدك: ارفض البيان غير الصحيح، وثق ما أنجزت، واطلب تعديل المهمة إن احتاج الأمر. لا ينتظر الإصلاح أن تفهم الميزانية كلها قبل أن تصدق في السطر الذي توقعه.

وأحياناً يكون الخلل في تقدير العمل لا في أصله. اتفقتم على عدد ساعات أو نتائج، ثم تغيرت المهمة وسكت الطرفان. المخرج ليس أن يعوض كل واحد نفسه سرّاً؛ بل أن تعاد المحادثة: ما المطلوب الآن؟ وما المقابل؟ وما الذي أنجز؟ الاتفاق الصريح يرفع كثيراً من الريبة التي يصنعها التوقع غير المكتوب، ويحفظ الراتب من أن يكون ساحة خصومة صامتة.

راجع وصف عملك عند التحولات لا عند الأزمات وحدها. قد تبدأ موظفًا في خدمة العملاء ثم تُضاف إليك صلاحية اعتماد رد المبالغ، أو تعمل من المنزل فتختلط أجهزة المؤسسة واشتراكاتها بحساباتك الخاصة. اسأل: ما المأذون؟ وما الذي يحتاج موافقة؟ وأين تحفظ البيانات؟ المراجعة الشهرية القصيرة للعهد والصلاحيات أوضح من انتظار شعور غامض بأن كل استعمال مشتبّه.

وإذا ظهر خلاف على ساعات أو نتيجة، فافصل المطالبة عن التعويض الذاتي. لا تمدد كشفًا، ولا تحتفظ بأداة، ولا تأخذ ملفًا بحجة أن لك أجرًا متأخرًا، قبل معرفة ما يسمح به العقد والحكم. وثّق ما أنجزت وما طلب منك، واطلب الفصل ممن يملك الصلاحية. وجود حق لك لا يمنحك تلقائيًا حق اختيار طريقة استيفائه.

ويحسن بالمدير أن يفتح باب السؤال قبل نهاية الشهر. كثير من الريبة يتراكم لأن الموظف لا يعرف هل التدريب داخل الوقت المدفوع، وهل السفر محسوب، ومن يعتمد العمل الإضافي. جواب مكتوب مختصر يحمي الراتب ويحمي المؤسسة من اتفاقات شفوية متناقضة. وإن لم يعرف المدير الحكم أو النظام قال: أراجع وأعود، بدل أن يصنع يقينًا من سلطة منصبه.

إذا بان خلل محدد فصَحَّ السجل أو أبلغ صاحب الصلاحية،
واسأل عن أثره المالي حيث يحتاج إلى سؤال. وإذا بان لك أن
العمل أدَّى كما اتفقتُم، فدع الراتب يصل إلى بيتك بطمأنينة.
لا ينفعك أن تخاف من نشاط بعيد لا تعرف صورته، ثم تمر
على كذبة صغيرة في كشفك لأن الناس لا يلاحظونها. الأمانة
تحب الضوء القريب: ماذا وعدت، وماذا فعلت، وماذا يلزمني
إصلاحه اليوم؟

٣٤ هدية عند باب القرار

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال:

«استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الأتبية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام النبي ﷺ على المنبر - قال سفيان أيضاً: فصعد المنبر - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال العامل نبعثه، فيأتي يقول هذا لك وهذا لي. فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة، إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر. ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: ألا هل بلغت. ثلاثاً».^{٣٦}

الهدية قد تكون باب مودة بين الناس؛ لكن سؤال الحديث يضيء سبب وصولها إلى من أوُتمن على عمل. فالمنفعة التي جاءت بسبب الوظيفة تحتاج إلى معرفة حق الجهة وحدود صلاحية من تلقاها.

٣٦ صحيح البخاري ٧١٧٤، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، عن أبي حميد الساعدي؛ وفيه خبر ابن الأتبية وقول النبي ﷺ: «فهما جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا». الخبر في عامل صدقة؛ وتطبيقه المعاصر يحتاج إلى تحرير صفة الوظيفة والإذن والنظام، ولا يجعل كل هدية بين الناس من هدايا العمال.

ترسل شركة باقة فاخرة إلى من يشرف على شراء أجهزتها لمدرسة، قبل إرساء الطلب بأسبوع. قد تقول الرسالة «شكراً لجهودك»، ولا تكتب طلباً صريحاً. يظل على المشرف أن ينظر: هل وصلت لأنها علاقة مستقلة أم لأن القرار في يده؟ هل هناك سياسة للجهة وإذن ممن يملكه؟ هل ينتظر منها صاحب المصلحة أثراً في الاختيار؟ ليست قيمة الباقة وحدها هي القصة؛ قد يستقر في النفس شعور يصعب عليها أن تقول «لا» حين يلزم.

وفي الطرف الآخر، تهدي جارة لجارتها طعاماً اعتادت عليه قبل أن تتولى إحداها عملاً عاماً. لا تكفي المصادفة الزمنية لإدانة العلاقة. لكن حين تتداخل الهدية والسلطة، يفيد أن تُعرف الصفة والتوقيت والسبب وصلتها بالقرار. الإفصاح عن الهدية مهم، ولا يجعل قبولها جائزاً في كل حال؛ قد تقتضي الصورة إرجاعها أو تسليمها للجهة أو التنحي عن القرار، بحسب العقد والنظام والحكم.

يمكن للمسؤول أن يحمي فريقه بقاعدة واضحة: أين تُسجل الهدايا، ومن يقرر، وما الإجراء إذا وصلت منفعة فجأة؟ من الظلم أن يترك موظفاً وحيداً أمام إلحاح مورد ثم يطالبه بشجاعة لا يسندها نظام. إذا وصلتك المنفعة قبل أن تفهم

موضعها، فلا تتصرف فيها خفية؛ احتفظ ببيان قيمتها وصاحبها وموعدها، وأحل السؤال إلى من يملك الجواب. وتتسع صورة القرار خارج المكاتب. تدير أم لجنة صغيرة لجمع تبرعات رحلة مدرسية، فتخص متجر قريبتها بالشراء. قد يكون عرضه أصح للعائلة كلها، وقد تكون القرابة قد سبقت المقارنة. إذا أعلنت صلتها وقدمت الأسعار والخيارات لمن عهدوا إليها بالمال، استطاعوا أن ينظروا معها في مصلحة الرحلة. أما كتمان الصلة ثم الدفاع عن اختيارها بحدة، فينقل عبء الشك إلى بقية الأمهات. ليست الشفافية عقوبة للقريب؛ هي طريقة لإنصافه وإنصاف غيره.

وفي نادي القراءة ترسل دار نشر نسخًا مجانية إلى من يكتب مراجعة لها. يستطيع القارئ أن ينتفع بالمراجعة حتى مع وجود الهدية إذا عُرف أثرها وصدق الرأي، لكن مسؤولية من يقرر شراء كتب النادي من ميزانيته المشتركة تختلف عن قارئ يوصي من ماله ووقته. أسأل قبل أن تجيب الهدية: ما الدور الذي أؤديه الآن، ولمن أتكلم؟ قد يكفي البيان في علاقة، وقد يلزم الامتناع أو الرجوع لصاحب الصلاحية في أخرى. لا يملك المثالان حكمًا واحدًا لمجرد أن الشيء الداخل إلى اليد كتاب.

ولا تنحصر المنفعة في شيء يدخل يدك مباشرة. قد تعرض الجهة سفرًا على نفقتها، أو فرصة تدريب لقريب، أو خصمًا لا يحصل عليه سائر العملاء. القيمة ليست نقدًا فقط؛ كل ما يمكن أن يميل القرار يحتاج إلى وصف صادق. لا تحكم من هذا وحده بالمنع في كل صورة، لكن لا تخفِ المنفعة خلف اسم تسويقي لطيف.

والإفصاح بداية لا نهاية. قد تقول للجنة: تلقيت هدية، ثم تستمر في قيادة النقاش كأن شيئًا لم يتغير. ربما كان الواجب الإداري أن يقرر غيرك أثرها، أو أن تخرج من جزء من المداولة، أو أن تعاد وفق السياسة. لا تمنح نفسك الإذن لأنك كنت شجاعًا في الاعتراف؛ سلّم القرار لمن يملكه.

وتحتاج الهدايا الصغيرة المتكررة إلى نظر لا يقل عن الهدية الكبيرة الواحدة. فنجان مجاني كل أسبوع، وخدمة أسرع، ودعوات خاصة، قد تبني ألفة تجعل النقد أصعب من غير اتفاق صريح. لا يعني هذا أن كل لطف رشوة، لكن تكراره مع استمرار السلطة يبرر وضع قاعدة معروفة، حتى لا يبقى الموظف يفسر وحده أين تنتهي المجاملة وتبدأ المصلحة.

ومن العدل حماية مقدم الهدية أيضًا من تهمة عامة. قد لا يعرف دورك، أو يكون قد أرسل الشيء إلى فريق كامل بعادة

سابقة. اشرح القاعدة من غير تجريم لنيته، وأعد المنفعة أو وجهها كما تقرر الجهة. الورع يقطع طريق التأثير، ولا يحتاج إلى صناعة مذنب كي ينجح.

ولا ينتهي أثر الهدية بانتهاء القرار. قد تصل بعد توقيع العقد أو إعلان النتيجة، فيقال إنها شكر لا تأثير. لكنها قد تصنع توقعًا للقرار القادم أو تبدو للناس مكافأة على الماضي. لهذا يحتاج السجل المؤسسي إلى الهدايا اللاحقة أيضًا: من أرسل، ومتى، وما صلته بالعمل، وكيف عولجت. لا يحكم السجل على النيات؛ يمنع أن يضيع النمط بين ذكرات الأفراد.

وفي المؤتمرات قد توزع هدايا عامة أو سحوبات على الحضور. عموم العرض لا يحسم كل صورة، لكنه معلومة مهمة تختلف عن طرد خاص يصل إلى منزل صاحب القرار. سمّ الوقائع قبل الحكم: القيمة، والعموم، والتوقيت، والسياسة، والصلاحية. واحم من يبلغ عن المنفعة من التعبير؛ فالمؤسسة التي تعاقب الصراحة تربى الناس على الإخفاء ثم تتعجب من المفاجآت.

وقد يكون الرد رقيقًا: أشرك على لطفك، لكن دوري في هذا القرار يمنعني من قبولها. لا تحكم على باطن من قدمها كي

تحمي الأمانة التي في يدك. إذا صفت العلاقة وصفت الهدية؛
وإذا احتاجت إلى استتار لتبقى، فقد جاء وقت السؤال.

٣٥ الدين الذي لا ينام

قد تسكت شاشة الهاتف أياً ما عن ذكر الدين. صاحب المال منشغل، وأنت تعلم أن الرصيد في حسابك لا يكفي. مع ذلك يبقى الحق قائماً. المال المقترض يدخل ملك المقترض ويثبت بدله في ذمته؛ إنفاقه أو غياب مطالبة صاحبه لا يسقط الدين.^{٣٧}

قال النبي ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»، رواه البخاري.^{٣٨} النية هنا تدفع صاحبها إلى عمل يمكن رؤيته: يعرف أصل ما عليه، ويحفظ المواعيد، ولا يعد بما يعلم أنه لا يقدر عليه. قد لا يستطيع الوفاء الآن، لكن يستطيع أن يكف عن إنفاق المال

٣٧ الرملي، «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج»، ومعه حاشيتا الشبراملسي والمغربي الرشدي، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٢٣٢، فصل في القرض، فقرة «ويملك القرض بالقبض»؛ صورة الطبعة، النص الإلكتروني المساند. يذكر تفصيلاً في وقت حصول الملك؛ محل الاستفادة هنا التمييز بين ملك المقترض للمال وبين التزامه برد بدله، دون نسبة إجماع في تفاصيل المسألة.

٣٨ صحيح البخاري ٢٣٨٧، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، عن أبي هريرة. يثبت أثر نية الأداء والإتلاف، ولا يسقط الدين بالنية ولا يعي عن الأسباب العملية والحقوق المستحقة.

على صورة يريد الإبقاء عليها أمام الناس بينما يتأخر حق غيره.

وإذا ثبت إعساره، فلا يعامل معاملة الغني المماطل. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. يبقى أصل الحق، وتحتاج صورة الوفاء والصلح وتزاحم النفقات الواجبة والديون إلى تفصيلها.^{٣٩} الرحمة بالمدين لا تلغي حق الدائن، والمطالبة بالحق لا تعطي الدائن رخصة الإذلال.

قد يهبط على بيتك عطل في سيارة يحتاجها أهله، فتفكر في تقسيط الإصلاح. اقرأ العقد قبل التوقيع: ما أصل الثمن، وما المواعيد، وما الذي يحدث إذا تأخرت؟ ليست الزيادة للدائن على الدين بسبب تأخر السداد رسمًا مباحًا لأنها سميت غرامة في الورقة؛ قرر مجمع الفقه الإسلامي الدولي منعها في البيع بالتقسيط لأنها ربا. وما غمض من رسوم أو شرط يحتاج إلى سؤال بصورته.^{٤٠}

٣٩ القرآن الكريم، البقرة: ٢٨٠؛ السعدي، «تيسير الكريم الرحمن»، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١١٧؛ صورة الطبعة، العرض الإلكتروني المساند. يقرر وجوب إنظار المعسر حتى يجد وفاء. الإعسار لا يُسَوَّى بالمماطلة مع القدرة.

لمن أثقله الدين خطوة عملية صغيرة: اكتب اسم كل صاحب حق، وأصل المبلغ، وما سددت منه، وموعده، ووسيلة التواصل. ضع المختلف فيه في خانة مختلفة عن الحق المعلوم؛ لا تختبر الرقم الأخف لأنك تخشاه. ثم أخبر أصحاب الحقوق بما تستطيع أدائه حقيقة، وراجع نفقاتك قبل أن تضيف قرصاً يحجب القديم أسبوعاً ويضاعف القلق سنة. وإذا تغيرت قدرتك، تكلم قبل الموعد ما استطعت، وأثبت أي تغيير في خطة السداد باتفاق الطرفين.

من أصعب أيام المدين يوم يرى صاحبه في مناسبة سعيدة. يريد أن يتواري حتى لا يُفتح الحديث أمام الناس، وقد يريد الدائن أن يختصر شهور صمته بكلمة تجرحه هناك. يمكن للطرفين حفظ مجلسهما ثم ترتيب مكاملة خاصة: مبلغ معلوم، قدرة حاضرة، موعد مراجعة. ليس هذا تنازلاً عن المطالبة؛ إنه وضعها في مكان يستطيع فيه الحق أن يُسمع من غير جمهور. وإذا كان بينهما خلاف في أصل المبلغ، فليكتبا ما اتفقا عليه أولاً وما يحتاج إلى بيّنة، حتى لا تبتلع الخصومة الجزء الواضح.

٤٠ مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرار بشأن البيع بالتقسيط، البندان الثالث والرابع: منع الزيادة على الدين بسبب التأخر في السداد، مع تحريم مماطلة المدين القادر. محل النقل زيادة الدين مقابل الأخير، لا جميع صور الرسوم والنفقات.

وثمة من يحمل ديوناً في دفتر شخص مات. قد يكون الاسم مختصراً أو الرقم بلا بيان لما سدد. لا يكفي أن يطوي الورثة الدفتر لأن صاحبه لم يعد يشرح؛ ولا يصح أن ينسبوا كل رقم إلى ذمة ثابتة بلا فحص. تجمع الأوراق والتحويلات وما يعرفه أصحاب الحقوق، ويعرض المختلف فيه على من يفصل فيه. هنا تصبح كتابة الدين في حياة المرء رحمة بمن بعده، لا توقعاً للشؤم: تترك لهم باباً واضحاً بدل خصومة يصعب أن يسألوا صاحبها عنها.

يتلقى مدين مالاً غير متوقع في يوم يعرف أن لصديقه عنده حقاً. كانت له خطط كثيرة للمبلغ؛ بعضها لحاجات حاضرة، وبعضها لكماليات تأجلت طويلاً. لا يستطيع فصل ترتيبها عن موعد الدين وقدرته الحقيقية. يضع الأرقام أمامه، ويحدث صاحب الحق بصدق إذا لم يف به كله. وإن كانت له نفقات واجبة تزام السداد، فهذه صورة تحتاج إلى معرفة حقوق أصحابها وأولوياتها، لا إلى حكم يصنعه غضبه من المطالبة أو خجله منها.

وقد يعرض عليه قريب أن يسدد عنه سرّاً. يحسن أن يشكره، لكن عليه أن يعرف هل المال هبة أم قرض جديد، وهل يصل إلى الدائن كاملاً وفي الوقت المتفق عليه. استبدال اسم واحد باسم آخر في دفتر الديون لا يحل المشكلة دائماً؛ وقد يكون

العون الصادق في خطة صغيرة تعيد له قدرة الوفاء من غير عقد جديد لا يفهمه. الأهم أن يبقى صاحب الحق حاضرًا في القرار، لا آخر من يسمع بما فعل المدين في ماله.

ومن له دين عند غيره يحتاج إلى الورع أيضًا. إذا عسر صاحبه فلا تجعل الزيارة العائلية ساحة لإهانتته، ولا تضيف على حقه ما ليس فيه. وإذا أوفاك فأثبت الوفاء وأغلق السجل. قد ينتهي المال ويظل ألم المطالبة أو المماطلة؛ نحن لا نملك إعادة الوقت، لكننا نملك أن نبدأ الآن بإيصال الحق من غير وعد كاذب ولا قسوة زائدة.

ولكل دفعة أثر ينبغي حفظه. اطلب إيصالًا أو اكتب رسالة يفهم منها الطرفان ما سدد وما بقي، خصوصًا إذا كان الوفاء جزئيًا أو عن طريق وسيط. وعند تمامه أغلق السندات والصلاحيات المرتبطة به: أعد الضمانة، وحدّث السجل، ولا تترك مطالبة آلية تستمر بعد السداد. رد الحق يشمل أن يتوقف أثر الدين حين ينتهي، كما شمل أن يصل المال في وقته.

وإذا مات صاحب الحق أو تغير عنوانه، فلا تجعل صعوبة الطريق حكمًا بسقوط الدين. احفظ المقدار منفصلًا عن نفقتك، واجمع ما يثبت المحاولة، واسأل عن الورثة والطريق

الصحيح. قد تطول المسألة، لكن الفرق كبير بين مال محفوظ ينتظر صاحبه ومال استُهلك لأن صاحبه غاب. التوثيق هنا ذاكرة للأمانة إذا عجزت ذاكرتك الشخصية بعد سنوات.

٣٦ يدك على المال المشترك

تفتح تطبيق الحساب فترى مبلغًا تستطيع تحويله في دقيقة. كلمة المرور معك؛ لكن في المال شركاء لا يدخلون التطبيق الآن. هذه المسافة بين القدرة والإذن هي موضع الورع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. تقتضي الأمانة أن تعرف ما عهد إليك، ويجعل العقد حدود تلك اليد مفهومة لصاحبها ولشركائه. ليست ميزانية الأسرة كشركة، ولا مال الشركة كالمال العام؛ لكل صورة اتفاقها وحكمها.

يقول أحد الشركاء: دفعت من جيبي ثمنًا للمشروع، وسأخذ مثله الآن من الحساب. ربما كان ذلك مأذونًا، وربما كانت الدفعة مساهمة لا سلفة، وربما اختلف شركاؤه في أصل المصروف. ورقة واحدة وقت الدفع تحدد سببه ومن وافق عليه وما إذا كان سلفة أو تبرعًا؛ فتمنع أن يتحدث كل طرف بعد سنة بلغة ذاكرته وحدها. وإذا وقع الخلاف، يفيد فصل المقدار المتفق عليه عن المختلف فيه، وإيقاف التصرف في موضع النزاع حتى يُسأل أو يُصلح بعلم.

لا تحتاج الأسرة إلى اجتماع رسمي لتأخذ كل لقمة من ثمر بستان مشترك. وفي جواب لابن باز عن ضيافة زائر منه، فُرق بين اليسير الذي جرت به العادة ولا ضرر فيه، وبين ما يكثر أو يضر فيحتاج إلى إذن الشريك.^{٤١} هذا جواب في بستان وتعارف الشركاء؛ لا يبيح لموظف أن يتبرع من صندوق مؤسسة استنادًا إلى حسن قصده.

وجاء سؤال ابن باز في عينات الدواء بلفظه:

«يقول في آخر سؤال له: لي أخ يعمل في مجال الدعاية لشركة أدوية، ويتسلم بعض الأدوية لتوزيعها كعينات، فهل يحل له إعطاء ذويه منها، أم يحرم ذلك؟».

فأجاب:

«ليس له أن يعطي ذويه إلا بإذن من الشركة، إذا سمحت أن يعطي أحدًا يعطي، فليس له أن يعطي أحدًا لا قراباته، ولا غيرهم إلا بإذن الشركة، إذا كان إنما مهمته يري الزبون،

٤١ عبد العزيز بن باز، «حكم إعطاء الشريك من الفاكهة للضيف دون علم شريكه»، الموقع الرسمي. ليس إذنًا عامًا بالتبرع من مال الشركة ولا سياسة مصروفات للمؤسسات. الموقع الرسمي، صفحة ١٠٣١٧.

يطلعهم عليه حتى يعرفوا الدواء، لكن ليس له أن يعطي
أحدًا من الناس إلا بإذن الشركة، نعم».^{٤٢}

ما وصل إلى يد الموزع لأجل عمله لم يصبح ملكه الشخصي.
وفي مال الجهات العامة يتعلق الاستعمال بإذن الجهة صاحبة
الصلاحيّة في حدود النظام الذي يحكمها؛ ولا يكفي توجيه
رئيس مباشر إذا خالف التعليمات التي تحكم الصرف. الإذن
يُطلب ممن يملكه وفي حد ما يملكه.^{٤٣ ٤٤}

وثمة فرق آخر يحفظه الحساب العادل: خسارة السوق ليست
مرادفًا لخيانة العامل. في صورة مضاربة فيها المال من طرف
والعمل من آخر، بين ابن باز أن خسارة المال على صاحبه ما
لم يتعد العامل أو يفرط، وأن التعدي أو التفريط يغيران
الضمان.^{٤٥} إن جرى نزاع في شركة مختلفة، فلا تنقل إليها هذه
النتيجة قبل معرفة عقدها وشروطها وفعل كل طرف.

٤٢ عبد العزيز بن باز، حكم تصرف موزع الشركة في العينات التي يوزعها للعملاء.
الموقع الرسمي، صفحة ١٠٤٢٣.

٤٣ عبد العزيز بن باز، «حكم استعمال المال العام في الأمور الخاصة»، الموقع
الرسمي. صورة سيارة حكومية وهاتف عمل؛ يرد الاستعمال إلى الإذن المعتبر،
وليس بيانًا لقانون كل مؤسسة معاصرة. الموقع الرسمي، صفحة ٣٦٣٥.

٤٤ عبد العزيز بن باز، «حكم طاعة رئيس العمل بخلاف أوامر الدولة»، الموقع
الرسمي. يمنع جعل أمر الرئيس إذنًا فيما لا يملك إباحته؛ ولا يصدر حكمًا على نزاع
إداري غير معروض. الموقع الرسمي، صفحته ٤٢٥٨.

خذ دقيقة مع شركائك قبل الشراء المختلف فيه: ما الذي يحق لصاحب الحساب صرفه وحده؟ ما سقف الصلاحية؟ أين يوثق الإنز؟ من يراجع المصروف، ومن يتسلم المستندات إذا غادر المسؤول؟ هذه الأسئلة لا تخنق الثقة. حين يعرف كل شريك ما له وما عليه، يستطيع أن يطمئن إلى غياب صاحبه، وأن يكرمه من ماله هو حين يريد، وأن يقول «أسأل قبل أن أصرف» من غير حرج.

وقد تمنح المنصة موظفًا صلاحية كاملة لأنها لا تعرف صلاحية أصغر، فيظن أن كل زر متاح داخل مهمته. الوصول التقني غير التفويض. من يحفظ بطاقة الدفع، أو يستطيع إضافة مستفيد، أو يرى رواتب زملائه، يحمل أمانة تزيد على المهمة التي طلبت منه. يساعد الفصل بين من يطلب الصرف ومن يوافق عليه ومن يراجع، لا لأن الجميع متهمون، بل لأن الإنسان ينسى ويخطئ ويتغير دوره.

وفي مثال متخيل، تدير ثلاث أخوات حسابًا لتجهيز بيت والدتهن. تضع إحداهن مالا إضافيًا بعد أن تعطل جهاز، ثم

٤٥ عبد العزيز بن باز، «حكم المشاركة في تجهيز محل تجاري مع تقاسم الربح والخسارة». صورة مضاربة، لا جميع أنواع الشراكات. لم يحرر هذا المصدر صور الضمان القانوني أو البنود الحديثة. الموقع الرسمي، صفحة ٣١٤٦.

تمضي الأشهر وكل واحدة تظن أن هذه الزيادة شيء مختلف: هدية للأم، أو سلفة تُرد، أو مساهمة توازنها الأخريان لاحقًا. اكتبن وصف الدفعة يوم وقوعها، وأرسلن كشفًا بسيطًا يطلع عليه الجميع. لا تحتاج العلاقة إلى برود دفتر تجاري، لكنها تحتاج لغة تمنع الذكرى من أن تصبح ثلاثة عقود متعارضة. وإذا أرادت إحداهن أن تهدي الأم شيئًا من مالها، فلا يحول ذلك بقية الرصيد المشترك إلى مال شخصي لها. تفصل الدفعين وتفرح بالهدية بلا إشكال. وحين يخرج مال من الحساب بإذن صاحباته، تحفظ صورة الإذن مع السبب والمقدار، حتى تستطيع أخت رابعة إن دخلت لاحقًا فهم ما وقع دون أن تتهم أحدًا. التوثيق هنا خدمة للمودة لا إعلانًا أن الأسرة لا تثق بنفسها.

في الحالات العاجلة، اعمل في حدود الصلاحية والإذن المعتبر، ووثق ما فعلت وسببه ومقداره. وما خرج عن ذلك يُسأل عنه بصورته؛ فالاستعجال وحده لا ينشئ حق التصرف. لا تجعل كلمة «طارئ» صندوقًا يدخل فيه كل ما لم نخطط له. وبعد انتهاء الشراكة، لا يكفي أن تقول: لم أعد مسؤولًا. سلّم الرصيد والمستندات والصلاحيات، وأغ وصولك الذي لم تعد تحتاجه، واطلب ما يثبت التسلم. اليد التي عرفت كيف تدخل إلى المال تعرف أيضًا متى تخرج منه.

٣٧ الأجر الذي ينتظره صاحبه

ينتهي يوم العامل، ثم يبدأ انتظار الأجر. قد يراه المدير رقمًا في كشف متراكم، بينما يراه صاحبه إيجارًا لم يحن له بديل. قال النبي ﷺ:

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ».^{٤٦}

ومن صور الظلم التي جمعها الحديث أن يؤخذ العمل ويحبس المقابل؛ فلا تغيب كرامة العامل خلف رقم في كشف الأجور. يبدأ حفظ الحق قبل حلول مواعده. هل عُرف الأجر والدور وساعات العمل وطريقة اعتماد الإضافات؟ هل تغيرت المهام بعد الاتفاق حتى صار الموظف يؤدي شيئًا آخر كل يوم ثم يُحاسب على الوصف الأول؟ في مؤسسة يمكن أن يصير التكليف الذي يأتي آخر الليل أمرًا لا يستطيع الموظف رفضه،

٤٦ صحيح البخاري ٢٢٧٠، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير، عن أبي هريرة، وفي الحديث القدسي ذكر من استوفى عمل الأجير ولم يعطه أجره. الوديع في استيفاء العمل مع حبس الأجرة، ولا يفصل وحده نزاعات مقدار الإنجاز أو العقود محل الخصومة.

ولو رآه المدير رسالة عابرة. انظر إلى سلطة العبارة وأثرها على وقت الإنسان، لا إلى عدد الكلمات في الهاتف. قد تضيق السيولة فعلاً، وتختلف حال العاجز عن المماطل. لكن الأزمة لا تجعل العمال أول من يُطلب منه حمل ثمن المظهر الفاخر للجهة. صرّح بما حدث، ولا تعد بموعد لا تملكه، وبيّن خطة يمكن مراجعتها. وما يثبت للعامل من إجازة أو منفعة في عقده جزء من السؤال، كما أن أمانة العامل في الوقت والبيانات والمهمة لا تغيب لأنه يطالب بحقوقه. ومن خبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَأَنحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَتَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرْخَ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاضَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ

ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرَجَ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ،
فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ
الْآخِرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا
عَنْ نَفْسِهَا، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ،
فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي
وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أَجِلُّ لَكَ
أَنْ تَفْضَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا،
فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي
أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا
مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ
الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي
اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ
الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ،
فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ
كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ
يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ
كُلَّهُ فَاسْتَأْجَرَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ

ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ
فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».^{٤٧}

ليست القصة صيغة استثمار لأجور الغائبين. يكفيها أن تبقى
في الذاكرة حين يفكر صاحب العمل أن صاحبه لم يعد يسأل:
غياب المطالبة لا يمحو الحق.

تبدو المسألة أحياناً في بيت لا شركة. تستعين أسرة بمرضة
لرعاية مريض ساعات محددة، ثم تطلب منها، كلما تأخر أحد
الأبناء، أن تبقى «قليلاً» حتى منتصف الليل. قد تجامل في
المرّة الأولى، ثم يصير السكوت عرفاً يقتطع وقتها. حددا
ساعات العمل والإضافات ووقت الإخطار قبل أن تتحول
حاجة الأسرة الصادقة إلى عبء غير معلوم على شخص
يعتمد على أجره. وحين ينتهي اليوم، اذكروا ما تغير وادفعوا
ما استحق حسب الاتفاق، ولا تجعلوا محبة المريض مطالبة
مجانية للممرضة.

٤٧ صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك أجره فعمل فيه
المستأجر فزاد، حديث ٢٢٧٢، عن عبد الله بن عمر. أثبت الخبر كاملاً؛ وموضع
الاستفادة هنا أداء حق الأجير، دون استنباط ترخيص عام باستثمار أجور الغائبين
دون إذن.

وللعامل أيضًا أمانة في اللحظات التي يغيب فيها الرقيب: خصوصية من يرعاه، ودواؤه، ووقت وعد بالحضور فيه. يستطيع أن يطلب أجره كاملاً من غير أن يصور المريض أو يجعل أخباره ثمنًا للتعاطف معه. فصل الحقين يريح العلاقة: حقه في المقابل واضح، وحق الأسرة والمريض في الرعاية والستر واضح. إذا اختل أحدهما، يُصلح بوسيلته بدل مقايضة الحق بحق آخر.

وقد لا يكون صاحب الأجر موظفًا بدوام معروف. يصل مصور إلى مناسبة، ويعمل ساعات اتفق عليها، ثم يطلب منه المنظمون صورًا إضافية ومونتاجًا لم يذكره الاتفاق. الإعجاب بصوره لا يجعل ساعات التحرير هدية من عنده، كما أن أجره الأول لا يمنحه حق نشر صور الضيوف خارج ما أذنوا به. يحتاج الطرفان إلى اتفاق جديد إن تغير المطلوب؛ يحفظ له عمله ويحفظ لهم حدود استعمال الصور.

وإذا اختلفوا في ما شمله السعر، فليبدأوا بالرسائل والعينات التي تبين ما وعد به كل واحد. لا يخفى الغموض بتأخير التحويل إلى أن يسكت العامل، ولا يعالج العامل حقه بتهديد نشر خصوصيات الناس. الاتفاق الدقيق قبل الحفل أسهل، لكن الصدق بعده ممكن أيضًا: أخرجوا الجزء المتفق عليه من الخصومة، واسألوا عن الجزء الباقي عند من يعرف العقد

والعرف المتعلق به. المهم أن لا يحبس غضب الطرفين حقًا
ثبت لأحدهما.

وعند نهاية العلاقة، توجد أمانات لا تظهر في كشف الأجر:
كلمات مرور، ونسخ ملفات، ومعلومات عملاء، وأدوات،
وصلاحيات دخول. قائمة تسليم قصيرة تحمي الطرفين: ما
الذي عاد، وما الذي حُذف، وما الذي بقي لحاجة معلومة، ومن
تسلم المسؤولية. ليس حسن الختام مجاملة؛ هو أداء للحقوق
التي لا يراها من ينظر إلى التحويل المالي وحده.

ومن أسباب الظلم أن يبقى اعتماد الأجر معلقًا على شخص
واحد بلا موعد ولا بديل. يرفع العامل عمله، ثم تغيب
المسؤولية في إجازة، فيتوقف التحويل لأن النظام لم يعرف
من يعتمد بعدها. قد لا يقصد أحد حبس المال، لكن الخل
المؤسسي صار يحمل النتيجة نفسها على صاحبه. تعيين
مسار بديل ومهلة معلومة جزء من حفظ الأجرة قبل أن تقع
الخصومة.

وفي فرق العمل قد يُسند إلى المتدرب إنتاج حقيقي تحت
اسم التعلم. بعض التدريب يحتاج إلى ممارسة ولا يلزم أن
يكون وظيفة مقنعة، وبعضه يتجاوز ذلك إلى عمل تعتمد عليه
الجهة. لا يستخرج القارئ من هذا المثال حكمًا لعقد بعينه؛

ينظر إلى الوصف والاتفاق والنظام ويسأل عند الحاجة.
المقصود ألا تجعل كلمة جميلة مثل «فرصة» تمحو سؤال
المقابل والحق.

وفي المقابل، من تأخر أجره يستطيع أن يوثق العمل
والمواعيد ويطلب حقه بالسبل المشروعة، دون أن يُطلب منه
التنازل ليظهر ورعه. وإذا انتهت العلاقة، فليتضح ما دُفع وما
بقي، وكيف تسلم العهد والملفات. قد يتوقف العمل بين
الطرفين وتبقى بينهما أمانة؛ إخراجها إلى الضوء يحفظ
كرامتهما معًا.

٣٨ عمولة لها صاحب قرار

تقترح على قريبك شراء جهاز، وفي جيبك رابط يمنحك مبلغًا إن اشترى منه. تختلف هذه الحال عما لو كنت مسؤولًا عن مشتريات فريقه، أو وكيله الذي وعده أن يبحث عن أصلح سعر. «عمولة» كلمة واحدة، والثقة المودعة عندك ليست واحدة.

وكل رجلٌ صاحبًا ليشترى له سيارة، فاشترها بعشرة آلاف وأخبر موكله أنها بأحد عشر ليستبقي الألف. في هذه الصورة أوجب ابن باز رد الزيادة إلا أن يسمح بها صاحب المال، لأن الوكيل لم يبين الثمن.^{٤٨} لا يعني هذا أن كل وسيط ممنوع من الأجر، بل أن الألف هنا أخذت من موكل ظن أن الخبر عن السعر صادق.

وفرق في جواب آخر بين ما يأخذه وكيل مستقل على تعبته في متابعة معاملة، وما يعطى موظفًا يستخدم منصبه أو

٤٨ عبد العزيز بن باز، «حكم أخذ الوكيل زيادة على ثمن السلعة دون علم الموكل». لا يحكم على كل ربح أو وساطة؛ الحكم متعلق بصفة الوكالة والإخفاء في الواقعة. الموقع الرسمي، صفحة ١٥٣٢٥.

يقدم صاحبه ظلمًا.^{٤٩} لكي تعرف أين تقع عمولتك، اسأل بالترتيب: من تمثل؟ من يدفع لك؟ من يملك المال أو القرار؟ ما الذي أذن به صاحب الحق؟ هل يدخل المقابل في تعارض مع واجبك أن تختار له الأصلح؟

قد يكون أصل المنتج نفسه مشكلًا، فلا يصححه إعلان النسبة. وقد يكون التسويق مباحًا لكن صورة الإعلان مضللة: تكتب «أنصح به بعد تجربتي» ولم تجربته، أو تقول لصديقك «وجدت لك أرخص سعر» وأنت تخفي بديلًا أنفع لأن رابطك لا يدفع عنه شيئًا. الإعلان الواضح عن المصلحة يعيد للمستمع معلومة يحتاجها، لكن الإفصاح لا يحل منفعة يمنعها عقد الوكالة أو سياسة المؤسسة.

وفي مدرسة صغيرة تطلب المديرة أجهزة للطلاب، فيعرض عليها المورد نسبة شخصية إن اختارته. معرفة المدرسة بالنسبة لا تجعلها حقًا لها تلقائيًا؛ يرجع الأمر إلى صلاحيتها وعقدها والجهة المالكة للقرار. أما مصمم مستقل اتفق مع

٤٩ عبد العزيز بن باز، «حكم من دفع مالاً لمن أنجز له معاملة». لا ينشئ حكمًا شاملًا للعمولة الرقمية، بل يثبت أثر الصفة والوظيفة والظلم. الموقع الرسمي، صفحة ١٣٥٨٦.

عميل على أجر إحالة معلن، فصورته غير هذه. لا نعطيهما
حكمًا من الاسم ولا من مقدار النسبة.
إذا استحييت أن يعرف من ائتمنك من أين يأتي المقابل، فقد
عرفت موضع السؤال. ضع الثمن الحقيقي والصفة والإذن
أمامه، ثم اسأل أهل العلم عن الصورة إن التبتت شروطها.
الورع لا يمنع الكسب المشروع؛ يمنع أن يصير اعتماد الناس
عليك طريقًا إلى دخل لا يستطيعون رؤيته.

٣٩ متجري المشتري فيه الصورة

يفتح المشتري صفحة طقم أوانٍ لعزومة عائلية. الصورة جميلة، واللون واضح، والنص يذكر عدد القطع. بعد وصول الطلب يعلم أن الحجم نصف ما تخيله من الصورة، وأن سطر القياس كان مخبأ أسفل الصفحة. قد تكون المواصفات مكتوبة، لكن السؤال أوسع: هل صنع العرض فهمًا صادقًا لما سيصل؟

قال النبي ﷺ:

«الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».^{٥٠}

وقال ﷺ:

«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».^{٥١}

٥٠ صحيح البخاري ٢٠٧٩، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، عن حكيم بن حزام؛ وفيه بركة البيع بالصدق والبيان ومحقها بالكتمان والكذب. الحديث في البيع؛ واستعماله في الفصل ٣٣ تنبيه تربوي إلى الصدق والبيان في عقد العمل، واستعماله في الفصل ٣٩ في بابه الأصلي المتصل ببيان السلعة؛ ولا ينقل الاستعمال الأول جميع أحكام البيوع إلى الوظيفة.

يحفظ الصدق والبيان للمشتري فهم ما يشتريه، ويمنع الغش من أن يكون طريقاً إلى رضاه. يحتاج المتجر إلى هذا الميزان منذ الإعلان الأول حتى رسالة الاسترجاع الأخيرة.

قد يضيف البائع في نهاية الدفع رسماً لا يمكن حسابه قبل عنوان الشحن؛ هنا البيان المبكر لسبب تغييره يختلف عن إخفاء رسم معلوم حتى يكون المشتري قد تعلّق بالطلب. وقد تنفذ قطعة فيتغير موعد التسليم، فيبلغ العميل بما وقع ويبين خياراته. التعثر الصادق أهون من إشعار آلي يقول «شحن» والعلبة ما زالت في المخزن.

المراجعة التي كتبها صاحب تجربة حقيقية تساعد الغريب على الاختيار. حسابات تصطنع الثناء أو عداد تخفيض يعيد نفسه كل زيارة يصنعان معلومة لا توجد. وقد تعطي متجراً بضع مبيعات سريعة ثم تترك كل مشترٍ يحاول أن يعرف: أي شيء هنا حقيقي؟ لا تحتاج التجارة إلى صور بشعة كي تصدق؛ تحتاج أن تكون الصورة الجميلة من السلعة نفسها، والندرة الحقيقية، ووعد الإرجاع قابلاً للفهم والعمل.

٥١ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، عن أبي هريرة: ١٠١، وفيه لفظ «ومن غشنا فليس منا»؛ و١٠٢، في قصة بلال الطعام، ولفظه «من غش فليس مني». اللفظ المقتبس في المتن من ١٠١، والقصة في ١٠٢. أصل في تحريم الغش، لا حكم تفصيلي مستقل على كل واجهة أو رسم إلكتروني.

ومثل المال بيانات الناس: عنوان واسم وهاتف وتفضيلات شراء. الذي أُعطي لك لتسليم الطلب لا يخرج من الأمانة لمجرد أنه لا يزن شيئاً. اعرف من يطلع عليه ولماذا، وراجع ما تسمح به أدوات المتجر والعقد والنظام. لا يحدد هذا الفصل حكماً تقنياً لكل معالجة للبيانات؛ يعيد انتباه التاجر إلى أن العميل ائتمنه على أكثر من ثمن السلعة.

وفي التجارة الصغيرة قد يكون الوصف صادقاً حرفياً ومضلاً في السياق. تكتب صانعة حلوى «يكفي لعشرة» بناء على قطع صغيرة تضعها في صور الإعلان، بينما يعرف جمهورها أن المقصود عادة حصصاً أكبر. يبيّن وزن المنتج وحجمه وصورة بجانب شيء معروف القياس؛ لا تتركّي العميل يكتشف معنى الجملة عند حضور ضيوفه. وإذا كان المنتج يصنع عند الطلب، فميزي بين موعد بدء الصنع وموعد التسليم، وبين صورة نموذج سابق وصورة الشيء الذي سيصله.

قد يعود المشتري غاضباً ولو كان جزء من سوء الفهم منه. اسمعيه قبل أن ترسلي إليه فقرة الشروط. ما الذي وعد به الإعلان؟ وما الذي وصل؟ وثّقي الواقعة ليتحسن الوصف في الطلب التالي، ثم عالجي حقه بحسب العقد والحكم، ولا تجعلي اعتذاراً لطيفاً بديلاً عن تصحيح حق ثابت. التجارة

التي تريد عودة المشتري تحتاج عيناً ترى من وراء شاشة الطلب؛ هذا الإنسان اشترى لما فهمه من كلامك وصورتك معاً. تباع امرأة شتلات صغيرة عبر متجرها، فتصل إحداها متعبة بعد أيام شحن حارة. يعرف المشتري أن النبات حي يحتاج عناية، لكنه دفع ثمن منتج قليل له إنه سيصل بحال مناسبة. ما الذي نص عليه العرض عن التغليف والموعود والضمان؟ وما الذي تثبته صورة الصندوق عند الوصول؟ الحديث عن طبيعة النبات لا يمحو وعداً محدداً، كما أن كل ورقة ذابلة لا تثبت غشاً. الاستماع وتوثيق الحالة يفتحان تسوية عادلة بدل تبادل عبارات جاهزة.

وقد يحسن البائع عرضه قبل وقوع الشكوى التالية: يوضح وقت الشحن الملائم، وحجم الأصيل لا قرب عدسة الهاتف، وما يستطيع تعويضه إذا وصل المنتج متضرراً. هذا البيان قد يقلل طلبات متحمسة في البداية، لكنه يجنب المشتري خيبة من توقع ما لم يُعرض عليه. ليس نجاح المتجر أن يضع أسرع عبارة «أوافق على الشروط»؛ نجاحه أن يفهم من يوافق على ماذا، وأن يستطيع البائع نفسه الوقوف خلف وصفه بعد وصول الطرد.

أما العبارات مثل «الأفضل» و«طبيعي» و«مضمون» فتحتاج إلى معنى يستطيع المشتري فحصه. الأفضل في أي معيار؟ وما المقصود بالطبيعي؟ وما مدة الضمان وما الذي يشملها؟ الكلمة الواسعة قد ترفع النقرات، لكنها تنقل الخلاف إلى ما بعد الدفع. البيان الجيد لا يقتل التسويق؛ يحول الوعد من انطباع عابر إلى التزام يمكن الوفاء به.

واجعل طريق الشكوى ظاهراً بقدر طريق الشراء. إذا احتاج الزبون إلى خمس شاشات ليجد سياسة الإرجاع بينما يصل إلى الدفع بنقرة، فالتصميم نفسه يختبر الأمانة. راقب أسباب الإرجاع المتكررة: ربما تخبرك أن الوصف ناقص أو أن الصورة تختار أجمل نسخة وتسكت عن التفاوت. إصلاح الصفحة رد حق للآتين، لا خدمة تقنية منفصلة عن الورع.

وتشارك المنصة في البيان بقدر ما تصنعه من عرض. إذا غيّرت صورة المنتج أو رتبت التقييمات أو اختصرت الوصف، فليعرف البائع ما نُشر باسمه، وليستطع المشتري الوصول إلى النسخة التي وافق عليها. حفظ تاريخ التعديل ليس رفاهية تقنية؛ فقد يتنازع الطرفان لأن كل واحد يرى صفحة مختلفة بعد الشراء. نسخة الطلب والفاتورة والوصف يوم الدفع تقرب طريق العدل.

وعند البيع بلغات متعددة لا يكفي أن تكون النسخة الأصلية دقيقة. قد تقلب الترجمة الآلية شرطًا أو قياسًا أو مدة ضمان. راجع الكلمات التي تغير الرضا: المادة، والحجم، والتحذير، والسعر، والإرجاع. وإذا تعذر تقديم ترجمة موثوقة، فصرح بحدودها ولا تعرضها كبيان معتمد. إتاحة النص لضعيف البصر أو لمن يستخدم قارئ الشاشة من تمام إمكان فهم الوصف، لا زينة تلحق بالمتجر بعد اكتماله.

وعند تغير المنتج ينبغي أن يتغير الإعلان معه. قد يستبدل المورد مادة أو عبوة أو ملحقات، وتبقى الصور القديمة لأنها أجمل. لا يكفي أن يكون البديل قريبًا في الوظيفة إذا كانت الصفة مؤثرة في رضا المشتري. حدّث الصفحة، وميز المخزون القديم من الجديد، وأخبر من طلب أثناء الانتقال. صدق المتجر ليس وصفًا كتب مرة؛ هو صيانة مستمرة للفهم الذي يشتري الناس على أساسه.

٤٠ لا يُعَالَجُ كُلَّ مَالٍ مُخْتَلَطٍ بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ

قد تفتح حسابًا عائليًا فتجد رصيدًا دخلته وجوه مختلفة، أو تتذكر حقًا لشخص لم يرد إليه، أو تقلق من كسب قديم. امتزاج الأرقام لا يدمج أصحاب الحقوق. قبل إخراج مبلغ أو إطلاق حكم على الحساب كله، أعط كل صورة اسمها.

مال قريب له دخل مختلط. قد تعرف أن لأبيك دخلًا اختلط فيه الحلال بغيره، دون أن تعرف أن المال المعروض عليك بعينه مأخوذ من وجه محرم. في جواب ابن باز عن أخذ الابن من مال أبيه المختلط أجاز الأخذ في الصورة المذكورة، ومنع أخذ عين المال الذي علم أنه مسروق أو مغصوب أو ثمن محرم، ثم وجه من أغناه الله بكسب واضح ولا حاجة له إلى الاستغناء.^{٥٢} فالإذن بالأخذ لا يلغي أن يكون التنزه أنسب لمن استغنى، ولا يبيح لك أن تتهم مالا معينًا بغير علم أو تلزم

٥٢ عبد العزيز بن باز، «حكم الأموال المختلطة من الحلال والحرام». فرق الجواب بين المال المختلط وعين المال المسروق أو المغصوب أو ثمن المحرم، ووجه المستغني صاحب الكسب الواضح إلى الاستغناء. لا يطبق على حق يعرف الآخذ صاحبه، ولا يعمم على كل صورة من صور المال المحرم. الموقع الرسمي، صفحة ٢٢٥٨.

غيرك باختيارك. أما الحق المعروف لصاحبه فله حكم الرد، كما يأتي.

حق معلوم لصاحب معلوم. أخذت زيادة من موكلك، أو عرفت أن في حسابك مبلغًا لفلان: رد الحق إليه، أو إلى ورثته إن مات وعُرفوا. وفي جواب لابن باز عن مال كسب بغير حق وتوفي أصحابه، وجّه إلى الورثة إن عرفوا، ولم يجعل الصدقة بديلاً مع إمكان الوصول.^{٥٣} لا تبرئ نفسك بإخراج نسبة تقديرية في مصرف تختاره وأنت تستطيع إيصال المال إلى صاحبه. وثق المقدار والسبب، فإن وقع اختلاف حقيقي في الحساب فاعرضه بأدلته.

كسب محرم بلا صاحب حق معيّن مذكور في السؤال. في هذه الصورة وجّه ابن باز صاحب مال جمعه من حرام إلى التصديق بما عرف أنه دخل منه، أو الاجتهاد في تقديره إن نسيه، مع التوبة والإقلاع.^{٥٤} لا تنقل هذا الجواب إلى سرقة من

^{٥٣} عبد العزيز بن باز، «رد المال لورثة الميت»؛ منشور في مجلة الدعوة، العدد ١٦٤٥، ومجموع فتاوى ومقالات الشيخ ٢٠/٢١٨ بحسب إحالة الموقع. لا تفصيل هنا لمسألة ظهور المالك أو الوارث بعد الصدقة. الموقع الرسمي، صفحة ١٩٢١٢.

^{٥٤} عبد العزيز بن باز، «حكم من تاب بعد أن جمع مالاً من حرام». لم يذكر السؤال صاحب حق معيناً؛ فلا يُستعمل لإسقاط رد المظلمة إلى صاحبها. الموقع الرسمي، صفحة ١٧٥٧٩.

شخص معروف أو ربح وكيل أخفاه على موكله. سبب دخول المال يحدد باب الإصلاح، فلا يصلح علاج مريح للصورة الخطأ.

مالك غائب تعذر الوصول إليه. في واقعة بضاعة عند سائلة تعذر وصولها إلى صاحبها، نُشرت فتوى في إسلام ويب بالتصدق عنها بما يوافق الصورة وقيمة المستعمل أو عين البضاعة وثمرتها بحسب حالها، مع نقل لكلام ابن تيمية في الأموال مجهولة الملاك.^{٥٥} التعذر بعد البحث ليس حرج مكاملة أو خشية عتاب. ولا يستخرج من الجواب ميعاد واحد يصلح لكل غياب أو إذن بالتصرف في مال يمكن رده.

وماذا إن ظهر المالك بعد أن تصدقت عنه لعجزك عن معرفته أو الوصول إليه؟ في جواب إسلام ويب عن تائب سرق أموالاً ولم يستطع الوصول إلى بعض أهلها، ذكر تخيير من يظهر منهم: إن أمضى الصدقة فأجرها له، وإن أراد المال أعطي حقه وكان أجر الصدقة للمتصدق.^{٥٦} لا تقل له «تصدقت عنك

٥٥ إسلام ويب، فتوى ٣٦٥٤٤٠، «كيف يتصرف من عنده ممتلكات لم يستطع الوصول إلى صاحبها وقد استخدم بعضها»، ٢٨ نوفمبر ٢٠١٧. لا تحدد مدة عامة للبحث، ولا تعالج ظهور المالك بعد الصدقة.

٥٦ إسلام ويب، «كيفية التصرف في الأموال المسروقة إذا لم يتوصل إلى أصحابها»، فتوى ٣٠٢٦٧٧، ٩ يوليو ٢٠١٥. النص الكامل. الجواب في تائب سرق

وانتهى حقك». اجعل قراره حرًا، فلا تضيف ضغطًا عاطفيًا إلى تأخر ماله.

وللمسألة نظير في «المغني» لابن قدامة في رهون جهل أصحابها وورثتهم وأيس من معرفتهم؛ ورد بيعها والتصدق بتمها ثم تخيير من عُرف بعد ذلك بين إمضاء الأجر والغرم له.^{٥٧} الرهن ليس المال المسروق. وفي الرهن حق المرتهن أيضًا، وقد ورد في الموضع خلاف في كيفية استيفائه لحقه من الثمن والرجوع إلى الحاكم. فلا يجعل النقل إذنا بأن يخصم من ثمن الرهن لنفسه ما يراه ثم يتصدق بالباقي.

قد تحتاج إلى ورقة خاصة تحفظ مقدار المال، وسبب وجوده عندك، وما بذلته للوصول إلى صاحبه، وما عملت به بعد السؤال، وأين ذهب ما أخرجت. الورقة تساعدك على الصدق

أموالاً وتعذر عليه معرفة بعض أصحابها والوصول إليهم؛ وفيه تخيير من ظهر بعد الصدقة. الإحالة إلى جواب الفتوى نفسه، لا إلى تحقيق مستقل لأسانيد الآثار التي استشهد بها.

٥٧ ابن قدامة، «المغني»، ج ٤، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، كتاب الرهن، ص ٣٠٥، فصل ٣٣٥٨، آخر الصفحة. قوبلت صفحة العنوان والتاريخ والنص في صورة الجزء الرابع. يقابله في عرض إسلام ويب ج ٤، ص ٢٦٤، مسألة ٣٤٠٤؛ ولا يُخلط هذا الترقيم بترقيم الطبعة المصورة. النقل في رهون مجهولة الملاك والورثة، وتليه روايات مختلفة في استيفاء المرتهن حقه؛ فلا يستخرج منه إذن عام باقتطاع الدين من المال قبل التصديق.

إذا ظهر صاحب الحق، ولا تمنح قرارك صحة شرعية بمجرد حفظه. إذا وجدت ورثة أو شركاء أو نزاعاً في القيمة أو سبق منك تصرف قبل بحث كاف، اعرض التفاصيل كما وقعت على أهل العلم. ما كان ديناً مع قدرة على أدائه يختلف عن العجز الحقيقي، وسيأتي الفرق في الفصل ٦١.

يسهل أن تقول «اختلط المال» فتحمل الحساب كله ذنباً لا تعرفه، أو أن تختار صدقة تريحك وتسكت حق صاحبه. العمل أهدأ وأدق: اعرف سبب كل مبلغ بقدر استطاعتك، وأوصل الحق المعين، واسأل عن الباقي باسمه. لا تحتاج الأمانة إلى رقم كبير يدهش الناس؛ تحتاج أن يصل المال إلى الباب الذي ينتظره.

الباب السادس: ورع اللسان والعلاقات

٤١ قبل أن تضغط إرسال

في مجموعة الأسرة صورة لرسالة تقول إن دواءً اعتاده بعضهم قد سُحب من السوق. يسارع أحدهم إلى إعادة إرسالها خوفًا على من يحب؛ ثم يظهر أن الصورة قديمة وأن الاسم يشبه اسم دواء آخر. كانت النية أن ينفع، وكان أثر الخبر أن أقلق من احتاج الطمأنينة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وجاء في مقدمة صحيح مسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع».^{٥٨} لا يصف الحديث كل ما تسمع بأنه كذب؛ يحذر ممن يجعل أذنه ممرًا بلا سؤال إلى لسانه.

للخبر أصل وتاريخ وسياق. قد تثبت الصورة ولا يثبت تاريخها، ويصح اللفظ وقد يغير عنوان المقطع معناه، ويكون القول صحيحًا لكن نشر مرض صاحبه اعتداء على

٥٨ صحيح مسلم ٥، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، عن أبي هريرة: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع». المعنى في خطر النقل غير الممحض؛ لا يعني أن كل خبر يسمع كذب في ذاته.

خصوصيته. وفي أخبار تؤثر في صحة الناس أو سمعة فرد أو مال أسرة، اختبر الخبر بأربعة أسئلة قبل نقله: من أصدره؟ ما تاريخه؟ ما نطاقه الذي ينطبق عليه؟ وما الحاجة الفعلية لدى من سينقل إليه؟

ربما وجدت نفسك أشد تدقيقًا في خبر لا يعجبك وأسرع مشاركة لما يؤكد رأيك. جرّب المعيار نفسه في الحاليين. ليس المطلوب بحثًا طويلًا لكل كلمة عادية؛ إنما قدر من التثبت يناسب أثر ما ستنشره. وعبرة «لم أتحقق» لا ترفع ضرر إشاعة اتهام باسم إنسان. إذا لم تعرف الأصل ولم تكن هناك حاجة معتبرة إلى النشر، يستطيع الخبر أن يتوقف عند هاتفك.

وفي صباح آخر يصل إلى مجموعة الحي تسجيل بصوت يبدو مألوفًا، يقول إن مدرسة المنطقة أغلقت بسبب عطل كبير. يبدأ الآباء بالاتصال والذهاب والعودة، ويعرفون بعد ذلك أن التسجيل يخص فصلًا دراسيًا مضى. لو أن أول من رآه بحث عن تاريخ الإعلان في قناة المدرسة الرسمية لتغير صباح بيوت كثيرة. لا يلزمه كشف نية من أرسله؛ قد يكون هو نفسه أسير مقطع أعيد نشره. يلزمه أن لا يمنح المقطع عمرًا جديدًا على حساب الناس.

ولا تتساوى أخبار السلامة كلها في طريقة التعامل. قد تعثر على إعلان رسمي عن إغلاق طريق اليوم، وفيه موعد ومكان واضحان؛ تنقله لمن يسلكه مع الرابط والتاريخ. وقد يصل تسجيل يقول «انتبهوا من كل منتج من هذا النوع» بلا اسم جهة ولا رقم دفعة ولا موعد، فيخاف منه الناس ولا يستطيعون فعل شيء محدد. في الأول تزيد المشاركة قدرة الجار على التصرف، وفي الثاني قد تزيد خوفه فقط.

إذا احتجت إلى التحذير من أمر رأيته بنفسك، صف ما رأيت ومن يحتاج إلى معرفته، ولا تمد الوصف إلى سبب لم تتحقق منه. «رأيت ماءً يتسرب قرب المدخل» خبر يمكنك إبلاغه للجهة المسؤولة؛ «المبنى آيل للسقوط» حكم آخر يحتاج فحصاً من أهله. هذا الفرق في درجة العبارة يحفظ للناس حقهم في الاحتياط بقدر الواقع، ويحفظ الخبر من أن يتحول في أثناء انتقاله إلى يقين أكبر مما رآه أول شاهد.

وقد تحتاج عند خطر قريب إلى نقل ما ثبت قبل اكتمال كل التفاصيل؛ فافصل حينئذ المعلوم عن المجهول، واذكر فعلاً احترازياً محدداً من غير تهويل أو جزم بما لم تعلم. بين الحرص على الناس والرغبة في أن تكون أول من نشر مسافة اسمها الأمانة.

قبل الإرسال، افصل بين أربعة أفعال تبدو متشابهة: أن تسأل، وأن تخبر، وأن تحذر، وأن تحكم. السؤال يطلب معلومة، والخبر ينقل ما ثبت، والتحذير يضيف تقدير خطر، والحكم ينسب مسؤولية أو وصفًا. كل انتقال بينها يحتاج دليلًا أكبر. ربما كنت تملك سؤالًا فقط، لكن صياغتك خرجت في صورة حكم ينتشر قبل الجواب.

وانظر إلى سعة الجمهور. ما يصح إرساله لصاحب الشأن قد يضر إذا نُشر في مجموعة كبيرة. قد تحتاج الإدارة إلى صورة العقد، ولا يحتاج الزملاء إلى تفاصيل راتب صاحبه. وقد يحتاج الوالدان إلى خبر يخص ابنهما، ولا يحتاج مجلس العائلة إلى تداوله. اختيار المستلم جزء من صدق الرسالة، وليس مسألة تقنية بعد اكتمالها.

ثم اسأل عن قابلية التراجع. بعض الكلمات يمكن تصحيحها في المجلس نفسه، أما لقطة الشاشة فقد تخرج من سياقها وتبقى بعد الحذف. كلما صعب الرجوع، زادت قيمة الوقفة. تستطيع أن تكتب الرسالة وتحفظها دقائق، ثم تقرأها بعين من ذكر فيها: هل وصفت الواقع، أم نسبت نية؟ هل ذكرت قدر الحاجة، أم جمعت تفاصيل تصنع الإثارة؟

وإذا أخطأت في الإرسال، لا يكفي أن تحذف من عندك. أخبر من وصلته النسخة بالتصحيح، واطلب منه حذفها إن كان ذلك ممكناً، وارجع إلى المتضرر بالطريقة التي تقلل أثر الخطأ. أحياناً يكون التصحيح في المجموعة نفسها، وأحياناً يزيد الإعلان الضرر؛ تقدر الحاجة بقدرها، ولا تجعل خوفك على صورتك مقدماً على إصلاح الأثر.

ضع لنفسك قاعدة بسيطة في الأخبار الحساسة: مصدر معروف، وغرض مشروع، ومستلم يحتاج المعرفة، ولفظ لا يتجاوز الثابت. إذا فقد واحد من هذه الأربعة، فتوقف. لن تمنع القاعدة كل خطأ، لكنها تبطئ اليد في اللحظة التي يسبق فيها الحماس العلم. وقد تكون نجاة مجلس كامل في ثانية لم تضغط فيها «إرسال».

٤٢ غيبة في ثوب النصيحة

أخطر الكلام ليس دائماً الكلام الذي نعرف قبحه. أحياناً تأتي الغيبة في ثوب محترم: «أنا فقط أنصحك»، «أقول هذا لمصلحتك»، «يجب أن تعرف الحقيقة». وقد يكون في الكلام بعض الحق، ومع ذلك لا يكون كل حق مباحاً في كل مجلس. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتْهُ».^{٥٩}

هذا الأصل يقطع حيلة شائعة: صحة المعلومة وحدها لا تجعل ذكر العيب مباحاً. قد تكون صادقاً في الخبر ومخطئاً في نشره.

لكن الشريعة لا تجعل حفظ العرض ستاراً يمنع التظلم أو النصيحة الواجبة أو دفع الضرر. قال النووي في «رياض

٥٩ صحيح مسلم ٢٥٨٩، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، عن أبي هريرة؛ وفيه تعريف الغيبة والفرق بينها وبين البهتان. يثبت الأصل، ولا يلغي الاستثناءات الشرعية المنضبطة التي بحاج علماء وحاجة وقدرًا.

الصالحين»: «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها».^{٦٠} ثم فصل ستة أسباب، وخلصتها: التظلم عند من يقدر على الإنصاف، والاستعانة على إزالة منكر، والاستفتاء، والتحذير والنصيحة عند الحاجة، وذكر من يجاهر بفسقه بما جاهر به، والتعريف عند الحاجة إذا لم يقصد التنقص.

هذه الصور ليست أبواباً مفتوحة للكلام؛ هي استثناءات مربوطة بالمقصد والحاجة والقدر. قد يحتاج من يستشيرك في شراكة إلى معلومة مؤثرة تعرفها حقاً، وقد يحتاج المظلوم أن يذكر ما وقع له للقاضي أو لمن ينصفه، وقد يحتاج المستفتي أن يصف فعل شخص حتى يفهم المفتي الواقعة. هنا لا يكون الصمت فضيلة إذا ضاع به حق أو وقع به ضرر يمكن دفعه.

وفي المقابل، لا تتحول كلمة «النصيحة» إلى رخصة لعرض السجل كله. إذا كان المقصد يتحقق بذكر واقعة واحدة فلا حاجة إلى تاريخ الشخص، وإذا أمكن السؤال من غير تسمية

٦٠ النووي، «رياض الصالحين»، كتاب الأمور المنهي عنها، باب ما يباح من الغيبة، مقدمة الباب قبل الأحاديث. قوبل النص في العرض الإلكتروني للكتاب، مع عرض موسوعة رياض الصالحين الذي يرقم الباب ٢٥٦؛ لا تنسب هذه الإحالة إلى طبعة ورقية لم تقابل.

كان ذلك أستر في مواضع كثيرة، وإذا احتاجت الجهة المختصة إلى الاسم قيل لها بقدر الحاجة. الفرق بين النصيحة والفضول يظهر كثيراً في مقدار الكلام بعد أن يتحقق الغرض.

ومن العلامات العملية أن تسأل قبل أن تتكلم: ما الغرض الشرعي المحدد؟ هل الشخص الذي أمامي هو من يحتاج المعلومة أو يستطيع أن يعمل بها؟ هل يمكن الوصول إلى المقصد بعبارة أقل أو من غير تسمية؟ وهل ما سأقوله متحقق، أم هو خليط من واقع وظن؟ إذا لم تجد جواباً واضحاً، فالتوقف أسلم من تغليف الرغبة في الكلام باسم النصيحة.

ومن أخطر المواضع الغضب. الإنسان الغاضب يستطيع أن يبدأ بحق ثم يجر معه ما لا علاقة له بالموقف. يشكو ظلماً وقع اليوم، ثم يفتح ملفات عشر سنين؛ أو يحذر من عيب مهني ثابت، ثم يدخل في حياة الشخص الخاصة. الغرض المشروع له حدود، والهوى يحب توسيعها.

والنصيحة الصادقة لا تحتاج التشفي. قد تضطر إلى ذكر ما يكره الشخص لأنه يتعلق بحق غيره، لكن قلبك لا يحتاج أن يفرح بكشفه، ولسانك لا يحتاج إلى المبالغة. بل من علامات

الصدق أن تتمنى لو تحقق المقصد من غير كشف، وأن تقتصر إذا اضطررت إلى البيان.

كما أن السكوت ليس دائماً ورعاً. من عرف غشاً حقيقياً يهدد من يستشيريه ثم أخفى المعلومة كلها حتى لا «يفتاب»، قد يكون ضيع حق النصيحة. ومن شهد ظلماً ويحتاج صاحب الحق شهادته لا يتخلص من واجبه باسم صيانة اللسان. الورع لا يختار الصمت أو الكلام لذاته؛ يختار ما يرضي الله ويحفظ الحقوق.

٤٣ الباب الذي فُتح لك

أعطاك أخوك هاتفه لتجد عنوانًا في رسالة، فظهر في أعلى الشاشة إشعار خاص. استطعت أن تلمسه ولم تفعل. لا يراك أحد؛ غير أن الأمانة كانت في هذه اللحظة أوضح من كثير مما يراه الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. [الحجرات: ١٢]، وقال في دخول البيوت: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾. [النور: ٢٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ. فَقَالَ وَاللَّهِ لَتَقِيَمَنَّ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ. أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا

أَصْغَرَ الْقَوْمَ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ».^{٦١}

للهاتف والملف والصورة باب كذلك. من أذن لك في اتصال لم
يأذن لك في معرض الصور، ومن دعاك إلى جلسة صغيرة لم
يأذن لك في نشر صوتها.

في العمل قد يملك شخص صلاحية فتح سجل جاره أو
زميله. المفتاح تقني، والحاجة هي التي تحدد الدخول
المشروع في حدود العمل. إذا احتاج إلى ملف لإنجاز مهمة،
اطلع على قدرها، واحفظ ما وقع عليه بصره عرضًا مما لا
يخصها. وقد تقتضي مسؤولية والدية أو إجراء مشروع قدرًا
من الاطلاع؛ يبقى السؤال عن السبب وحدّه ومن يملك القرار،
لا عن فضول صاحبه.

والصورة التي وافقت طفلة على التقاطها لا تصير آمنة للنشر
لمجرد أنها ضحكت في الكاميرا. فكّر في كرامتها بعد سنوات،
وفي اتساع جمهور لا تعرفه. إذا وصلت إليك مادة خاصة

٦١ صحيح البخاري ٦٢٤٥، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثًا، عن أبي
سعيد الخدري؛ وفيه رجوع أبي موسى بعد عدم الإذن. الحديث في استئذان
الدخول؛ واستعماله في الخصوصية الرقمية قياس تربوي في احترام الحدود، لا
تفصيل فقهي لجميع أحكام البيانات.

بالخطأ، نبه مرسلها إن احتاج، وأوقف تداولها، ولا تجعل المصادفة إذنًا جديدًا. من حق الإنسان أن يختار لمن تُفتح حياته، ولو لم يكن فيها سر معيب.

إذا وقع خلاف مع قريب يعرف أسرارك، يظهر هذا الورع في أقصى صورته: لا تستعمل ما ائتمنك عليه يوم كان يأمّنك سلاحًا اليوم. تستطيع أن تطلب حَقك دون أن تجعل ثقته السابقة ثمنًا للخصومة. ليست الخصوصية ورقة امتياز للمخطئ؛ هي حد يظل في مكانه حتى حين تغضب.

والإذن ليس كلمة واحدة تصلح لكل استعمال. له صاحب، وغرض، ونطاق، ووقت. من أرسل لك وثيقة لتراجع رقمًا لم يأذن لك في الاحتفاظ بنسخة بعد انتهاء الحاجة، ومن شارك صورة في مجموعة عائلية لم يجعلها مادة لحساب عام، ومن منح موظفًا صلاحية إدارية لم يفتح له كل ملف يستطيع النظام إظهاره. اذكر الغرض الذي دخلت من أجله، ثم اخرج حين ينتهي.

وقد يقع الاطلاع بلا قصد: تفتح ملفًا مشتركًا فتظهر صفحة لا تخصك، أو يصل بريد إلى عنوانك خطأ. لا تحوّل الخطأ إلى فرصة. أغلق ما ظهر، ولا تصنع نسخة «للاحتياط»، ونبه من يستطيع إصلاح المسار بعبارة لا تنشر محتوى الرسالة نفسه.

فإن تعلق الأمر بخطر أو حق يحتاج حفظ دليل، فلا تتصرف وحدك بالحذف أو النشر؛ ارجع إلى الجهة المخولة واحتفظ بالقدر الذي تطلبه.

في المؤسسات لا تكفي عبارة «الجميع يثق بعضهم ببعض». الأمانة يعينها إجراء واضح: صلاحيات بقدر المهمة، ومراجعة للدخول عند الحاجة، ومسار للإبلاغ عن الإرسال الخطأ، وحذف أو أرشفة وفق النظام. هذه الإجراءات لا تتهم العاملين؛ تمنع أن يصبح حسن الظن بديلاً عن حفظ أسرار الناس. ومن وجد خللاً لا يختبره بالتجسس على مزيد من الملفات، بل يصفه للجهة المختصة من غير توسع.

وفي الأسرة تظهر دقة أخرى. رعاية الصغير وحمايته قد تحتاج إلى اطلاع يناسب سنه والخطر القائم، لكنها لا تبرر إذلاله أو نشر ما وجد أمام الإخوة. ومع البالغين يبقى الأصل في أجهزتهم ورسائلهم الخصوصية، ولا يحسم فصل واحد تفاصيل حالات الأذى أو المسؤولية القانونية. إذا ظهرت قرينة خطر حقيقي فاطلب عوناً مؤهلاً، وميّز بين حماية إنسان وبين تهدئة فضولك.

إذا خالفت الخصوصية فابدأ بوقف الامتداد: لا ترسل المادة مرة أخرى، واطلب حذف النسخ التي صنعتها، وأخبر من يلزم

إخباره بقدر ما يحميه من الأثر. والاعتذار يتحمل الفعل
ويبين ما أُصلح؛ أما إعادة وصف ما رأيت فقد توسع الأذى.
وقد يبقى أثر لا تستطيع جمعه، لكن هذا لا يعفيك من تضيق
دائرته.

تساعد جدتك على نقل الصور من هاتفها القديم، فتظهر
ألبومات فيها رسائل وصور لأفراد الأسرة. لم تسمع منها إذناً
لتفتيش كل ما في الهاتف؛ طلبت إنقاذ الصور التي حددتها.
تستطيع أن تعمل بحضورها إن رغبت، وأن تسألها عن الألبوم
المقصود، وأن تتجنب نسخ ما لا تحتاج إليه. إذا وقعت عينك
عفوًا على شيء خاص، فحدود الأمانة تبدأ من اللحظة التالية:
لا تفتحه، ولا تحوله إلى حديث مع من لم يره.

وقد يكون للفضول صوت لطيف: «أريد فقط أن أعرف
لأحميها». لكن الحماية لا تمنحك اطلاعًا غير محدود. إذا ظهر
خطر محدد يؤثر في سلامتها، فاطلب العون بالطريق
المناسب وبأقل قدر من كشف ما لا يلزم، ولا تجعل الاحتمال
العام ذريعة إلى مراقبة حياتها. الثقة التي دعتك إلى إمساك
الهاتف يمكن أن تتسع حين تعيده وقد أنجزت ما طلبته دون
أن تضيف إلى معرفتك عنها ما لم ترده هي.

ويشتد الاختبار حين لا يوجد مانع تقني. تستطيع فتح الرسالة أو تنزيل القائمة ولا يراك أحد. هنا يظهر الفرق بين ما أقدر عليه وما يحل لي. النظام الجيد يساعد بتسجيل الدخول وتقليل الصلاحيات، لكن القلب يبقى مسؤولاً عن المساحة التي لا يراقبها النظام.

٤٤ ضحكة على حساب إنسان

ضحك المجلس كله، وضحك صاحب التعليق معه. بعد أن تفرقوا ظل يفكر في اللقب الذي علق به مرة أخرى. ليس كل من ضحك موافقاً؛ قد يكون أكثرهم رغبة في ألا يراه الناس مجروحاً.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾. [الحجرات: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا. قَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».^{٦٢}

في المجلس متسع للمرح، ولا تحتاج ضحكة صادقة أن تستعير عيب أحد أو فقره أو مرضه أو خطأ تاب منه.

قد يتكرر المزاح حتى يصبح تعريفاً لإنسان: هذا دائماً المتأخر، وهذه التي فشلت يوماً. وهو قادر على تجاوز كلمة واحدة، لكنه لا يستطيع خلع الدور الذي يعيده أصحابه كل أسبوع. وإذا كان القائل مديراً أو معلماً أو أكبر سناً، فالآخر قد

٦٢ جامع الترمذي ١٩٩٠، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، عن أبي هريرة؛ وفيه قول النبي ﷺ: «إني لا أقول إلا حقاً»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. يثبت جواز المداعبة مع الصدق، ولا يصح المزاح المؤذي أو كاشف السر.

لا يملك حرية أن يقول «توقف». لذلك يحتاج صاحب السلطة أن يسمع الصمت الذي يلي ضحكة المجاملة.

وفي هاتف المجموعة يستطيع عضو أن يرسل صورة محرجة، وثان أن يعيدها، وثالث أن يضيف رمزًا ضاحكًا. لا يحتفظ أحدهم وحده بكل الأذى، لكن صاحبه يتلقى مجموع ما فعلوا. توقف عن المشاركة، واطلب حذف ما نشرت، واعتذر على قدر الدائرة التي وصلها الجرح من غير أن تجعل الاعتذار فضحًا جديدًا. قولك «لم أقصد» يصف نيتك، ولا يصلح وحده ما صنعتته الكلمة.

جرب أن تضحك من مفارقة لا من جسد أحد، وأن تذكر قصة تملك حق روايتها، وأن تصغي إذا قال لك صديق إن هذا الاسم يؤذيه. ربما تخسر جملة جاهزة تضمن ضحكًا سريعًا؛ وتكسب مجلسًا يستطيع كل من فيه أن يعود إلى بيته خفيًا. ولفهم المزاح قبل إطلاقه، انظر إلى ثلاثة أشياء: من صار مادة للضحك، وما قدرته على الاعتراض، وكم مرة أعيدت النكتة. كلمة بين صديقين متكافئين ليست ككلمة من مدير لموظف، والتعليق العابر ليس كقلب يلاحق صاحبه. قد يكون اللفظ نفسه خفيًا عند شخص ومؤلمًا عند آخر؛ والعبرة ليست

بمهارتك في تفسيره، بل بما عرفت من حد صاحبك بعد أن بيّنه.

وموافقة الإنسان تحت ضغط المجلس ليست إذنًا كاملاً. قد يبتسم كي لا يفسد اللقاء أو كيلا يوصف بالحساسية. راقب ما يحدث بعد المزحة: هل انكمش، أو صمت، أو حاول تغيير الموضوع؟ لا تحتاج إلى تحليل باطنه؛ تستطيع ببساطة أن تسأله على انفراد، وأن تتوقف فوراً إذا لم يرض. من الرحمة أن تجعل الاعتراض قليل الكلفة، لا أن تطلب منه مرافعة أمام الجميع.

وقد يمزح المرء عن نفسه، فيظن السامع أن له حقاً في إعادة العبارة. ليس كل ما يقوله الإنسان عن تجربته دعوة للآخرين إلى تشبيته في صورتها. وكذلك قصص الزوج أو الأبناء والزملاء ليست ملجأ خالصاً للراوي لمجرد أنه حاضر فيها. قبل أن تحكي، احذف ما يكشف سر غيرك أو يجعله معروفاً في مجلس لم يختره.

وإذا كنت شاهداً لا قائلًا، فلك دور لا يحتاج خطبة. تستطيع ألا تعيد الضحك، أو أن تنقل الحديث، أو تقول بهدوء: «دعونا نترك هذا»، أو تعود إلى الشخص بعد المجلس. لا تحول الدفاع عنه إلى وصف جديد يخرجه، ولا تصنع من القائل

عدوًا أبدِيًا بسبب زلة يمكن إصلاحها. المقصود إيقاف الأذى وفتح باب الرجوع.

أما الاعتذار فله قدر الموقف. إذا كان الجرح علنيًا فقد يحتاج تصحيحًا أمام من سمعوا، من غير إعادة العبارة المؤذية. قل: «ما قلته لم يكن مناسبًا، وأنا أعتذر»، ثم غيّر العادة التي أعادته. لا تطلب من المجروح أن يطمئنك فورًا أو يثبت أنك إنسان طيب؛ امنحه حق أن يقبل الاعتذار في وقته.

وفي مجموعة رقمية تعيش النكتة مدة أطول من المجلس. صورة مجتزأة يتناقلها زملاء فصل بعد أن غادر صاحبها المدرسة، وكل تعليق يزيد قدرتها على العودة إليه. إن كنت تملك المنشور، احذفه، واطلب ممن نشره باسمك أن يحذفه أيضًا. قد لا تملك إيقاف كل نسخة، لكنك تملك ألا تكون أحد أسباب انتشارها غدًا. لا يحتاج الدفاع عن كرامة الناس إلى خطاب ثقيل كل مرة؛ يحتاج أحيانًا إلى أن تمتنع عن زر يعطي الضحكة عمرًا آخر.

٤٥ حين يصير الحق خصومة

يدك على رسالة تثبت أن موعد الوفاء كان يوم الخميس، ويد خصمك على رسالة أخرى تشرح أنك وافقت بعد ذلك على تأجيله. تستطيع أن تنشر الأولى وحدها؛ حينها يصدقك الناس بسرعة. ويبقى السؤال بعد انتهاء التصفيق: هل رويت ما حدث؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وثبت: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».^{٦٣} لا يمنعك النص من الدفاع عن حقك، ولا يطلب منك محبة من خاصمك. يحرس طريقته حتى لا تصير الرغبة في المغالبة أقوى من الوقائع.

ابدأ بقدر المسألة. قل ما فعل خصمك، وما تستطيع إثباته، وما وقع منك أنت أيضًا. لا تحول فعلًا إلى وصف دائم لشخصيته، فالرسالة تثبت ما ورد فيها، ولا تكشف وحدها نيته الداخلية. وإن كان بعض المبلغ مستحقًا معلومًا وبعضه مختلفًا فيه،

٦٣ صحيح البخاري ٢٤٥٧، كتاب المظالم، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، عن عائشة رضي الله عنها: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم». الذم للد في الخصومة، لا لمجرد المطالبة بحق بطريق مسرور.

فافصل بينهما؛ لا تستخدم الغموض ذريعة لحبس ما تعلم أنه حق، ولا تخصم من مال الآخر ما تراه لنفسك من غير طريق معتبر.

وقد يحملك الغضب على أن تجعل الجمهور جهة حكم. يستمع الناس إلى نصف الرواية، ويندفع صديقك في عرض الخصم دفاعًا عنك، ثم يصبح الصلح أصعب من أصل الدين. اختر القناة الأقرب إلى الحق، واستعن بالجهات المختصة إذا لزم. لا يحرملك الورع من قضاء أو شكوى مشروعة؛ يصحبك إليهما بوثيقة كاملة وشهادة صادقة ولسان لا يضيف إلى القضية ظلمًا جديدًا.

يفيد في أول الخصومة أن تفصل ثلاث أوراق ذهنية: الدعوى، والدليل، والطلب. قد تكون دعوتك صحيحة لكن دليلك ناقص، وقد يثبت الخطأ ويبقى مقدار التعويض محل نزاع، وقد تطلب فوق حَقك لأنك غضبت من طريقة الطرف الآخر. هذا الفصل لا يضعف موقفك؛ يجعلك تعرف أين تتكلم بثقة وأين تحتاج سؤالاً أو وثيقة.

اكتب تسلسلاً زمنيًا موجزًا قبل أن تكتب وصفًا للشخص. متى وقع الاتفاق؟ ماذا تغير؟ ما الذي أبلغ به كل طرف؟ أدرج الرسالة التي لا تخدمك كما تدرج التي تؤيدك إذا كانت مؤثرة

في الصورة. من يقتطع سجلاً طويلاً ليعرض جملة واحدة يستطيع أن يكسب تعاطفاً سريعاً، لكنه لا يكسب عدلاً.

واختر القناة بحسب الغرض. قد يبدأ الأمر بسؤال مباشر يزيل سوء فهم، ثم وسيط يقرب وجهتي النظر، ثم جهة مختصة تحفظ الحقوق. ليست هذه درجات لازمة في كل واقعة؛ فقد يوجد خطر أو اعتداء أو تفاوت قوة يجعل الاتصال المباشر غير آمن. عندها اطلب مساراً يحميك، ولا تجعل الدعوة إلى الهدوء وسيلة لإبقاء المظلوم وحده أمام من يؤذيه.

وفي الوساطة لا تطلب من الوسيط أن يكون رسول ضغط. أعطه الوقائع التي يحتاجها، وبيّن ما تريده، ولا تستخدم قربه من الطرف الآخر ليجمع أسرارهِ. وإذا حمل إليك كلاماً لا يخص الحل، فلا تجعله وقوداً لجولة جديدة. الوساطة النافعة تضيق النزاع إلى نقاط يمكن حسمها، ولا توسع دائرة المطلعين.

قد تنتهي الخصومة بتسوية لا تمنحك كل ما تمنيت، أو بحكم يلزم أحد الطرفين، أو بفشل الصلح مع بقاء طريق المطالبة. في كل حال، دُونَ ما اتفق عليه ومن ينفذه ومتى، ولا تعتمد على حرارة لحظة المصافحة. الوضوح بعد الصلح يحمي القلوب من خصومة ثانية سببها اختلاف الذاكرة.

ولا يلزم من العفو عودة العلاقة إلى درجتها الأولى، كما لا يلزم من وضع حد للعلاقة تشويه صاحبها. تستطيع أن تحفظ نفسك وتقلل التعامل وتؤدي ما بقي عليك. الورع في الخصومة ليس مطالبة الإنسان بأن يثق بلا سبب؛ هو ألا يطلب حماية نفسه بظلم جديد.

٤٦ الكلمة التي يثبت بها حق

رأيت سيارة تصطدم بشيء في طريق ضيق، ثم مر من بعدك من لم ير الاصطدام. قد تطلب منك إفادة. في تلك اللحظة لا تكون الفضيلة أن تختبئ وراء حب الصمت؛ يكون عليك أن تعرف حدود ما رأيت وأن تذكره في موضعه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾. [البقرة: ٢٨٣]، وقال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾. [المائدة: ٨]. لا تقل «رأيت السائق يتعمد» إنما رأيت مركبته تنحرف. لا تجمع ما سمعته من الناس إلى ما شاهدته بعينك في جملة واحدة. ويصدق الأمر حين يكون الطرف صاحباً لك أو صاحب سلطة عليك.

قد تحتاج إلى تدوين قريب من الحدث: الوقت، والمكان، والألفاظ التي تحفظها، وما رأيته مباشرة. الذاكرة تتأثر بما تسمعه بعد ذلك، فلا يخجل الشاهد من «لا أتذكر» أو «هذا استنتاجي». إذا قدمت صورة أو رسالة فاحتفظ بأصلها وبيّن سياقها، ولا تقص ما يغير معناها. وإذا تبين لك لاحقاً خطأ في إفادتك فصحه عند الجهة التي تلقتها.

وحين يدفعك تعاطفك مع مظلوم إلى زيادة صغيرة «حتى لا يضيع حقه»، تذكر أن حقه لا يقوى بشهادة لا تملكها. وفي المقابل، لا تخفف مما تعلم لكي يرضى قريب أو مدير. أدّ ما عندك لمن يحتاجه بحسب الإجراء المناسب، ولا تجعل علمك منشوراً للناس كلهم. أمانة الشاهد في الموضع والقدر كما هي في اللفظ.

يساعدك أن تقسّم ما عندك قبل الكلام: شيء رأيته أو سمعته مباشرة، وشيء وجدته في وثيقة، وشيء نقله إليك غيرك، ونتيجة استنتجتها. لا تجمع الأربعة تحت عبارة «أنا أعرف». قل: «رأيت»، أو «قرأت في هذه الرسالة»، أو «قيل لي ولم أتحقق»، أو «فهمت من ذلك». اختلاف الألفاظ يحفظ للسامع حقه في وزن كل طبقة.

والدقة لا تعني ملء الفراغ. قد تتذكر لون المركبة ولا تتذكر رقمها، أو تحفظ أول الجملة ولا تجزم بآخرها. مقاومة التخمين جزء من الشهادة. إذا طُلب منك جواب لا تملكه، فقل ما لا تتذكره صراحة. الثقة العالية لا تصنع ذاكرة جديدة، وكثرة تكرار الرواية قد تجعل العبارة المألوفة تبدو في النفس أوضح مما كانت ساعة الحدث.

حين يكون الدليل رقميًا، احتفظ بالسياق الذي رأيته: الرسالة السابقة واللاحقة إذا كانتا مؤثرتين، وتاريخ الملف، ومصدر النسخة. لا تعدّل صورة ثم تقدمها كأنها الأصل. وإذا احتجت إلى إخفاء بيانات لا تخص الواقعة، فبيّن أن نسخة العرض حُجبت منها تلك البيانات، واحفظ الأصل وفق الإجراء المشروع. هذه عناية بالأمانة، وليست ادعاء خبرة فنية في فحص كل ملف.

وقد يأتي الضغط في ثوب الصداقة: «أنت تعرف ما يقصده»، أو في ثوب السلطة: «اكتبها بهذه الصيغة». افصل ما طُلب منك عما تعلمه. إن كانت الجهة تتيح مراجعة الإفادة قبل اعتمادها، اقرأ كل كلمة ولا توقع على تعبير يجاوز مشاهدتك. وإن خشيت أثرًا وظيفيًا أو قانونيًا، اطلب القناة المختصة بدل أن تزيد أو تكتم بلا مشورة.

الشاهد كذلك ليس صاحب حكم نهائي. مهمته أن يؤدي ما عنده، ثم يترك جمع الأدلة وتقييمها لمن يملك ذلك. لا يتابع القضية بين المجالس ليثبت أنه كان محقًا، ولا يطارد أطرافها بأسئلة تصنع له معلومات جديدة بعد الواقعة. هذا الحد يحميه من التحول من شاهد إلى طرف.

شهدت متطوعة توزيع أدوات طبية في حملة، ثم سئلت بعد أسابيع هل وصلت حزمة إلى شخص معين. تتذكر أنها وضعت الحزمة في صندوق مخصص لعنوانه، لكنها لم تشاهد تسليمها إليه. الفرق بين الأمرين صغير في العبارة، كبير في أثر شهادة يبني عليها حساب. تقول ما رأيته، وتترك ما لم تره لمن يملك سجل التسليم. قد يساعد ذلك في العثور على الأداة أكثر مما تساعد جملة واثقة تسد باب البحث.

اكتب إفادتك الأولى بأفعال حسية قدر الإمكان: «سمعت»، «رأيت»، «وصلت الرسالة في الوقت الفلاني». ثم ضع دائرة حول كل كلمة تصف قصدًا أو صفة باطنة، واسأل هل تملك دليلها. قد تكون الكلمة التي تحذفها هي التي تحفظ الشهادة من أن تحمل فوق ما رأت.

٤٧ هل قالها العالم؟

على صورة أنيقة عبارة جميلة فوق اسم عالم. ربما يوافقك معناها وتريد أن ترسلها. قبل ذلك سؤال واحد: هل قالها بهذه الكلمات؟

سبق في الفصل ١٦ باب سؤال أهل العلم، وهنا أمانة من ينقل عنهم. اقتباس حرفي، وتلخيص للمعنى، وفهم منك لنص العالم؛ ثلاثة أشياء ينبغي أن يراها القارئ منفصلة. إذا لم تتحقق من الحروف فلا تضعها بين علامتي اقتباس. وإذا اختصرت، فلا تحذف قيدًا يغير الحكم من «هذه الصورة» إلى «كل صورة».

انظر أيضًا إلى السؤال الذي كان يجيب عنه. قد يكون الكلام في سفر اضطر إليه سائله، أو هدية أعطيت لوكيل، أو حق له صاحب معلوم. نقل الجواب وحده قد يفتح بابًا لم يقصده العالم. ارجع إلى أصل قريب، وسجل الموضع الذي يسمح لغيرك بالمراجعة، وميّز بين قول ينقله العالم ليعارضه وقول يختاره. عنوان المقطع الذي كتبه الناشر لا يُنسب إلى فم صاحبه.

في هذا الكتاب نفسه جاءت فتاوى الفصل ٣٦ عن بستان وعينات شركة وأدوات عامة ومضاربة، ولم نقل إن صورتها عقد واحد. وفي الفصل ٤٠ يختلف المال المغصوب ذو المالك المعلوم عن مال تعذر الوصول إلى صاحبه. إذا اختصرنا هذه القيود وأبقينا اسم المفتي، صار الاسم حجاباً عن أمانة الفتوى.

ليس كل قارئ مؤهلاً لترجيح الخلاف أو تصحيح كل سند. يستطيع مع ذلك أن يقول: «لم أتحقق من هذه النسبة»، وأن يحيل السائل إلى من يفهم صورته، وأن يصحح اقتباساً تبين خطؤه في المكان الذي نشره. العلم ينتفع بكلمة «لا أدري» أكثر مما ينتفع بثقة مستعارة من صورة رائجة.

ضع للنسبة طريقاً واضحاً. الأصل الأقرب كلام العالم في كتابه أو تسجيله الكامل أو موقعه الرسمي، ثم نقل موثوق يحدد المصدر والموضع. أما صورة بلا كتاب ولا صفحة، أو مقطع يبدأ بعد السؤال وينتهي قبل القيد، فهي دعوة إلى التحقق لا مادة للنسبة الجازمة. شهرة العبارة لا تخبرك بمن قالها أول مرة.

وعلامتا الاقتباس أمانة. ما بينهما ينبغي أن يكون اللفظ الذي قابلته، من غير بتر قيد أو دمج كلامين مختلفين. فإذا نقلت

المعنى فقل: «خلاصة كلامه» أو «يفهم من هذا الموضع»، ولا تكتب صياغتك الأدبية فوق اسمه. قد تكون صياغتك صحيحة في ذاتها، لكن صحة المعنى لا تمنحك حق اختراع لفظ لقائله.

وانتبه إلى زمن الكلام ومخاطبه. جواب قديم عن نظام معين لا يصف تلقائيًا نظامًا جديدًا يحمل الاسم نفسه، وشرح لطالب علم ليس دائمًا فتوى لشخص له عقد مختلف. اذكر تاريخ المصدر حين يؤثر، والسؤال الذي أجاب عنه، والقيود التي صرح بها. لا يلزم من هذا أن الحكم تغير؛ المقصود ألا تدعي تطابق صورتين قبل فهمهما.

وفي الترجمة تضيع دقة أخرى. إذا قرأت قولًا مترجمًا ولم تر الأصل، فانسبه إلى الترجمة التي اطلعت عليها، ولا توهم أنك قابلت لغة المؤلف. وقد يكون للمصطلح أكثر من مقابل. إن كان اللفظ هو موضع الاستدلال، فاطلب نسخة موثوقة أو اترك الاقتباس الحرفي. الحذر هنا ليس تعقيدًا؛ هو منع معنى جديد من الدخول باسم صاحب النص.

وتختلف درجة العناية باختلاف الأثر. عبارة أدبية عابرة لا تساوي جوابًا يبني عليه قارئ عقدًا أو عبادة أو اتهامًا. كلما عظم أثر النقل، احتجت إلى أصل أوضح وصورة أكمل

ومختص يفهم دلالته. للتحقق معياره ولو فاتك أن تكون أول الناشرين.

إذا صحت نسبة، احفظ طريق التصحيح. لا تحذف الصورة بصمت ثم تترك من أخذها عنك يظنها صحيحة. اكتب في الموضع نفسه: «لم أجد هذا اللفظ في المصدر الذي نُسب إليه» أو «الصواب أن الكلام بالمعنى»، بحسب ما ثبت لك. ولا تنتقل من عدم العثور إلى القطع بأن العالم لم يقله قط؛ عبّر بحدود بحثك.

قد تجد القول في كتاب مطبوع حقًا، ثم تكتشف أن اسم العالم جاء في هامش ناقش فيه رأيًا لغيره، وأن العبارة المقتطعة ليست اختياره. لا يكفي أن تكون صورة الصفحة أصلية؛ اقرأ ما قبلها وما بعدها، وميّز النص الذي ينقله عما يقرره. وإذا كان في الطبعة خطأ أو اختلاف، فاذكر حدود ما رأيت بدل أن تجعل الصورة الصغيرة ختمًا لا يقبل السؤال.

قبل أن تنشر قولًا اليوم، اكتب تحته أربعة أسطر داخلية: القائل، والمصدر، والموضع، وهل هو لفظ أم معنى. إن عجزت عن واحد منها، غيّر صيغة النسبة أو أخر النشر. بهذه الدقائق يبقى اسم العالم طريقًا إلى كلامه، لا غطاء لثقتنا نحن.

٤٨ متى تصمت، ومتى تقول؟

دخلت مجلسًا وسمعت خبرًا عن غائب. تستطيع أن تسأل عن المصدر، أو تغير الحديث، أو تقول: لا أملك أن أتكلم في عرضه. وقد يكون الأفضل أن تغادر إذا لم يتوقفوا. الصمت هنا فعل له وجوه، وليس زرًا يغلق المسؤولية.

قال النبي ﷺ:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».^{٦٤}

قد يحمي الصمت سرًا ائتمنت عليه أو يمنع تعليقًا جارحًا خرج من الغضب. لكنه إذا حجب شهادة يحتاجها مظلوم أو اعتذارًا ينتظره من آذيته، لم يعد الصمت هو الخير المقصود. سبق أن رأينا في الفصل ٤٦ أن بعض الحقوق لا يصلها صاحبها إلا بكلمة.

٦٤ صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث ٦٠١٨، عن أبي هريرة؛ اللفظ المثبت هنا للبخاري. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ٤٧أ، في الباب نفسه. لا يجعل الأمر بالصمت السكوت أفضل من شهادة أو بصيحة أو بيان واجب.

في بيتك قد تصمت عن حاجة صغيرة حتى تصير ضيقاً لا يطاق؛ كان قولها أول مرة أرحم من انفجارها آخر مرة. وفي العمل قد يحتاج المتعلم إلى ملاحظة محددة، لا إلى سكوت يتركه يكرر الخطأ ثم يفاجأ بعقاب. وفي المقابل، لا تحتاج كل كلمة تنتقدك على الإنترنت إلى رد. اعرف لمن يفيد الجواب، ثم أعطه من البيان قدر حاجته، من غير أن تكشف أسراراً لتحمي صورتك.

بهذا يخرج اللسان من معركة عدد الكلمات. بعض الكلام نجاة: شهادة، واعتذار، وتصحيح، ودفاع عادل. وبعض الصمت نجاة أيضاً: ستر، وتمهل، وترك أذى. عندما تعرف ما يحفظ الحق في لحظته، يكون لقلبك ميزان أصدق من عادة الكلام أو عادة السكوت.

قبل الاختيار، سمّ وظيفة الكلمة. أهي أداء واجب، أم دفع ضرر، أم نصيحة يملكها صاحبها، أم مشاركة مباحة، أم مجرد تفريغ لما امتلأ به صدرك؟ الاسم لا يصدر حكماً وحده، لكنه يكشف الدافع والطريق. كلمة لازمة قد تحتاج شجاعة، وكلمة مباحة قد يكون تركها أرفق، وكلمة مؤذية لا يصلحها جمال الأسلوب.

والصمت نفسه أنواع. هناك صمت يمهّل حتى تتبين، وصمت يحفظ سرّاً، وصمت يرفض المشاركة في باطل، وصمت يهرب من اعتذار أو شهادة. لا تمدح الفعل قبل أن تعرف ما حفظه وما أضاعه. تستطيع أن تقول: «أحتاج وقتاً لأجيب»، أو «لا أملك الحديث في هذا»، أو «هذا السؤال عند صاحبه»، فتجعل سكوتك معلوم الحد بدل أن يترك الآخر معلقاً.

وللكلمة وقت وقناة وجمهور. ملاحظة الموظف على انفراد غير تقريره أمام زملائه، وتصحيح معلومة في المجموعة التي انتشرت فيها غير إرسالها إلى جمهور جديد، والحديث الأسري في ساعة هدوء غير فتحه لحظة الغضب. اختيار الموضوع جزء من صدق النصيحة؛ فالمعنى الصحيح قد يفسده مسرح لا يحتاجه.

في الحديث الصعب ابدأ بالواقعة والأثر والطلب. قل: «حين تأخر الرد بقيت المهمة معلقة، وأحتاج موعداً واضحاً»، بدل أن تجمع تاريخ العلاقة في وصف واحد. ثم اسمع جواب الطرف الآخر. الاختصار هنا لا يخفي الحق؛ يمنع أن تتحول الحاجة المحددة إلى محاكمة كاملة للإنسان.

وعلى المنصات قد يكون الرد ممكناً من غير أن يكون مطلوباً. أسأل: هل السائل يريد فهماً؟ هل يقرأ من يحتاج التصحيح؟

هل أملك مادة موثقة؟ قد يكون جواب خاص أنفع من جدال عام، وقد يكون ترك الحساب المسيء هو الحكمة، وقد يحتاج افتراء مؤثر إلى بيان موجز موثق في موضعه. لا توجد قاعدة واحدة لكل تعليق؛ توجد مسؤولية عن الأثر الذي تستطيع توقعه.

وللحوار نهاية عند اكتمال البيان، وإن بقيت عند الآخر كلمة يريد قولها. ربما وضحت، ثم أعاد الآخر اتهامه نفسه. تستطيع أن تنهي الحوار من غير شتيمة: «بيّنت ما عندي، ولا أرى أن تكرار الرد سيضيف». الانصراف بعد البيان غير العجز عن البيان، كما أن الاستمرار بعد نفاد الفائدة قد يكون تعلقًا بصورة المنتصر.

في مجلس دراسة يخطئ المتحدث في نقل آية، ويعرف السامع موضعها. إن كان التصحيح ممكنًا بلطف وفي وقته، فالصمت الذي يحفظ راحته وحده قد يترك الحاضرين مع لفظ غير صحيح. يستطيع أن يقول: لعل المقصود الآية في موضع كذا، ثم يراجعان المصحف. وإذا لم يتيقن، لا يستبدل الخطأ المحتمل بجزم من عنده؛ يقترح المراجعة. لا ينبغي أن تتحول الرغبة في صون المجلس إلى منافسة لإثبات التفوق.

وبعد المجلس قد يبلغه عن شخص قول جارح لا صلة له
بمهمة أو حق. لا ينفع ترديده تحت اسم «التنبيه»، وقد يكون
كفه عن تداوله حفظاً لعرض صاحبه. تتغير وظيفة الكلام
بتغير أثره وما يلزم بيانه. لهذا لا تكفي قاعدة «تكلم دائماً» أو
«اصمت دائماً»؛ تعلّم أن تسأل: لمن يفيد هذا البيان، وما القدر
الذي يبلغ به، وهل أعرفه يقيناً؟ ثم قل أو اسكت بأمانة.

الباب السابع: ورع العلم والفتوى

٤٩ لا أدري

يأتيك السؤال في مجلس، فتتجه الوجوه إليك قبل أن يتجه
ذهنك إلى الجواب. تعرف طرفًا من المسألة، وتغيب عنك
أطراف. تستطيع أن تقول جملة تبدو معقولة، ولن يطالبك
أحد غالبًا بمصدرها. وفي هذه الثواني لا تُختبر ذاكرتك
وحدها؛ تُختبر حاجتك إلى أن تبقى في صورة العارف.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].
لا يقتصر النهي على الكذب المتعمد؛ بل يضع حدًا بين ما
تعلمه وما تتبعه بغير علم. وإذا كان الجواب قد يبني عليه
إنسان عبادة أو مألًا أو زواجًا أو خصومة، لم تعد المجاملة
اللفظية أمرًا خفيًا. كلمة لا تملكها قد تدخل حياة غيرك على
هيئة قرار.

ولهذا لا تكون «لا أدري» فراغًا دائمًا. إنها جواب صادق عن
مقدار علمك الآن. قد تقول: «لا أعرف أصل المسألة»، أو
«أعرف القاعدة ولا أعرف انطباقها على حالتك»، أو «أذكر
قولاً ولا أثق بمصدره»، أو «هذا خارج اختصاصي». لكل عبارة
حد معلوم؛ فلا تدعي الجهل بما تعرف، ولا الإحاطة بما تجهل.

ومن ورع العبارة أن تفصل بين العلم والذاكرة. ربما قرأت الحكم من قبل لكنك لا تستحضر شرطه، أو تتذكر نصًا ولا تعرف درجته، أو تختلط عليك فتوى بحكاية. ألفه العبارة في ذاكرتك سبب لمراجعتها، وليست دليلًا كافيًا على صحة ما تتذكر. قل: «أحتاج أن أراجع»، ثم لا تنسب شيئًا إلى مصدر حتى تراه.

وعندما يسألك ابنك أو تلميذك لا تحتاج إلى حماية هيبتك بجواب مرتجل. قولك: «لا أعرف على وجه الدقة، فلنبحث عنه» لا ينقص مقام المربي؛ إنه يعلم درسًا لا تمنحه الإجابة الجاهزة: الكبير نفسه يقف عند حد علمه، والطريق إلى المعرفة يبدأ من الاعتراف بما ينقص.

لكن «سأراجع» ليست مخرجًا مهذبًا من الحرج ثم تُنسى. إن وعدت، فاكتب السؤال، وحدد طريق البحث، وارجع إلى السائل ولو كان جوابك أنك لم تصل بعد. الوعد المنسي يضيف تقصيرًا جديدًا إلى الجواب الناقص. وإذا لم تستطع المتابعة، فقل ذلك من البداية، ودل على جهة أو نوع اختصاص تعرفه حقًا.

وقد تتحول «لا أدري» نفسها إلى ستار للكسل. الموظف الذي يفصل في حقوق الناس، والمربي الذي يكرر تعليمًا،

والمسؤول عن مال مشترك؛ لا يكفيهِ أن يستريح كل مرة إلى جهله بما تحتاجه مهمته. التوقف أول الأمانة، ثم يأتي واجب التعلم أو الإحالة أو بناء إجراء يرجع إلى المختص. الجهل الصادق لا يُذم في نفسه، لكن الإقامة فيه مع مسؤولية متكررة ليست ورعًا.

وفي المنصات يشتد الإغراء؛ لأن السؤال علني، والتأخر ظاهر، والجواب السريع يجلب انتباهًا. قاوم الفكرة التي تقول إن كل صمت خسارة. تستطيع أن تكتب: «لا أملك جوابًا موثقًا»، أو أن تترك السؤال لمن هو أهله. عدد من رأوا توقفك لا يجعل التوقف عيبًا؛ بل يزيد أثر الأمانة التي اخترتها.

وإذا أُجبت ثم ظهر خطأك، فلا تتشبث بصورة قديمة. قل: «كنت قد أُجبت بكذا، والصواب الذي تبين لي كذا». الرجوع لا يمحو أثر الجواب الأول كله، لكنه يمنعك من تحويل خطأ واحد إلى موقف تدافع عنه. وسيأتي في الفصل ٥٦ عمل الرجوع بتفصيله؛ أما بدايته هنا فهي أن يظل قلبك قابلاً لأن يعرف أنه لم يكن يعرف.

تعمل معلمة مع أطفال يسألونها عن لفظ سمعوه في حديث، ولا تتذكر معناه الدقيق. ربما تخشى أن تهتز صورتها إذا قالت «لا أدري»، فتقدم شرحًا قريبًا من ذهنها. تستطيع أن تكتب

السؤال أمامهم وتعود بمصدر موثوق في اليوم التالي، فيرون أن العلم لا يُصنع من هيبة المتحدث. وقد يكون بعض ما تذكره صحيحًا؛ تبقّيه احتمالًا حتى تفحصه، بدل أن تجعله حكمًا نهائيًا لأنه خرج من فمك في الصف.

الآن عُد إلى المجلس الأول. ما زالت الوجوه تنتظر. يمكنك أن تقول بطمأنينة: «لا أدري». في هذه الكلمة القصيرة يأخذ السؤال حقه، ويأخذ العلم وقته، ويسلم دين إنسان من جواب لم تكن تملكه.

٥٠ من تسأل؟

تفتح هاتفك وفيه خمسة أجوبة عن سؤال واحد. أحدها في مقطع واسع الانتشار، وثانيها من صديق تثق بمحبته، وثالثها جواب قصير بلا سؤال ظاهر، ورابعها إعلان من الجهة التي تباع المنتج، وخامسها من مختص لا تعرف هل فهم صورتك. كثرة الأجوبة لم تقرب القرار؛ جعلتك تحتاج سؤالاً يسبقها جميعاً: من يملك هذا الجزء من المعرفة؟

سبق في الفصل ١٦ أصل سؤال أهل الذكر عند الجهل. وهنا تأتي أمانة الاختيار. قال النبي ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^{٦٥}.

الخطر لا يصنعه المتكلم وحده؛ قد يصنعه أيضاً اختيارنا مرجعاً لأنه حاضر وسريع وواثق.

٦٥ البخاري، الصحيح ١٠٠، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

لا يلزم العامي أن يصير خبيرًا في تراجم كل من يسأل، لكنه يستطيع قدرًا من التثبت يناسب أثر المسألة. هل يُعرف هذا الشخص بهذا الباب؟ هل يذكر مصدره ويفرق بين الثابت ورأيه؟ هل يقول «لا أدري» ويحيل حين يخرج السؤال عن تخصصه؟ هل يسمع التفاصيل التي تغير الحكم؟ هذه العلامات لا تمنح عصمة، لكنها تمنع أن يكون أول صوت هو المرجع لمجرد أنه الأول.

اكتب ما تريد معرفته: أهو ثبوت واقعة؟ تفسير بند؟ تقدير ضرر؟ حكم شرعي؟ إجراء نظامي؟ ثم أعط كل جزء لصاحبه. البائع يشرح ما يعرضه، لكنه لا يستقل بتقويم مخاطره. وطرف النزاع يبين دعواه، لكنه لا يغني عن نظر مستقل. والمختص الشرعي يحتاج صورة العقد لا الاسم التسويقي وحده. توزيع السؤال ليس تعقيدًا؛ هو منع لشخص واحد من أن يحمل ما لا يحسن.

وانتبه للمصلحة المؤثرة من غير أن تجعلها تهمة تلقائية. وجود منفعة للمتكلم لا يبطل كل خبره، لكنه يحدد موضع الحاجة إلى تحقق مستقل. من يبيع دورة يعرف محتواها، ولا يكون وحده مرجعًا في قيمتها. ومن صاغ العقد يعرف ألفاظه، ولا يكون وحده حكمًا في النزاع عليه. الورع لا يسيء الظن،

لكنه لا يسلم قراره لمن يجمع المعلومة والمصلحة والتقويم في يد واحدة.

أما المقاطع القصيرة فتعطيك جزءًا من طريق السؤال، لا الجواب كله. قد يكون الكلام ثابتًا عن صاحبه، لكنه جواب عن بلد آخر، أو عقد مختلف، أو ضرورة خاصة، أو سؤال حُذف منه شرط مؤثر. وقد يكون قديمًا رجع المتكلم عنه. إذا كانت المسألة تمس مالًا أو أسرة أو حقًا لازمًا، فارجع إلى السياق الكامل أو اعرض صورتك كما هي.

فإن بقي خلاف معتبر، فلا تكرر السؤال حتى تسمع ما تحب، ولا تجعل الأشد أتقى لمجرد شدته. اسأل من تثق بعلمه أن يبين مأخذ قوله وحدود تطبيقه، ثم اعمل على بصيرة بما يسعك. تتبع الأجوبة بحثًا عن الرغبة موضوع الفصل التالي، وليس هو علاج الحيرة.

ولا تجعل الجمهور شهادة اختصاص. كثرة المتابعين تدل على الوصول والتأثير، لا على العلم بكل باب. قد يكون الواعظ نافعًا في التذكير ولا يفتي في عقود مركبة، وقد يكون الطبيب بارعًا ولا يقرر حكمًا شرعيًا، وقد يكون الفقيه أُميًّا ويحتاج تقرير الطبيب قبل أن يجيب. حفظ المقامات يحفظ كل علم من أن يُستخدم خارج حدوده.

وإذا اخترت أن تسأل، لا تجعل كل سؤال في حياتك يُطرح في تعليق عام. مسائل الأسرة والمرض والحقوق تحتاج أحياناً إلى قناة تحفظ التفاصيل وتسمح بالمتابعة، وقد تحتاج إلى اختصاصيين يتكاملان. لا تستطيع منصة قصيرة أن تنصف كل واقعة في خمس كلمات. حسن اختيار من تسأل يشمل المكان والوقت ونوع المعلومات التي يستطيع تلقيها، ثم استعدادك أن تسمع جواباً يردك إلى ما ينبغي فعله لا إلى ما تمنيت سماعه.

ومن علامات المرجع الأمين أنه لا يخفي حدود جوابه. قد يقول: هذا تقدير أولي، أو لا أجيب حتى أرى المستند، أو هذه الصورة تختلف باختلاف النظام، أو هذا خارج اختصاصي. لا تنظر إلى هذه القيود بوصفها ضعفاً؛ كثيراً ما تكون هي العلامة التي تحفظك من ثقة مصطنعة. أما الجواب الذي يقطع في كل شيء قبل سماع الوقائع، فسرعته لا تعوض نقصه.

وحين تختلف عليك الأجوبة، اكتب موضع الاختلاف بدل أن تضع الأسماء في كفتين. هل اختلفوا في ثبوت الواقعة، أم في تفسير النص، أم في الحكم بعد اتفاق الوصف؟ قد يتبين أن جوابين ظننتهما متناقضين يتحدثان عن صورتين

مختلفتين. وإذا بقي الخلاف، اسأل من تثق بعلمه عن طريق العمل في حالك، لا عن لقب يمنحك حق إلغاء كل قول آخر. وبعد أن تختار المرجع، امنحه فرصة أن يقول ما لا تريد. من يسأل وهو مستعد فقط لجواب يوافق له لم يختار مستشاراً؛ اختار شاهداً لرغبته. تستطيع أن تناقش وتطلب الدليل وتبين ما أشكل عليك، لكن لا تخف تفصيلاً كي تحصل على النتيجة الأسرع. أمانة المرجع لا تغني عن أمانة السائل، وكلاهما يظهر حين تكون الحقيقة أثقل من الراحة القريبة.

عُدْ إلى الأجوبة الخمسة وقد عرفت ما تبحث عنه: علم يناسب المسألة، وأمانة تقبل التوقف، وصورة تصل إلى صاحبها كاملة. ربما تأخر الجواب قليلاً، لكنك صرت أقرب إلى من يعينك على فهمه. وللسائل نصيب من راحة العلم حين يضع ثقته في موضعها، ثم يعمل بما تبين له.

٥١ تتبع الرخص

قد يأتيك جواب يخالف ما تمنيت، فتفتح نافذة أخرى وتعيد السؤال. ربما كان في الجواب غموض يحتاج إلى بيان، وربما كنت تنتظر الإذن وحده. قبل أن تنتقل بين المجيبين، اسأل نفسك: ما الذي لم أفهمه؟ وما التفصيل الذي يحتاج أن أعرضه؟ بهذا يبدأ الفرق بين طلب العلم والبحث عن موافقة. ليست المشكلة في أن يكون الحكم يسيرًا. الرخصة من الدين، وقد مر في الفصل ١٤ قبول التيسير الثابت. كما أن سؤال عالم ثانٍ قد يكون مطلوبًا إذا غابت عنه صورة المسألة، أو لم تفهم جوابه، أو احتجت إلى اختصاص أدق. السؤال هنا أعمق: هل تبحث عن حكم المسألة، أم عن اسم يوقع على قرار اتخذته قبل السؤال؟

سبق في الفصل ٢٤ أصل رد التنازع إلى الله والرسول. وهذا لا يجعل العامي مجتهدًا، لكنه يمنعه من تحويل الخلاف إلى متجر ينتقي منه ما توافق عليه رغبته. بيّن ابن باز في جوابه عن العمل بأقوال المذاهب أن موافقة الهوى لا تصحح قولاً

يخالف الدليل، وبيّن أن غير المتأهل يسأل أهل الفقه ويتعلم بدل أن يحمل نفسه ترجيحاً لا يحسنه.^{٦٦ ٦٧}

الفارق لا يُعرف من سهولة النتيجة وحدها. قد تسأل من تثق بعلمه، وتعرض الواقعة كاملة، فيفتيك بقول معتبر فيه سعة؛ فتأخذه مطمئناً ولا يعيبك أنه الأيسر. وقد تسأل أكثر من واحد لأن في الجواب غموضاً حقيقياً. وفي المقابل قد تتمسك بالأشد لأن صورته تمنحك شعوراً بالتفوق. الهوى يستطيع أن يلبس ثوب التيسير، ويستطيع أن يلبس ثوب المشقة أيضاً.

ابحث عن أثر القصد في طريقة عرضك. هل تذكر التفصيل الذي قد يغير الحكم، ولو كان لا يخدم ما تريد؟ هل تخبر المسؤول أنك سألت قبله، وما الذي لم يتضح؟ هل تنقل العقد أو التقرير كما هو، أم تصفه بكلمات تهییء جواباً بعينه؟ الصدق في تصوير المسألة جزء من طلب الفتوى، لا أدب زائد عليها.

٦٦ عبد العزيز بن باز، «حكم القول بجواز العمل بالمذاهب الأربعة كلها»، الموقع الرسمي. يضبط اتباع الهوى في انتقاء الأقوال؛ ولا يجعل مجرد سؤال عالم ثان تبعاً للرخص. الموقع الرسمي، صفحة ١٨٦٩.

٦٧ عبد العزيز بن باز، حكم عدم اتباع المذاهب الأربعة. الموقع الرسمي، صفحة ٢٠٣٦.

ويشتد ذلك في الطلاق والميراث والعقود والطب والنوازل المالية. كلمة واحدة في عقد، أو ترتيب واقعة، أو قدرة مفقودة، قد ينقل الجواب إلى باب آخر. جمع مقاطع متفرقة لا يصنع فتوى لحالتك، وتشابه الاسم لا يساوي اتحاد الصورة. اكتب الوقائع قبل أن تكتب رغبتك، ودع المسؤول يرى منها ما قد يثقل عليك ذكره.

وإذا اختلفت الأجوبة، فقارن أولاً بين الأسئلة التي وصلت إلى أصحابها. ربما أجاب أحدهم عن غير الصورة التي فهمها الآخر. فإن بقي خلاف معتبر، فاطلب بيان المأخذ ممن تثق بعلمه، ثم اعمل على بصيرة بما يسعك. لا تكرر السؤال لتستنزف كل جواب حتى يبقى ما تشتهي، ولا تتهم من أخذ بقول معتبر لأنه لم يختار مشقتك.

وانتبه إلى الفرق بين طلب الطمأنينة وطلب البيان. قد تفهم الجواب كاملاً، لكنك لا تحب أثره؛ فتقول إنك ما زلت غير مطمئن. الشعور معتبر بوصفه حالاً يحتاج إلى مجاهدة، لكنه لا يضيف وحده مسألة علمية جديدة. قل لنفسك بصدق: أنا أفهم، لكن التنفيذ يشق علي. هذا الاعتراف أكرم من تحويل كل مقاومة داخلية إلى نقص في الشرح.

وفي المقابل، إذا لم تفهم وجه تطبيق الحكم، فاطلب البيان بلا حرج. قد تكون كلمة «معتبر» أو «عرف» أو «قدرة» غير واضحة لك، ويختلف أثرها في الواقعة. السؤال الذي يطلب المعنى يحرك من التقليد المشوش، بخلاف السؤال الذي يطلب اسمًا آخر للنتيجة نفسها.

وقد تنفعك تجربة شخص قريب في فهم السؤال، ويبقى الجواب متعلقًا بصورتك أنت. تشابه المهن أو المبالغ لا يكفي؛ فقد تختلف الصلاحية والعقد والشرط. اسمع الخبر لتتعلم ما ينبغي سؤاله، ثم ارجع إلى صورتك. هكذا ينفعك خلاف الناس دون أن يتحول إلى سوق مفتوح تختار منه ما يوافقك.

٥٢ القول بلا علم

يصل سؤال إلى مجموعة الأسرة: «هل هذا حلال أم حرام؟». تعرف قاعدة قريبة من الموضوع، وتذكر جواباً قرأته منذ زمن، فتكتب بسرعة: «أكد حرام». بعد دقائق يبدأ آخرون في بناء قراراتهم على الكلمة. لم تكن على منبر، لكن ثقتهم بك منحت عبارتك وزن الفتوى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾. [النحل: ١١٦]. الحكم الشرعي لا يثبت بحرارة النبوة، ولا بحسن قصد المجيب، ولا بقربه من السائل. قد تريد المساعدة فعلاً، ثم تجعلها أصعب حين تمنح تخمينك اسماً من أسماء حكم الله.

الخطر لا يبدأ دائماً من جهل كامل. قد تحفظ قاعدة صحيحة وتضع تحتها واقعة لا تدخل فيها. وقد تنقل فتوى عن صورة تشبه السؤال في الاسم وتختلف في العقد أو القدرة أو الحق المتعلق بها. وقد تذكر حديثاً ثابتاً ثم تتجاوز دلالاته. المعرفة الجزئية تحتاج تواضعاً أكبر؛ لأنها تستطيع أن تصنع ثقة لا تساوي أدواتها.

سَمَّ كلامك قبل أن تقوله. إن كنت تنقل نصًا فطابقه واذكر مصدره. وإن كنت تلخص شرحًا فلا تحذف القيد الذي يغير المعنى. وإن كنت تذكر فهمًا أو تجربة فقل ذلك، ولا تحولهما إلى حكم عام. تقرأ آية فتوقظ فيك معنى صحيحًا، ثم تكتب: «مراد الله بهذه الآية كذا». هنا تغير نوع كلامك؛ انتقلت من أثر الآية في نفسك إلى تفسيرها. ارجع إلى تفسير معتبر، وميز المعنى الذي يدل عليه النص من التطبيق الذي تقترحه. وما صح من تدبرك لا يمنحك أن تحصر مراد الآية في تجربتك.^{٦٨}

ولغة الجزم جزء من الأمانة. «ثبت النص» غير «أفهم منه»، و«أفتى فلان في هذه الواقعة» غير «الحكم في كل الصور»، و«لا أعلم» غير «لا يوجد». إذا كان علمك محتملاً، فلا ترفعه بعبارة قاطعة. الدقة لا تضعف الجواب؛ تمنع السامع من أن يبني يقينًا أكبر مما تملك.

والنص المرتب آليًا لا يتجاوز هذه الحدود. قد تساعدك أداة في صياغة السؤال أو ترتيب عناصره، لكن فصاحتها لا

٦٨ السبت، «أعمال القلوب»، ج ١، ص ٤١٦-٤١٨، في الورع عن القول في تفسير القرآن بلا علم. المثال يفرق بين أثر الآية في النفس والجزم بمراد الله، ولا يمنع التدبر المنضبط أو الرجوع إلى تفسير معبر.

تصح حديثًا، ولا تثبت نسبة، ولا تجعلها أهلاً للفتوى. كل مصدر تقترحه يحتاج فتحًا ومطابقة، وكل حكم يحتاج صاحبه وسياقه. الثقة المصطنعة في اللغة أخطر حين تخفي فراغ التحقق.

واحذر من تركيب فتوى باسم عالم. لا تجمع جملاً من أجوبة متفرقة ثم تضع اسمه على نتيجتك. ولا يكفي «سمعت شيئاً» يقول» في حق يتغير به قرار إنسان؛ ربما أخطأت الذاكرة، أو كان الكلام حكاية قول لا اختياره، أو حذف من السؤال ما يغير الجواب. ينتهي النقل حيث انتهى تحققك.

إذا سبق منك الكلام، راقب أثره. قد تكتب قيداً في آخر الرسالة فيسقط عند إعادة الإرسال، أو تقدم جواباً خاصاً فيتحول إلى عنوان عام. ضع القيد بجوار الحكم، واحتفظ بموضع النشر لتصح فيه إذا لزم. حذف الرسالة من هاتفك لا يجمع الصور التي خرجت منها.

وعندما يظهر الخطأ، قل بوضوح: «تعجلت، ولا أملك الحكم، وهذه المسألة تحتاج إلى أهلها». لا تدافع عن جواب لأنك صاحبه. الرجوع لا يصغرك؛ بقاء كلمة تعلم ضعفها هو الذي يقدم صورتك على حق السائل. وسيأتي في الفصل ٥٦ كيف يمتد التصحيح إلى من وصل إليه الأثر.

عُدْ إلى سؤال المجموعة. بدل «أكيد» اكتب ما تملكه حقًا:
 رابط الجواب إن طابقت صورته، أو وصف الجهة التي ينبغي
 سؤالها، أو «لا أعرف». في المسافة بين امتلاك هاتف وامتلاك
 علم يقع ورع عام لم يعد خاصًا بالمفتين؛ كل واحد منا
 يستطيع اليوم أن ينشر، ولذلك يحتاج كل واحد أن يعرف
 متى لا يتكلم.

تسأل قريبة عن تصرف أخرجها في مجلس. تريد منك أن
 تحدد هل أثمت، بينما لم تسمع سوى آخر دقيقة من القصة.
 قد تقدم لها خيرًا أكبر إذا قلت: لا أعرف الحكم في هذه
 الصورة، لكنني أستطيع مساعدتك في ترتيب ما حدث لتسألي
 من يعرف. دعها تصف الكلمات التي قيلت، ومن كان حاضرًا،
 وما الذي تريد إصلاحه. ومن حقها أن تحتفظ بتفاصيل لا
 تريد بثها في مجموعة عامة؛ لا تُرغمها على نشر أسرارها كي
 يجد الناس فرصة للتعليق.

ليس الامتناع عن الجزم اعتذارًا عن المعروف. تستطيع أن
 تمنع إشاعة معلومة خاطئة معلومة لديك، وأن تصل السائل
 بمرجع مناسب، وأن تعينه على كتابة سؤال يحفظ كرامته
 ويظهر ما يؤثر في الحكم. ثم لا تستبدل هذا كله بإشارة إلى
 «اسأل عالمًا» ترميها قبل أن تصغي. يجتمع في الجواب
 الأمين حد العلم وحسن الصحبة: أعرف ما لا أملكه من حكم،

وأملك أن أرافقك إلى سؤال أوضح. وإذا انكشف لي خطأ
قولي الأول، أصححه في الموضع الذي سمعه مني من
استطعت.

وفرق بين نقل معلومة ونقل حكم. قد تعرف نص لائحة أو
موعد خدمة، ولا تعرف أثره القانوني أو الشرعي في الحالة.
قل حدود ما تعرف: «هذا المكتوب، أما انطباقه فاسأل الجهة
المختصة». هذه الجملة تمنع السامع من البناء على سلطة لم
تدعها.

٥٣ نقل الحديث الضعيف

يعجبك تصميم كتب في أعلاه: «قال رسول الله ﷺ». معناه رقيق، وفي أسفله وعد بالأجر لمن ينشره. تكون يدك أقرب إلى زر الإرسال من عينك إلى المصدر. كأن جمال العبارة واسم النبي ﷺ اجتماعاً ليغنيك عن سؤال الثبوت.

قال رسول الله ﷺ:

«تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُبُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَأَانِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَانِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».^{٦٩}

وقال ﷺ:

«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».^{٧٠}

٦٩ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث ١١٠، عن أبي هريرة. أثبت المتن الكامل لهذه الرواية. محل الاستدلال هنا الوعيد على الكذب المتعمد؛ فلا يسوى به بين التعمد والغلط أو بين الوضع وضعف الإسناد.

٧٠ سنن أبي داود ٤٩٩٢، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، عن أبي هريرة في الطريق الموصول. اللفظ هنا «إثماً»، وتنقل الصفحة تصحيح الألباني؛ ليست هذه دراسة إسناد مستقلة.

لا يثبت الحديث لأن معناه مؤثر، ولا تصبح النسبة آمنة لأنك وجدتتها في صورة يتداولها الصالحون. محبتك للسنة تدعوك إلى صيانتها، لا إلى أن تزيد أثر الموعظة باسمها.

وفي المقابل لا تقل عن كل حديث ضعيف إنه موضوع أو مكذوب. الضعف درجات وأسباب، والحكم على الطرق والألفاظ علم له أهله. قد يقع الناقل في طرفين متقابلين: يروي كل جميل بلا فحص، أو يرى حكماً بالضعف فيهجم بحكم الوضع. الورع أن تنقل الدرجة كما حكم بها من يملك أدواتها، لا كما توحى بها حماسك.

شرح ابن باز الفرق بين ذكر رواية ضعيفة في الترغيب بعمل ثبت أصله، وبين إنشاء عبادة أو حكم اعتماداً عليها، وفرق بين الضعيف والموضوع الذي لا يذكر إلا مع بيان كذبه.^{٧١} وفي العمل بالضعيف في فضائل الأعمال تفصيل معروف بين العلماء؛ فلا تحوله إلى إذن عام لكل رسالة وعظية، ولا تجعل الاقتصار على الثابت اتهاماً لمن حكى قولاً علمياً بقيوده.

ابداً باللفظ نفسه. ابحث عن الجملة كما وردت، لا عن معنى قريب منها. ثم انظر إلى المصدر والرقم أو الموضوع، وإلى حكم

٧١ عبد العزيز بن باز، حكم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، صفحة

أهل الاختصاص على الطريق الذي يوافق اللفظ. قد تجد حديثاً صحيحاً قريب المعنى، لكن قربه لا يصحح العبارة المنتشرة. وقد تجد اختلافاً في التصحيح والتضعيف؛ عندها تنسب كل حكم إلى صاحبه، ولا تصنع من الخلاف نتيجة لم يقلها أحد.

وإذا لم يتضح لك الحكم، لا تكتب «ورد في الحديث» ثم تترك القارئ يظنه ثابتاً. تستطيع أن تنشر المعنى بصياغة بشرية إن كان صحيحاً في نفسه، من غير رفعه إلى النبي ﷺ، أو تبحث عن آية أو حديث ثابت في الباب. وإن كان جماله قائماً على نسبة لا تثبت، فتركه أولى من إنقاذ أثره على حساب الأمانة.

وقبل ذلك كله تعلم الفرق بين البحث عن النص والبحث عن صدى العبارة. ظهور الجملة في آلاف الصفحات لا يخبرك من أين جاءت؛ فقد تنسخ المواقع بعضها من بعض. الذي تحتاجه موضع يمكن الرجوع إليه، ولفظ يمكن مطابقته، وحكم من أهل الفن عند الحاجة. كثرة النتائج قد تكون أثر خطأ واحد انتشر، لا شواهد مستقلة على الثبوت.

وقد يختلف اللفظ المتداول عن أصل ثابت اختلافاً يغير المعنى. لا يكفي أن تقول: الفكرة موجودة في السنة، ثم

تنسب العبارة نفسها. يمكنك أن تشرح المعنى بكلامك وتدل على النص الصحيح، مع بيان أن الشرح ليس لفظ الحديث. هذه المسافة الصغيرة بين النقل والتفسير تحفظ مقام الوحي وتحفظ حق القارئ في معرفة ما يقرأ.

وفي فريق العمل لا يكفي أن يقول شخص: «تحققت منه» من غير أثر يمكن مراجعته. دون المصدر والموضع واللفظ الذي قابلته والحكم الذي نقلته واسم قائله. وإذا كانت المادة تصميمًا، ضع بيانات التوثيق في سجل التحرير ولو لم تظهر كلها على الصورة. بذلك يستطيع من يأتي بعدك أن يعرف لماذا أُجيز النص، وأن يصحح القرار إذا ظهر أصل أدق، بدل أن يبدأ التحقيق من ذاكرة شخص غاب.

أما الرسائل التي تجمع أحاديث كثيرة، فلا تجعل كثرتها تخفض مستوى الفحص. تحقق من كل نسبة، أو انشر ما استطعت توثيقه فقط. حذف ثلاثة نصوص غير واضحة لا يفسد الموعظة؛ قد ينقذها من أن تحمل على السنة ما لم يثبت. ولا تقل: «المعاني كلها صحيحة» وكأن صحة المقصد تمنح كل لفظ سندًا؛ فالأمانة تتعلق بالمعنى وباسم القائل معًا. وحين ترى خطأ عند غيرك، صححه بقدر ما علمت. أرسل له المصدر أو بيان المختص، وميّز بين خطأ النسبة وخطأ

المعنى، ولا تجعل التصحيح مناسبة للسخرية من محبته للخير. قد يكون أسرع إلى الرجوع إذا رأى أنك تحمي معه مقام النبي ﷺ، لا أنك تتنافس معه على فضحه. وإن لم تملك إلا شكًا، فاسأل ولا تتهم؛ فالورع في إنكار الرواية كالورع في نشرها.

عُد إلى التصميم قبل الإرسال. ربما لن يعرف أحد أنك حذفته، ولن تحصل على أثر التفاعل الذي وعدك به. لكن الكلمة التي لم تنسبها إلى النبي ﷺ حتى تثبت قد تكون أصدق تعبير عن محبتك له: اكتفيت بما قال، ولم تحتج إلى أن تجعل كل جميل من كلامه.

٥٤ الجزم في مسائل الخلاف

يكتب أحدهم في مسألة فقهية فرعية: «لا خلاف في هذا».
يرد آخر: «بل كل الأقوال صحيحة». بين الجملتين يضيع
السؤال نفسه؛ الأولى قد تدعي اتفاقاً لم يثبت، والثانية تجعل
مجرد وجود قول كافياً لاعتباره. قوة النبرة لا تحرر موضع
الخلاف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.
[الشورى: ١٠]. رد الخلاف إلى الوحي لا يجعل الحق تابعاً
للأذواق، ولا يجعل كل ناقل أهلاً للنظر في الأدلة. المطلوب أن
تعرف مقدار ما تنقله: أهو نص قطعي، أم إجماع متحقق، أم
اختيار فقهي، أم خلاف حكاه عالم؟ وإذا لم تحسن تحرير
ذلك، فانسب القول ولا تضيف إليه دعوى اتفاق.^{٧٢}

قال النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران،
وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»، رواه البخاري.^{٧٣} أثبت

٧٢ عبد العزيز بن باز، حكم عدم اتباع المذاهب الأربعة. الموقع الرسمي،
صفحة ٢٠٣٦.

٧٣ صحيح البخاري ٧٣٥٢، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا
اجتهد فأصاب أو أخطأ، عن عمرو بن العاص. يثبت إصابة وخطأ مع أجر الاجتهاد
للمؤهل؛ ولا يرخص لغير المتأهل في الكلام بغير علم.

الحديث إصابة وخطأ مع أجر الاجتهاد؛ فلا يصير المتعارضان حقاً واحداً لمجرد أن قائليهما اجتهدا، ولا يكون الحديث إنزناً لغير المؤهل أن يتكلم بغير علم.^{٧٤}

والعامي لا يلزمه أن يصنف كل خلاف بنفسه. يسأل من يثق بعلمه: هل المسألة قطعية أو اجتهادية؟ هل القول الذي سمعه معتبر في بابه؟ وما الذي يسعه العمل به؟ هذه الأسئلة أصدق من أن يجمع كلمات من كتب ومقاطع ثم يمنح نفسه رتبة الترجيح.

إذا نقلت قولاً، فاجعل لغتك بحجمه: «اختر فلان»، «نقل خلافاً»، «لا أعلم ثبوت الإجماع». ولا تستعمل عبارات الاحتياط لتبدو منصفاً من غير بحث؛ إثبات الخلاف دعوى تحتاج تحققاً كما يحتاج إثبات الاتفاق. وليس كل قول وجد في كتاب أو مقطع مساوياً لغيره؛ قد يكون شاذاً أو ضعيفاً أو خارج محل النزاع.

أما صاحب العلم الذي ترجح له قول فليس مطلوباً منه تجميع حجته. يبينها بقوة الدليل، ويشرح ما يراه خطأ، لكن من غير أن يحول الفرع الاجتهادي إلى حكم على ديانة كل مخالف.

٧٤ عبد العزيز بن باز، حكم عدم اتباع المذاهب الأربعة. الموقع الرسمي، صفحة ٢٠٣٦.

الجزم المنضبط ليس قسوة، والرفق ليس ترددًا؛ لكل واحد موضعه.

وتتكشف النفس حين تجعل المسألة امتحان ولاء. يوافقك شخص في فرع فتغفر له ظلمًا ظاهرًا، ويخالفك آخر فيه فتسقط عدله وعلمه. عندها لم يعد الخلاف بحجمه؛ صار وسيلة لترتيب الناس حولك. الورع يعيد الميزان: الحق في المسألة يطلب بدليله، وحق المخالف في العدل لا يسقط لمجرد المخالفة.

في حلقة قراءة صغيرة يختلف اثنان في عمل اعتادته أسرتاهما. يقول أحدهما: سمعت شيخًا يمنعه. يقول الآخر: أعرف من أجازه. قبل أن تتحول الجلسة إلى مباراة في أسماء العلماء، يستطيعان أن يكتبوا الشيء نفسه بأوصافه: متى يقع، وما غرضه، وما قيده، وهل المنقول حكم لهذه الصورة أو صورة تشبهها فقط؟ قد لا يكون كل اختلاف في الفتوى اختلافًا على محل واحد. وكم من خصومة بدأت بكلمتين اتفقتا في الاسم وافترقتا في الواقعة.

إذا رجحت لك حجة بعد السؤال، لا يلزمك أن تعيش بلا موقف. قل ما بان لك، وانسب الترجيح إلى أهله، ولا ترفع اختيارك إلى مرتبة إجماع لم يثبت. وإذا بقي الخلاف معتبرًا،

لا تجعل أدب التعامل معه تسويةً بين دليل قوي ووهم ضعيف؛ ميز الدليل وأثره، واحفظ في الوقت نفسه حق من أخذ بقول معتبر غير قولك. يمكن للغة هادئة أن تكون دقيقة؛ والدقة نفسها رحمة بالسامع حين لا تضع على ضميره حكماً أكبر مما تحمله المسألة.

وتحتاج بعض الكلمات إلى تحرير قبل أن نختلف في حكمها. تقول أسرة: «نحن نوثق اجتماعنا»، وتقصد حفظ موعده وصورة للمكان؛ وتفهم أسرة أخرى الكلمة على أنها نشر صور من حضر فيه. إذا قيلت فتوى في «التوثيق» بلا وصف ما سيصور ومن سيراه وما أذن به أصحابه، فقد يتخاصم الناس على جوابين لا يتكلمان عن فعل واحد. لا تُخفِ التفصيل الذي يثقل السؤال؛ هو الذي يحدد موضعه.

وفيما اختلف فيه أهل العلم اختلافاً معتبراً، من حَقَّ أن تطلب دليل القول الذي تعمل به وأن تطمئن إلى أهلية من تسأل. لا يمنحك ذلك حق أن تنسب لغيرك رغبةً في مخالفة الشرع لأن اختياره لم يوافقك. وإذا رأيت أثراً على حق معلوم لشخص ثالث، فهذه معلومة ينبغي بيانها، لا أن تذوب في عبارة «المسألة خلافية». أدب الخلاف يجعل وصف الواقعة والحق أكثر دقة؛ لا يجعلهما أقل أهمية.

إذا عملت بقول معتبر بعد سؤال من تثق بعلمه، فلا تجعل اختيارك سلاحًا على غيرك. اشرح ما تحتاج إليه في العمل المشترك، واحفظ المساحة الخاصة. وإذا ترتب على الاختلاف حق أو عقد أو نظام، فوضح الاتفاق مقدم على مفاجأة الآخرين باختيارك بعد وقوع الأثر.

٥٥ التصدر قبل التأهل

ينتشر لك مقطع واحد، ثم تبدأ الرسائل: «ما الحكم؟». أجبت أول مرة في باب تعرفه، فصار بعض الناس يضع أمامك كل باب. ومع كل جواب جديد تكبر صورة العارف في أعينهم، حتى يصبح قول «هذا خارج علمي» أثقل عليك من السؤال نفسه.

قال النبي ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَلًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».^{٧٥}

الخطر ليس في الجهل وحده، بل في تحوله إلى مرجع تتعلق به قرارات الآخرين. في الفصل ٥٠ كان السؤال عن اختيار المرجع؛ وهنا يواجه المتكلم حدود أهليته حين يختاره الناس. السؤال لا يمنحك أهلية. قد يسألك الناس لأنك حاضر أو سريع أو فصيح، أو لأن منصة دفعت صوتك إلى أمامهم. وقد

٧٥ البخاري، الصحيح ١٠٠، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

يثقون بك في باب ثم ينقلون الثقة إلى كل باب. أمانتك أن تجعل تعريفك لنفسك أضيق من توقعهم حين يلزم: هذا أعرفه، وهذا أنقله، وهذا يحتاج غيري.

التخصص لا ينتقل مع صاحبه حيث ذهب. الطبيب لا يفتي في الطلاق لأنه طبيب، والفقيه لا يشخص اضطراباً لأنه فقيه، والمربي الناجح لا يصير معالِجاً لكل ألم نفسي. الشهرة في باب قد تزيد واجب الإحالة في الأبواب الأخرى؛ لأن الجمهور يميل إلى توسيعها.

ولا يعني الوقوف أن تكتم ما تعلم. تستطيع أن تنقل جواباً مضبوطاً وتذكر صاحبه وصورته، لكن النقل غير إنشاء فتوى لواقعة جديدة. تشابه العنوان لا يضمن اتحاد الشروط. وقد فرق ابن باز بين المأهل للنظر ومن يحتاج إلى سؤال أهل الفقه والتعلم منهم.^{٧٦} قل موضع قدمك بدل أن تسقط جواباً قديماً على حياة لا تعرف تفاصيلها.

وفي المنصات يصبح الاختصار ضغطاً مستقلاً. الجمهور يريد جملة، والخوارزمية تكافئ الثقة، والمسألة تحتاج سؤالاً وجواباً متدرجاً. يحتاج العلم إلى قدره من البيان ولو ضاق به

٧٦ عبد العزيز بن باز، حكم عدم اتباع المذاهب الأربعة. الموقع الرسمي، صفحة ٢٠٣٦.

شكل المقطع. قد تكون أنفع دقيقة تنشرها هي التي تقول فيها: «هذه المعلومات لا تكفي للحكم»، ثم تدل السائل على ما ينبغي أن يجمعه ومن ينبغي أن يسأله.

وللتصدر دين يتراكم. كل مرة تجيب خارج علمك تجعل التوقف القادم أصعب، لأنك تخشى أن يكتشف الناس أن المساحة أصغر مما رسمتها. لا تنتظر انهيارًا كبيرًا. صحح الحدود من الآن، وثبت في تعريفك ومجالسك ما تتقنه وما تنقله وما لا تتولاه. قد يستغرب بعضهم، لكن استغرابًا عابرًا أهون من قرار يعيش سنوات على جواب لم تكن أهله.

والتأهل نفسه لا ينتهي عند شهادة أو شهرة. العالم يراجع ويتخصص ويحيل، وكلما اتسعت معرفته ظهرت له حدود جديدة. لذلك ليس التواضع عبارة تسبق الجواب؛ هو نظام يحميه: مصادر، ومراجعة، وأهل يرجع إليهم، وشجاعة توقف حين تنتهي الأدوات.

قد يبدأ التصدر من باب خدمة مفيدة جدًا. تجمع طالبة مراجع دراسية لزميلاتها، وتذكر مواضع الآيات والأحاديث في منهجهن. بعد أشهر يبدأ الناس يسألونها في خصومات عائلية وعقود مالية؛ لأن اسمها صار مقتدرًا بالمعلومة الموثقة. تستطيع أن تواصل خدمتها الأولى، وأن تضع حدًا واضحًا

للخدمة الثانية. تقول: جمعت لك موضع النص، لكن تطبيقه على نزاعكم يحتاج من يسمع جميع الأطراف ويعرف المسألة. هذا الحد لا يهدم الثقة التي بنتها؛ يعرف الناس نوعها.

وقد يرسل صاحب صفحة تعليمية جواباً قديماً كتبه قبل أن يعرف شروط المسألة، ثم ينتشر كلما بحث الناس عن الموضوع. إذا عرف خلله، يستطيع أن يضع تنبيهاً واضحاً على المنشور الأول، لا أن يكتفي بمقال جديد لا يصل لمن حفظ الصورة. وإن كان التصحيح يحتاج إلى متخصص، يسحب الجزم السابق حتى يُستكمل الفحص. الاعتراف بحد العلم في المساحة التي منحت قوله الانتشار أصعب من قوله في جلسة خاصة، وهو أنفع لمن أخذ عنه.

ومن تمام التأهل أن يبقى صاحبه قابلاً للمراجعة؛ فإذا ظهر له الخطأ انتقل الواجب من ضبط حدود القول إلى بيان الرجوع وإصلاح أثره. وهذا موضوع الفصل التالي.

٥٦ الرجوع عن الخطأ

ترى التنبيه في آخر الليل: المصدر الذي بنيت عليه منشورك لا يقول ما نسبت إليه. تفتح النص مرة أخرى، فتزول مساحة الدفاع العلمي، وتبقى مساحة أشد ضيقًا: المنشور قرأه الناس، وبعضهم أعاد إرساله، واسمك ما زال تحته. تستطيع أن تصحح الآن، أو تنتظر لعل الخطأ يمر بلا انتباه.

قال الله تعالى فيمن كتم البيئات: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأُصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٠]. ليست كل زلة من باب كتمان البيئات، لكن اجتماع التوبة والإصلاح والبيان في الآية يضيء الطريق حين خرج الخطأ إلى الناس. المعرفة الداخلية وحدها لا تصل دائمًا إلى من حملوا الأثر.

ابدأ بتسمية ما حدث. هل أخطأت في رقم أو اسم لا يغير المعنى؟ هل نقلت عبارة بلا مصدر؟ هل تجاوز فهمك النص؟ هل أسقطت جوابًا على واقعة أخرى؟ حجم التصحيح يتبع نوع الخطأ؛ فلا يكفي تغيير كلمة إذا اختل البناء، ولا يحتاج الخطأ الطباعي المحدود إلى بيان يضخم أثرًا لم يقع.

ثم اسأل عن المتأثر، لا عن الجمهور الأوسع فقط. إذا أعطيت شخصًا معلومة بنى عليها دواءً أو مألًا أو علاقة، فابدأ به قبل

أن تصنع منشورًا يحسن صورتك. وفي الحقوق قد لا يكفي الاعتذار؛ ربما يلزم رد مال، أو تعديل عقد، أو سؤال مختص عن نتيجة ترتبت. تصحيح الجملة بداية، وتصحيح ما أمكن من أثرها تمام الأمانة.

اجعل البيان مباشرًا: ما الذي قلته؟ أين الخطأ؟ ما الذي ثبت الآن؟ وماذا يفعل من عمل بالقول السابق؟ لا تدفن هذه العناصر في قصة طويلة عن حسن نيتك. النية تفسر، لكنها لا تصلح المعلومة. ضع التصحيح في موضع النشر نفسه ما أمكن، واربط القديم بالجديد حتى لا يعيش أحدهما بعيدًا عن الآخر.

وفي الملفات، لا تسحق النسخة كأنها لم توجد. ضع رقم إصدار وتاريخًا وسطر تغيير، حتى يعرف من حمل القديم أن هناك نصًا حاكمًا أحدث. وإذا كان بقاء المنشور يضاعف الضرر فاحذفه، لكن احتفظ في سجل العمل بما تغير ولماذا. الذاكرة المؤسسية تحميك من إعادة الخطأ، ولا تعني إبقاءه أمام الجمهور.

وسرعة الرجوع تتبع الخطر. معلومة تمس دواءً أو حقًا أو علاقة لا تنتظر جدول التحديث القادم. أما خطأ تحريري لا يغير المعنى فيمكن إصلاحه في دورة منظمة. موعد

التصحيح يتبع أثر الخطأ؛ فربما أردت التأجيل في الأشد لأن الاعتراف مؤلم، والاستعجال في الأهون لتظهر سريع التصحيح.

وليس كل اعتراض صحيحًا. افتح المصدر، وقارن الصورة، واسأل من يعرف الباب. الاستعداد للرجوع لا يعني تسليم عقلك لكل تعليق؛ يعني ألا يتحول دفاعك الأول عن نفسك إلى حكم نهائي. وكذلك تغير اجتهاد العالم في مسألة ظنية ليس دائمًا اعترافًا بخيانة سابقة؛ قد يحتاج بيانًا أدق لآثاره، ولا تسوى به الأخطاء الصريحة كلها.

بعد أن تصحح، يبقى لك ما وراء هذا الخطأ من عمل وحياة. وكذلك من رجع عن خطئه يستحق العدل، ويحتاج إلى من يعينه على الاستمرار. المجتمع الذي يعاقب كل من قال «أخطأت» يدرّب الناس على المكابرة. من حق الناس معرفة الصواب، ومن العدل ألا يحول الاعتراف الصادق إلى عقوبة دائمة ما دام صاحبه أصلح ما استطاع.

والرجوع الكامل له ثلاث طبقات: تصحيح المعلومة، وإصلاح الأثر، وتغيير الطريق الذي صنع الخطأ. قد تقول إن الخبر غير صحيح، ثم تراسل من نقلته إليهم، ثم تضع قاعدة تمنعك من نشر خبر بلا مصدر. إذا توقفت عند الطبقة الأولى، بقي الضرر

أو عاد السبب. وإذا حاولت تغيير النظام قبل الاعتراف، شعر المتضرر أن حقه ذاب في كلام عام.

ولا تجعل تأخر الرجوع عذراً للاستمرار. صحيح أن التصحيح بعد يوم لا يمحو كل أثر، لكنه خير من إضافة يوم آخر. ابدأ بما تقدر عليه الآن، وبيّن قدر ما لا تستطيع إصلاحه، واستعن بصاحب الحق أو المختص فيما يخفى. الصدق لا يعد بإرجاع الزمن؛ يعد ببذل ما يمكن دون مراوغة.

ومع كل رجوع، اترك لنفسك درساً قصيراً لا جلدًا طويلاً: ما العلامة التي تجاهلتها؟ ومن كان ينبغي أن أسأل؟ وما الخطوة التي سأقدمها في المرة القادمة؟ هكذا يتحول الخطأ إلى معرفة عملية، ويبقى القلب بين تواضع لا ينكسر ويقظة لا تغفل.

نشرت جمعية رقمًا عن تبرعات وصلت إليها، ثم اكتشفت موظفة أن طريقة جمع الفترات ضاعفت شهرًا واحدًا. لو اكتفت بحذف الصورة القديمة، قد تبقى النسخ المتداولة دليلًا مزعومًا على إنجاز لم يقع. تنشر الرقم المصحح وطريقة حسابه، وترسل التصحيح إلى الجهات التي اقتبست الرقم من حسابها. لا يلزمها أن تتهم من أعد التقرير بالتعمد إن لم تعلم؛ تكفيها مسؤولية تصحيح ما عرفته.

وربما ترتب على الرقم قرار من متبرع أو شريك. تبلغه بالمعلومة الجديدة بوضوح، وتتيح له أن يعيد النظر فيما يخصه. صدق الرجوع لا ينتهي عند إراحة ضمير المؤسسة ببيان عام؛ يسأل عمن بنى فعلاً على القول الأول. وقد يصعب الوصول إلى كل شخص، فتفعل ما تقدر عليه وتذكر حد علمك. في هذا الموضع يكون الاعتراف بالخطأ طريقاً لاستعادة الثقة، لا لأن الناس لا يغضبون، بل لأنهم يرون أن الحق أرجح من صورة المتكلم.

عُد إلى الشاشة المفتوحة. اكتب: «نسبت في المنشور السابق كذا، ولم يثبت لي بعد المراجعة، والصواب الذي وجدته كذا». أرسلها إلى حيث أرسلت الأولى، ثم تابع الأثر الذي تستطيع الوصول إليه. ربما تنقص صورتك في عين من يطلب العصمة، لكنها تستقيم في عين من يعرف معنى الأمانة.

ورع العلم لا يعدك بحياة بلا خطأ. يعدك بقلب لا يتخذ قوله وطناً بعد أن يظهر له الحق. وقد تكون لحظة الرجوع — لا لحظة الجواب الأول — هي التي تكشف أنك كنت تطلب الحق فعلاً، لا بقاء اسمك فوقه.

الباب الثامن: حين ينقلب الورع إلى آفة

٥٧ حين لا ينتهي الوضوء

غسلت يديك، ثم عدت تنظر إليهما: هل وصل الماء إلى هذا الموضع؟ تدخل الصلاة فيأتي خاطر آخر: لعل شيئاً انتقض. ينتهي الناس من وضوئهم وتبقى أنت في البداية، تبحث عن شعور باليقين لا يستقر.

جاء في الخبر:

«أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلُ الَّذِي يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ. فَقَالَ: لَا يَنْفَتِلْ - أَوْ لَا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا».^{٧٧}

الخبر في شك بعينه؛ والمعنى الذي يريبه أن يقين الطهارة لا يزول بخاطر لا يثبت به حدث. إذا عرفت وقوع شيء على وجه يغير الحكم، فله سؤاله. أما مطالبة النفس بإحساس كامل بالأمان قبل كل عبادة، فليست شرطاً أضافه الشرع.

قال النبي ﷺ:

٧٧ صحيح البخاري ١٣٧، كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، عن عبد الله بن زيد. الأمر بعدم الانصراف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً في شك الحدث أثناء الصلاة؛ لا يستعمل لنفي فريه حسية متيقنة أو حكم باب آخر.

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا
وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ
الدَّلْجَةِ».^{٧٨}

قد يظن من أنه كتبه لإعادة أن التوقف عنها تساهل. وقد
تمنحه إعادة راحة مؤقتة ثم يعود الضيق؛ ولا يكفي هذا
الوصف وحده لتشخيص حاله. إذا عطل التكرار عبادته أو
حياته، فليطلب تقييماً مخصصاً وخطة تناسبه، مع تعلم
الحكم الشرعي من أهله.^{٧٩}

في بيت مزدحم ينتظر أهلك دورهم في الحمام، وقد أمضيت
وقتاً طويلاً لا لظهور أمر جديد بل لأن الخوف عاد في صورة
أخرى. سمّ الفرق: ماذا وقع يقيئاً، وماذا أخاف وقوعه؟ امض
مع الأول إلى حكمه، ولا تمنح الثاني سلطاناً بمجرد إلحاحه.
وإذا صار التكرار قهرياً يعطل الصلاة أو العمل والحياة،

٧٨ صحيح البخاري ٣٩، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، عن أبي هريرة: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه». اليسر وصف للشرعية وهدي في السداد والمقاربة؛ لا يبيح إسقاط تكليف ثابت أو تسمية الهوى تيسيراً.

٧٩ المعهد الوطني للصحة النفسية بالولايات المتحدة، الوسواس القهري: الأفكار غير المرغوبة والسلوك المتكرر، فقرات التعريف والأعراض والتشخيص والعلاج؛ قوبلت في ٤ أكتوبر ٢٠٢٦. الراحة المؤقتة بعد التكرار لا تكفي للتشخيص، والخطة يحددها المختص. مرجع لوصف الاضطراب لا لتقرير حكم شرعي، ولا يغني هذا الوصف عن التشخيص والعلاج لدى المحص.

فاستعن بمن يعرف الحكم الشرعي وبمختص يستطيع معالجة الضيق؛ لا يحل نص تربوي محل تشخيص أو علاج.

وقد يتنقل طلب الطمأنة من تفصيل إلى آخر: من عدد الغسلات إلى ترتيبها، ثم إلى النية، ثم إلى صحة الصلاة كلها. تغيّر السؤال لا يعني دائماً أن واقعة جديدة ظهرت؛ اسأل نفسك: هل عندي معلومة لم تكن موجودة حين تعلمت الحكم، أم عاد الخوف في لباس جديد؟ هذا التفريق لا يصدر حكماً في حادثة مجهولة، لكنه يمنع القلق من أن يجعل كل صياغة باباً لمسألة جديدة.

ولا تجعل أفراد البيت جزءاً من دورة الإعادة. قد تطلب من أحدهم كل مرة أن ينظر إلى موضع الماء أو يؤكد لك صحة ما فعلت، فيطمئن قلبك دقائق ثم يحتاج إلى شاهد جديد. يستطيع القريب أن يعينك على اتباع الخطة التي اتفقت عليها مع المختص، لا أن يصير مفتشاً دائماً على عبادة لا تقوم إلا بتقريره. الرحمة هنا في المساندة الثابتة، لا في تغذية السؤال كلما تبدل شكله.

تعلم من صاحب العلم متى تتم عبادتك، وما الذي يغير حكمها فعلاً. وإذا كنت تتلقى علاجاً للوسواس، فاتفق مع المختص على طريقة التعامل مع إعادة الفحص وطلب الطمأنة. لا

تجعل هذا الفصل خطة علاج تستقل بتنفيذها؛ غايته أن يميز بين تعلم الحكم وبين الدوران مع خوف يعطلك.

وإذا وقعت واقعة محددة فعلاً، فلا تعالجها بقواعد عامة تحفظها من هذا الفصل. صفها لصاحب العلم: ماذا رأيت، ومتى، وما الذي فعلته بعده؟ الفصل يربي على عدم طاعة الاحتمال المجرد، ولا يمنع السؤال عن واقع له أثر. بهذا الحد لا يتحول علاج الوسواس إلى استهانة، ولا يتحول طلب الاحتياط إلى عبادة لا تنتهي.

ومن الرحمة أن لا يدعوه أحد إلى إعادة عبادة لمجرد أن وجهه يبدو قلقاً؛ فقد يكون ما يحتاجه أن يرى من يحبونه يؤمنون بقدرته على المضي.

وفي الخطة مساحة لما يستجد فعلاً. إذا رأيت حدثاً محدداً أو ظهر وصف لم تسأل عنه، لا تتجاهله باسم مقاومة الوسواس؛ دونه بعبارة قصيرة واسأل عنه في الوقت والطريق المتفق عليهما، ما لم يكن عاجلاً. بهذا لا يصبح كل خاطر طارئاً، ولا يصبح كل ضبط للنفس منعاً للسؤال. المعيار هو وجود معلومة يمكن نقلها، لا مجرد اشتداد الانقباض.

أما الأسرة، فتسأل المختص كيف تساند صاحبها وتستجيب لطلب الطمأنة ضمن خطته. لا تتخذ جملة ثابتة ذريعة إلى

صَدَّهْ أَوْ تَعْنِيْفَهْ، وَلَا تَجْعَلِ الْقُرْبَ مِنْهُ تَحْقِيقًا مُتَكَرِّرًا فِي عِبَادَتِهِ. الْإِصْغَاءُ بِلَا وَصْمَةٍ وَالتَّعَاوُنُ فِي خُطَّةٍ مَفْهُومَةٌ أَقْرَبُ إِلَى الْمُسَانَدَةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا.

وَقَدْ يَحْمِلُ الْمَصَابِ خَجَلًا فَوْقَ تَعْبِهِ؛ يَخَافُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ قَلِيلَ الْفَقْهِ أَوْ ضَعِيفَ الْإِرَادَةِ. لَا تَزِيدُوا هَذَا الْحَمْلَ. مَقَاوِمَةُ الْإِعَادَةِ قَدْ تَحْتَاجُ شَجَاعَةً لَا يَرَاهَا مَنْ يَنْتَهِي مِنْ وَضُوئِهِ فِي دَقَائِقٍ. اِمْدَحِ التَّزَامَهُ بِالْخُطَّةِ لَا مَقْدَارَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ مِنْ خَوْفٍ، وَلَا تَجْعَلِ الْعِبَادَةَ مُسَابِقَةً زَمْنِيَّةً، بَلْ طَرِيقًا يَعُودُ فِيهِ إِلَى السَّعَةِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ.

وَإِذَا امْتَدَّ التَّعْطِيلُ إِلَى أَعْمَالِ الْيَوْمِ أَوْ عِلَاقَاتِهِ أَوْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ عَمَلِيَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمُسَانَدَةَ الْمُتَخَصَّصَةَ لَيْسَتْ أَمْرًا مُؤْجَلًا. صَاحِبُ الْعِلْمِ يَبِينُ الْحُكْمَ، وَالْمُتَخَصَّصُ الصَّحِيَّ يِعَالِجُ نَمَطَ الْقَهْرِ بِحَسَبِ حَالِهِ، وَقَدْ يَحْتَاجَانِ إِلَى تَعَاوُنٍ يَحْفَظُ لِلْمَسْأَلَةِ جَانِبَهَا الشَّرْعِيَّ وَالْإِنْسَانِيَّ. لَا يَتَوَلَّى الْكِتَابُ تَشْخِصًا، لَكِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ طَلَبِ الْمُسَاعَدَةِ مِنْ غَيْرِ وَصْمَةٍ.

الْوَرَعُ هُنَا أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ بِالْحَدِّ الَّذِي بَيْنَهُ، لَا أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ خَاطِرٍ بَابًا يَعُودُ بِكَ إِلَى أَوَّلِ الطَّرِيقِ.

٥٨ حين يصير الحساب كله مشتبهًا

تقلب راتب هذا الشهر في ذهنك. تعرف عملك وعقدك ولم يظهر نقص محدد، لكن فكرة تقول: ماذا لو كان في نشاط الشركة شيء لا أعرفه؟ تسأل عن قسم آخر، ثم عن المورد الذي يتعامل معه، ثم عن ماله قبل أعوام. كل جواب يزيح القلق دقائق، ويترك له بابًا جديدًا.

هناك أسئلة مالية تحتاج فعلًا إلى جواب: شرط في عقد لم تفهمه، عمولة لها دافع خفي، هدية من صاحب مصلحة، حق في يدك تعرف مالكة. صفها كما وقعت واسأل أهل العلم. وقد فُصلت صور المال المختلط في الفصل ٤٠. لكن احتمالًا عامًا، بلا قرينة لا يجعل راتبًا أدبي مقابله عمل مباح معلوم حرامًا، ولا يجعل حياتك تحقيقًا في تاريخ كل من تعاملت معه.

إذا عاد السؤال نفسه بعد جواب معتبر، ابحث عما تغير في الواقعة: هل ظهر صاحب حق؟ هل وجدت مستندًا أو مبلغًا أو تصرفًا محددًا لم تذكره؟ إن وجد، فهذه معلومة تُسأل وحدها. وإن لم يوجد إلا الشعور القديم في عبارة جديدة، فلا تجعله حجة أقوى بالتكرار. قد يحتاج من يكرر السؤال قهرًا إلى مساعدة متخصصة؛ لا نضع تشخيصًا في كل متردد، ولا نغلق حقًا ثابتًا باسم الوسواس.

قد تلاحظ الفرق في مثالين متجاورين. فتاة تقلق كل يوم من مال والدتها لأنها سمعت أن في السوق معاملات محرمة، ولا تعرف مالا بعينه؛ سؤالها لا يشبه شخصاً وجد إيصلاً يثبت أنه استبقى مال صديق. الأول يحتاج رد الظن إلى حجمه؛ والثاني يحتاج معالجة حق معلوم، مهما كان قلق صاحبه. لا تسمح للخوف أن يوسع الصورة الأولى، ولا تستعمل الحديث عن الخوف كي تمحو الثانية.

ابن سؤالك المالي على أربعة أوصاف: المال المعين، وصاحب القرار فيه، والصلة التي تربطك به، والمعلومة التي ظهرت الآن. عبارة «ربما في الشركة شيء» لا تعين عقدًا ولا مبلغًا ولا تصرفًا. أما قولك: «عرض علي المسؤول مبلغًا خارج كشف الراتب وطلب كتبه عن الجهة صاحبة الصلاحية» فيصف واقعة لها أطراف ومستندات يمكن عرضها على المختص. لا نستخرج من المثال حكمًا؛ نتعلم فقط كيف نمنع الاحتمال العام من التشبه بالقرينة الخاصة.

وفي المؤسسات الكبيرة لا تملك عادة تاريخ كل مورد وحساب. مسؤوليتك العملية تبدأ من عملك وعقدك وما وصل إليك من معلومات مؤثرة، ثم تتسع بقدر صلاحيتك وما يثبت لك، لا بقدر ما يستطيع الخيال أن ينسج من سلاسل بعيدة. إذا كنت صاحب قرار أو رقابة فحدود السؤال أوسع من

موظف لا يملك الملف، لكن اتساع الصلاحية لا يبيح اتهام الناس بلا بينة، وضيقها لا يجيز إخفاء مخالفة ظهرت في نطاق أمانتك.

وقد يكون أثر السؤال قرارًا إداريًا قبل أن يكون جوابًا فقهيًا: طلب بيان مكتوب، أو فصل صلاحيتين، أو إثبات صاحب الموافقة. هذه الإجراءات لا تحكم وحدها على المال بالجل أو الحرمة، لكنها تمنع الغموض من أن يبقى بيئة خصبة للقلق والتجاوز معًا. الوضوح المؤسسي يعين القلب؛ لأنه يقلل المواضع التي تختلط فيها الريبة الحقيقية بالخوف غير المحدد.

وتتغير الدائرة حين يتغير دورك. الموظف الذي صار مدير مشتريات لا يستطيع الاستمرار في السؤال الضيق نفسه؛ صارت إليه ملفات وعقود واختيارات لم تكن بيده. وفي المقابل لا يطلب من موظف الاستقبال أن يحقق في حسابات الموردين بلا تكليف ولا علم. الورع يتعلم حدود الدور، ثم لا يستعملها ذريعة للعمى عما ظهر فيه.

للفصل ٦١ وظيفة أخرى: ترتيب واجب ثبت أمام احتياط تختاره. أما هنا فنتعلم كيف نعرف إن كان أماننا أصلًا واقع جديد يستحق السؤال. عندما تفصل المال وصاحبه وسبب

دخوله إلى يدك وما تجهله فعلاً، تستطيع أن تسأل سؤالاً
واحداً وتعمل بجوابه. ليس الهدوء وعداً بزوال كل خاطر، بل
قدرة على ألا تنقاد لكل خاطر.

٥٩ حين يصبح احتياطك حكمًا على الآخرين

تركت أسرة شيئًا مباحًا لأنها لا تحتاجه، فكان قرارًا حسنًا لشأنها. بعد مدة صار أفرادها يرمقون من يفعله كأنه اختار نقصًا في دينه. لم تتغير حقيقة الشيء؛ الذي تغير أن اختيارهم الشخصي لبس ثوب الحكم العام.

قال النبي ﷺ:

«يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا».^{٨٠}

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا».^{٨١}

٨٠ صحيح البخاري ٦٩، كتاب العلم، باب «ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا»، عن أنس: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». وصحيح مسلم ٢٦٧٠، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، عن عبد الله بن مسعود، وفيه تكرار الجملة ثلاثًا. لا يستعمل التيسير لإسقاط حكم ثابت، ولا يحمل التنطع على كل احتياط شخصي.

٨١ صحيح البخاري ٦٩، كتاب العلم، باب «ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا»، عن أنس: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». وصحيح مسلم ٢٦٧٠، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، عن عبد الله بن مسعود، وفيه تكرار الجملة ثلاثًا. لا يستعمل التيسير لإسقاط حكم ثابت، ولا يحمل التنطع على كل احتياط شخصي.

لا تُستعمل هذه النصوص لإلغاء حرام ثابت، لكنها تمنع أن تُضاف مشقة من عند الناصح إلى دين الله. قل بوضوح: هذا حكم بدليله، وهذا اختيار لي لأنني أعرف ضعفي أو حال بيتي، وهذا تنظيم لوقت أسرتنا يمكننا مراجعته. اختلاف الأسماء يحفظ حق الله وحق الناس.

قد يكون الأب قادرًا على ترك وسيلة ترفيهه، فيفرض تركها على أهله باسم الورع دون أن يشرح ضررًا أو حكمًا. وربما يكون له في التربية سبب معتبر يضبط استعمالها؛ فالعدل أن يذكر السبب وحدّه وأن يسمع من سيتأثر به. وفي الفصل المدرسي قد يخلط المعلم بين إلزام منهجي وفضيلته الخاصة فيزيد اللوم على طالب لم يخالف إلا ما لم يُطلب منه أصلًا.

إذا احتاج قريب إلى نصيحتك، استوضح صورته قبل أن تصفه بالتساهل. تحدث عن الفعل الذي تعرف حكمه، ولا تضيف إلى خبره دعوى عن قلبه. إن كان في الباب خلاف معتبر، فاختلف معهم في القول دون أن تزعم معرفة صدق قلوبهم. وإن ثبت منع، فقل الحق بأدب لا يضيف إلى المرء ذلًا لا يحتاجه ليفهم.

ويزداد الواجب في التمييز حين تكون لك سلطة: والدًا، أو مديرًا، أو معلمًا. قد يوافقك من أمامك لأنه يخشى أثر

الرفض، لا لأنه رأى اختيارك ورعًا. لذلك اشرح ما هو إلزام بسبب حق أو سلامة أو عقد، وما هو تفضيل قابل للنقاش، وحدد مدة التجربة وطريق مراجعتها. السلطة التي تعلن حدودها أقرب إلى العدل من سلطة تختبئ خلف كلمة عامة جميلة.

راقب أيضًا كيف تتغير لغتك عند الحديث عن الغائب. من السهل أن تقول: «لا أدري ظروفه»، ثم تبني بعد ذلك قصة كاملة عن سبب اختياره. قف عند الفعل المعلوم، واترك السريرة لصاحبها وربه. وإذا احتجت إلى التحذير من ممارسة مؤذية فصف الممارسة وضررها وما ثبت عنها، ولا تجعل صلاح المتكلم شرطًا لفهم حجتك.

ومن علامات سلامة الاحتياط أنك تستطيع مراجعته من غير شعور بأن الدين كله سقط. ضع موعدًا تسأل فيه: هل السبب الذي تركت من أجله ما زال قائمًا؟ هل ظهرت وسيلة تحقق المقصد بأقل تضيق؟ ربما يبقى القرار كما هو، وربما يتغير. المراجعة لا تعني أن الورع كان تمثيلاً؛ تعني أن الاختيار البشري لا يكتسب العصمة بطول المدة.

ويظهر الخلط في لغة الجماعات الصغيرة بسرعة. يبدأ الأصدقاء باتفاق على ترك مكان يكثر فيه ما يزعجهم، ثم

يصير من دخله محتاجًا إلى الدفاع عن دينه. كان الاتفاق تنظيمًا لصحبته، فتحول مع الوقت إلى معيار خفي للقبول. لو سَمَّوه باسمه لبقى قابلاً للمراجعة: نحن اخترنا هذا لأنه أنسب لحالنا، ولا نحكم به على من اختلفت صورته.

وقد تدعو غيرك إلى تجربة نافعة من غير أن تمنحه حكمًا على قلبه. قل: جربت تقليل المشتريات شهرًا فوجدت وقتي أهدأ، إن ناسبك فابدأ بأسبوع. لا تقل: من كان صادقًا لفعل مثلي. الدعوة التي تذكر أثرها وحدودها تفتح بابًا، أما التي تربط الاختيار بدرجة الإيمان فتضغط على السريرة بما لا تملك.

وإذا كنت صاحب قرار، فافتح طريق اعتراض آمنًا. الموظف الذي يرى أن القاعدة الشخصية لمديره أصبحت عبئًا على العمل يحتاج إلى أن يتكلم دون أن يوصف بقلّة الورع. اسمع وصف الأثر، وراجع المقصد، وافصل بين ما يحفظ حقًا وما يحفظ صورتك. ربما تثبت القاعدة بعد المراجعة، لكن ثباتها حينئذ يقوم على سبب معلن لا على رهبة الأفراد.

راجع أثر ورعك على الناس القريبين: هل صاروا يسألون بأمان، أم يخفون عنك مباحات لأن كل سؤال يتبعه حكم على صلاحهم؟ هذا الأثر لا يقرر صحة الفتوى، لكنه يكشف لهجة

تستطيع إصلاحها. صلاح القلب لا يظهر فقط في ما تركت؛
يظهر في قدرتك على ألا تحمل الآخرين ما لم يوجبه الله
عليهم.

٦٠ كرامة المباح

بعد أسبوع متعب نام رجل ليلة كاملة ثم استيقظ وهو يشعر بالذنب، كأن راحته خيانة لعزمه على العبادة. وآخر يمتنع عن طعام يحبه لأنه يضره، ثم ينظر إلى من يأكله باحتقار. ترك الشيء قد يخدم صاحبه؛ الحكم على نعمة أحلها الله يطلب دليلاً آخر.

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾. [المائدة: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالتَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. [الأعراف: ٣٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم

وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي
فليس مني^{٨٢}.

لا يذم الخبر كل من قلل طعاماً أو أكثر من عبادة؛ جاء
التصحيح حين صارت الشدة الدائمة في تصورهم أرفع من
هديه ﷺ. قد تترك رفاهية لتؤدي ديناً، أو تختار بساطة لأنك
ترتاح لها، أو تقلل شاشة تحفظ بها وقتك. سمَّ السبب باسمه،
وأبقى أصل المباح مباحاً لغيرك. قد يحتاج أخوك إلى راحة
تمنح بدنه قدرة على القيام بحق أهله، وقد تكون في رحلة
مباحة مودة للأسرة بعد غياب.

وفي الطرف الآخر، لا يعني شكر المباح أن تتركه يبتلع
الواجب أو يضررك بإفراط؛ تختلف الأحوال والمقادير. لا
تختصر الطريق في إما زهد يزدري كل راحة وإما استرسال لا
حد له. خذ نعمة قريبة اليوم: طعاماً طيباً أو مجلساً مع
أسرتك أو نوماً يعينك. اشكرها، وأدِّ ما بعدها من حق. إذا كان
قلبك لا يحتقر من أخذ ولا من ترك لسبب صالح، فقد عاد
الحكم إلى موضعه.

٨٢ صحيح البخاري ٥٠٦٣، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، عن أنس؛ وفيه
خبر الرهط الثلاثة، وبيان النبي ﷺ صيامه وفطره وصلاته ونومه وزواجه. الدلالة
على هدي التوازن ورفض الرغبة عن السنة؛ لا على ذم كل ترك عارض لمباح أو نفل
مشروع.

وقد تأتي القسوة على المباح في صورة ميزانية لا في صورة عبادة. يمنع المرء عن نفسه وأهله كل راحة يقدر عليها، لا لأنه يؤدي دينًا أو يحفظ حاجة، بل لأنه يخشى أن يبدو أقل زهدًا. التدبير مطلوب بحسب الحال، لكن الأسرة تحتاج أن تعرف الفرق بين عجز حقيقي، وألوية متفق عليها، وحرمان صار هوية. الصراحة في القدرة والسبب أعدل من تعليق كل تضيق على مقام الورع.

ويبقى للمباح أثر في الآخرين يستحق أن يُسمع. الطعام مباح، لكن الإنفاق عليه يدخل في ميزانية لها حقوق أخرى. والهاتف مباح، لكن حضوره على مائدة الأسرة قد يقطع حديثًا له حق. والسفر مباح، لكن توقيته قد يمس التزامًا سابقًا. الحديث عن الكرامة لا يلغي حساب الأثر؛ يعيد الشيء إلى أصله ثم ينظر في القدر والوقت والحق المتصل به.

ويمكن أن يظهر احترام المباح في أبسط مجلس. اشترت أسرة لعبة جماعية لقضاء مساء هادئ، فقال أحد أقاربهم أمام الصغار إن الوقت الذي يقضونه فيها ضائع كله. ربما كان يقصد أن لا يطول اللعب، وقد يكون عنده سبب يتعلق بلعبة معينة؛ لكنه لم يشرح شيئًا من ذلك. تستطيع الأسرة أن تحدد وقتها، وأن تراعي من لديه واجب في الصباح، وأن تختار ما يناسبها

دون أن تجعل الفرح البريء موضع اتهام. وإذا ظهرت مشكلة بعينها، تُذكر باسمها بدل أن يعاقب كل فرح عليها.

والشخص الذي يختار لنفسه عملاً كثيراً يحتاج إلى راحة تحمله عليه. لا تقاس جودة اليوم بعدد ساعات الامتناع عن كل متعة، ولا يبرر ذلك الاسترسال حتى يضيع الواجب. انظر إلى أثر الخيار: هل يعينك على الوفاء والصلة وحسن الخلق، أم صار باب هروب من مسؤولية معلومة؟ بهذه اللغة تستطيع أن تعدل عادتك دون أن تصدر حكماً على أصل نعمة أباحها الله لعباده.

ومن كرامة المباح أن توزعه بعدل داخل البيت. قد يشتري الوالدان لأنفسهما راحة ويتركان الصغار في ضيق غير مفهوم، أو يعكسون الأمر حتى يحرموا أنفسهم حاجة ثم يثقلوا على الأبناء بذكر التضحية. الصراحة في حدود القدرة أهدأ: هذه ميزانية الشهر، وهذا قدر الراحة الممكن، وهذه أولوية نقدمها الآن. المشاركة في الفهم تحول المباح من موضع اتهام إلى تدريب على الاختيار.

وفي المناسبات العامة قد يتنافس الناس في هيئة الزهد أو هيئة السعة. فريق يعيب كل إنفاق ولو كان معتدلاً، وفريق يرى كل ضبط تعقيداً. الأفضل أن يعود السؤال إلى الحق

والأثر: هل وُفي الدين؟ هل حُفظت النفقة الواجبة؟ هل خلا الأمر من إسراف أو أذى؟ وما بقي مساحة يتفاوت فيها الناس بحسب أحوالهم وأذواقهم.

وتحتاج النفس إلى أن تتعلم الفرح من غير استحقاق متضخم. تستقبل نعمة صغيرة، فتحمد الله وتنتفع بها، ولا تطلب أن تستمر ولا أن تكون مثل نعمة غيرك. هذا اللون من القبول يحمي المباح من أن يتحول إلى مركز الحياة. كما يحمي الزهد من أن يتحول إلى خصومة مع كل جميل.

وإذا تركت شيئاً مباحاً مدة، ضع لتركك مراجعة. هل ما زال السبب قائماً؟ هل حقق الترك مقصوده؟ هل نقلت كلفته إلى أهلك؟ ربما تستمر، وربما تعدل القدر، وربما تعود إليه بحد جديد. المراجعة لا تعني ضعف العزم؛ تعني أن الوسيلة بقيت خادمة للمقصد.

٦١ حق حاضر واحتياط مؤجل

يريد رجل أن يتصدق بمبلغ كبير ليطمئن إلى نقاء ماله. بجانبه فاتورة لعامل أنهى عمله ولم يُدفع أجره. يحسن أن يحب الصدقة؛ لكن الذي أمامه الآن حق لصاحب معلوم، لا مشروع نافلة ينتظر اختياره.

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال:

«أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً. فقال: كل. قال: إني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان.»^{٨٣}

٨٣ صحيح البخاري ١٩٦٨، كتاب الصوم، باب «من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفى له»، عن أبي جحيفة. القصة في التطوع

لا نأخذ من القصة قائمة واحدة لكل تزاحم، بل نرى أن كثرة الخير الذي تختاره لا تلغي الحق الذي لزمك. قد يكون الحق دينًا حل أجله، أو وقت عمل، أو نفقة لازمة، أو عناية بطفل لا يجد من يقوم مقامك. وفي الدين يختلف القادر المماطل عن المعسر؛ قال رسول الله ﷺ: «مَظْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ».^{٨٤}

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. [البقرة: ٢٨٠].^{٨٥} لا تسوِّ بين العجز الحقيقي وتقديم كمالياتك على حق صاحب المال.

هنا لا نسأل السؤال الذي في الفصل ٥٨: هل للقلق واقعة جديدة؟ نعرف في هذا الفصل أن الحق ثابت، وننظر في ترتيب ما سنفعل. الصدقة التي تختارها لا تقوم مقام رد مال صاحب معروف مع القدرة؛ والفصل ٤٠ يفصل صور المال

وحقوق الرب والنفس والأهل؛ لا تستنبط منها بمفردها مرتبة كل دين أو نفقة مزاحمة.

٨٤ صحيح البخاري ٢٤٠٠، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب «مطل الغني ظلم»، عن أبي هريرة. الاستشهاد مقصور على القادر المماطل؛ لا يحكم وحده على الدين المؤجل أو المتنازع عليه أو على إعسار لم يتحقق.

٨٥ القرآن الكريم، البقرة: ٢٨٠. استعمل صدر الآية في التفريق بين العجز الحقيقي والمماطلة مع القدرة؛ لا يحول الوعد إلى ادعاء قدرة عند مدين لا يملكها.

الغائب، وسيأتي الفصل ٦٧ بخطوات الإصلاح. وإذا تزامنت ديون ونفقات لازمة وحقوق شركاء فعلاً، فبيّنها لمن يملك علم ترتيبها، ولا تجعل هذا المثال العام فتوى في كل مزاحمة.

قد يضع أب كتاباً نافعاً جانباً حين يحتاج طفله إلى عناية لا يجدها إلا عنده. لم يهجر الخير؛ خرج من خير اختاره إلى حق حضر وقته. وبعض أكثر الاحتياطات بريئاً تؤجل عملاً لا يراه أحد، مثل الاعتذار وتسديد دين ومراجعة سجل. ميزان الورع يبدأ بما يلزم ثم يفتح أبواب النفل حيث تتسع لها اليد.

اكتب الحقوق التي تعرفها قبل أن تختار العمل الزائد: صاحب الحق، وموعده، وما تقدر عليه، وما يحتاج إلى تحقيق. ليست الورقة فتوى في ترتيب المتزاحمات، لكنها تمنع النسيان الانتقائي. قد تكتشف أن نزاعك ليس بين واجب ونافلة أصلاً، بل بين حق حل أجله ورغبة حسنة يمكن نقلها إلى وقت آخر. وقد تكتشف حقوقاً متعددة لا تحسن ترتيبها؛ عندها تكون الخطوة الصادقة جمع الصورة كاملة وسؤال من يملك العلم، لا اختيار ما يريح ضميرك أولاً.

ولا تقس حضور الحق بعلو صوت صاحبه. بعض الناس يطالب سريعاً، وبعضهم يسكت حياءً أو ضعفاً، والحق لا يصير أخف لأن صاحبه قليل الشكوى. راجع الأجور والمواعيد

والعهود التي قبلتها، لا قائمة الرسائل الملحّة فقط. وقد يكون أشد ما يحتاجه البيت عملاً متكرراً لا يراه أحد، في حين تجذبك مبادرة عامة يثني عليها الناس.

افصل بين أصل الحق وطريقة أدائه. قد يثبت الدين، لكن مواعده أو مقدار القسط محل تفاوض معتبر. وقد يلزمك الاعتذار، ولا يلزم أن يكون في مجلس يفضح صاحبه أو يزيد الضرر. السؤال الجيد لا يقول: هل أؤدي أم لا؟ بل: ما الذي ثبت، وما الطريق الذي يحفظ الحق بأقل ظلم جديد؟

وفي العمل قد يظهر هذا الترتيب في راتب أو أجر أو تعويض مصروفات. قبل أن تعلن مبادرة خيرية باسم المؤسسة، راجع الأجور المستحقة والمبالغ التي وعد أصحابها بموعد محدد. لا يحكم المثال كل حالة مالية معقدة، لكنه يكشف موضع السؤال: هل نستخدم عملاً اختياريًا لستر تأخير معلوم؟ وإذا كانت السيولة لا تكفي، فالصدق يبدأ بإظهار الصورة لأهل الصلاحية وطلب ترتيب الحقوق، لا بصناعة مظهر سخي أمام الجمهور.

وقد يكون الحق غير مالي. وعدت شريكك بتسليم جزء من العمل، ثم فتحت لنفسك مشروعاً تطوعياً جديداً لأن حماسه أجمل. أو خصصت مجلساً عاماً للناس، وبقي من في بيتك

ينتظر وقتًا التزمت به. لا يعني ذلك أن كل نفع عام مؤجل حتى ترضى كل رغبة خاصة؛ إنما يعني أن الالتزام المعلوم يدخل الحساب، وأنك لا تسمي الإخلال به ورعًا لأن البديل يحمل عنوانًا صالحًا.

وإذا لم تستطع الوفاء كاملاً، فلا تختف خلف الشعور بالذنب. تواصل بصدق، واذكر ما تستطيع، ولا تعد بموعد لا تملكه لتستريح من المكالمة. قد لا يقبل صاحب الحق ما تقترحه، وله أن يطالب بما له ضمن ما يثبته الحكم والنظام؛ لكن وضوحك يوقف إضافة كذب جديد إلى العجز. ثم وثق ما اتفقتما عليه كي لا تعود الذاكرة ساحة نزاع.

وقد لا يبدو تقديم الواجب جميلاً في عينك أول الأمر. كنت تريد صدقة تفرح بها، فإذا بك تسدد دينًا قديماً لا يمدحك عليه أحد. لكن صاحب المال حين يسترده يستعيد شيئاً من حقه ومن ثقته. تستطيع بعد ذلك أن تتصدق من سعة صحيحة، ويكون فرحك بالعطاء أصفى حين لا يقف خلفه إنسان ينتظر.

٦٢ هل يأمن الناس جانبك؟

يعرف رجل مصدر الطعام الذي يصل إلى بيته بدقة، ثم يسهل عليه أن يحمل عن غائب كلاً ما مبتوراً. تحرص امرأة على ألا تدخل في عقد مجهول، ثم تؤخر أجر من خدمها لأنها لا تريد فتح الحساب. حين تكون الحساسية في باب تختاره والبرود في حق لا تختاره، يحتاج الورع إلى مرآة أخرى.

قال رسول الله ﷺ:

«أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَكَذَّبَ هَذَا وَآكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».^{٨٦}

هذا وعيد يوقظ من ظلم؛ لا يبيح لنا الحكم على مآل شخص بعينه.

^{٨٦} صحيح مسلم ٢٥٨١، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، عن أبي هريرة، حديث المفلس. الوعيد عام في حقوق العباد المذكورة، وليس حكماً على شخص معين ولا تفصيلاً لطريقة رد كل مظلمة.

ليست الحقوق أموالاً فقط. صورة خاصة أرسلتها صديقة إليك، جهد زميل نُسب إليك في مشروع، خبر عن قريب نقلته بلا تثبت، وقت موظف أخذته على خلاف الاتفاق؛ قد لا يحمل شيء منها رقماً يسهل دفعه، ومع ذلك له أثر في الناس. إذا أثنى المعلم عليك وحدك في عمل مشترك، فاذكر من أنجز معك في المجلس نفسه. لا تنتظر أن يطلب صاحب الجهد اسمه أمام الجميع كي ترفعه عنه.

وعند الخطأ، اسأل من وقع عليه الأثر عما يفيد إصلاحه، مع حفظ قدر من الستر والخصوصية. قد يكون رد مال مباشراً، أو إزالة صورة، أو تصحيح نسبة، أو تغيير إجراء يسمح بتأخر أجور الناس. لا تفرض على المتضرر مسامحة عاجلة لأنك تريد أن تنام مرتاحاً، ولا تجعل إعلان اعتذارك أكبر من حاجته حتى يصبح مناسبة جديدة لصورتك.

ويتسع أثر الإنسان بقدر سلطته. كلمة عابرة من زميل ليست كالكلمة نفسها من مسؤول يملك التقييم أو الراتب. وتأخير يوم في ملف شخصي ليس كتأخير يتكرر في نظام أجور فريق كامل. اسأل لذلك عن الأثر المتراكم، لا عن نيتك في الواقعة المفردة فقط. قد لا تقصد الإضرار، لكن الإجراء الذي تعرف أنه يعيده يحتاج إلى إصلاح يتجاوز حسن القصد.

ضع منافذ يرى الناس منها حقوقهم قبل أن يضطروا إلى الخصومة: نسبة الأسماء في العمل، موعدًا واضحًا للدفع، طريقًا للاعتراض، وسجلًا لمن اطلع على البيانات. هذه ليست زينة إدارية منفصلة عن الورع؛ هي وسائل تكشف الخل مبكرًا وتقلل اعتماد الحق على شجاعة الأضعف. ويصدق النظام حين يأمن صاحب الحق عاقبة استعماله، ويعرف أن باب الاعتراض مفتوح له فعليًا.

واختبر الأمان في غيابك. هل يستطيع من يعمل معك أن يذكر خطأك من غير خوف من انتقام؟ هل تعود الأمانة إلى صاحبها ولو لم يسأل؟ هل تتغير الرواية حين يدخل صاحب السلطة إلى المجلس؟ الإجابات لا تمنحك حكمًا نهائيًا على قلبك، لكنها تقدم وقائع يمكن إصلاحها. الثقة ليست شهادة يكتبها المرء لنفسه؛ هي أثر يتكون من وفاء صغير متكرر. وقد يتطلب الإصلاح أن تتنازل عن فائدة حصلت لك من الخل: ثناء نُسب إليك وحدك، أو وقت وفره لك نظام غير عادل على حساب غيرك، أو معلومة رفعت موقعك على حساب صاحبها. لا يكفي أن تعد بعدم التكرار إذا بقي أثر المرة الماضية عندك. اسأل عن وسيلة الرد المناسبة، واستعن بالمختص حين تتصل المسألة بحقوق نظامية أو شرعية لا تحسن تقديرها.

تجلس جدة إلى مائدة الأسرة فتلاحظ أن الجميع يتجنب ذكر خطأ صغير حدث في المطبخ لأن رد أحدهم قاسٍ لا يُحتمل. قد يكون حريصًا على المال والطعام، لكن خوفهم منه صار أكبر من خوفهم من الخطأ نفسه. لا تعني الأمانة أن يتسامح في إتلاف متعمد، بل أن يسمع الواقعة كما وقعت، وأن يفرق بين قصد وخطأ، وأن يعرف أهل البيت أنهم يستطيعون قول الحقيقة أمامه. كيف سيصل إليه ما يلزم إصلاحه إن كان الاعتراف يهدد كرامة من ييوح؟

وفي فريق تطوعي يثبت المسؤول دقة المصروفات، ثم يسخر من المتطوع إذا سأل عن إجراء لا يفهمه. بعد مدة يتوقف الناس عن السؤال ويخفون الالتباس. هنا يضر لسانه المال الذي ظن أنه يحميه؛ لأن بيئة الأمانة تحتاج إلى إمكان الإخبار المبكر. جرب سؤال شخص قريب: هل تعرف أنك تستطيع إخباري بخطأ قبل أن يكبر؟ ثم استمع لما سيقوله، فقد تعلمك الإجابة عن أثر سلوكك أكثر مما يعلمك سجل الأشياء التي رفضت أخذها.

وعند سماع الشكوى، قاوم رغبة الدفاع السريع. أعد الواقعة كما فهمتها، وافصل بين ما تقره وما تحتاج إلى التحقق منه. قد تقول: «ثبت أن الأجر تأخر، وأراجع سبب التأخير اليوم». بهذه الجملة بدأت الحق ولم تدع علمًا كاملاً. أما تحويل

الحديث فوراً إلى حسن نيتك فيضع المتضرر أمام مهمة جديدة: أن يطمئنك قبل أن يصل إلى حقه.

ولا يكفي فتح الباب إذا كانت كلفة دخوله عالية. قد تكتب جهة أنها تستقبل الاعتراض، ثم يعرف العامل أن من يعترض يُحرم الفرص. هنا تختلف اللافتة عن الواقع. راقب ما يحدث بعد الشكوى: هل يُحمى صاحبها من الانتقام؟ هل يُخبر بما تم؟ هل يتغير الإجراء إذا ظهر الخل؟ هذه التفاصيل هي التي تبني الأمان.

وقد تكون أنت المتضرر في موضع آخر. تذكر حاجتك إلى من يسمعك حين تصبح صاحب سلطة. الخبرة بالألم لا تضمن العدل، لكنها تمنحك نافذة إن أبقيتها مفتوحة. اسأل: لو كنت في الطرف الآخر، فما المعلومة التي أحتاجها؟ وما المدة التي أحتملها؟ وما العبارة التي تحفظ كرامتي وأنا أطلب حقي؟ ومن تمام الرد أن تمنع تكرار السبب. رد مبلغ واحد واجب، لكن إصلاح النظام الذي آخر عشرات المبالغ واجب آخر بحسب قدرتك ومسؤوليتك. الاعتذار الفردي لا يغني عن تعديل الإجراء، وتعديل الإجراء لا يسقط حق من وقع عليه الأثر. حين يجتمع الرد والمنع، يشعر الناس أن كلامهم لم يكن مجرد تفريغ، بل صار باباً لعدل أوسع.

الفصل ٦١ رتّب الحق الثابت أمام نافلة الاختيار؛ وهذا الفصل يسأل عن اتساع بصرك إلى حقوق لم تجعلها أصلاً في حسابك. قبل أن تحصي ما تركت من شبهة، تأمل من حولك: هل قلّ خوفهم من لسانك ويدك وسلطتك؟ إذا كانت عبادتك تزيد أمنهم منك، بدأ الورع يظهر في المكان الذي يصعب تزيينه أمام الناس.

٦٣ ورع الصورة

قد يبدأ الورع قرارًا صادقًا، ثم يتحول من غير أن نشعر إلى صورة نخشى سقوطها.

يقول المرء مرة: لن أفعل هذا احتياطًا. ثم يعرفه الناس بهذا الاحتياط، فيصعب عليه أن يقول بعد زمن: استعجلت، أو بالغت، أو ظهر لي من العلم ما لم يكن ظاهرًا. لم يعد الذي يحرسه حكم المسألة وحده؛ صار يحرس الاسم الذي صنعتته المسألة له.

وهنا يكون الامتحان دقيقًا. فالتراجع عن التشدد غير المنضبط قد يكون هو الورع، والاعتراف بأن المسألة أوسع مما ظننا قد يكون أصدق من الدفاع عن موقف قديم. ليست السلامة في أن تبقى صورتك متماسكة، بل في أن يبقى قلبك قابلاً للحق.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.
[النجم: ٣٢].^{٨٧}

٨٧ القرآن الكريم، النجم: ٣٢. موضع الاسدلال كما في النص.

لا تنهانا الآية عن الخير، وإنما تقطع الطريق على تحويل
الخير إلى شهادة نصدرها لأنفسنا. فليس قولك: «أنا لا أقرب
من الشبهات» صكًا يبيح لك إهمال حق بين، ولا سمعة
الاحتياط عذرًا لتأخير دين، أو كتمان معلومة يحتاجها شريك،
أو تحميل أهلك ضيقًا لا دليل عليه.

اختبر ورعك بسؤالين:

- لو بان لي أن موقفي القديم لم يكن دقيقًا، هل أرجع بهدوء؟
- هل أنا أشد في المسائل التي يراني الناس فيها، أم في
الأمانات التي لا يرونها؟

من استطاع أن يصحح نفسه من غير أن يدافع عن صورته
فقد خرج من أسرها. ومن قدّم الحق الواجب على المظهر
المستحب عرف أن الورع ميزان، لا لقب.

جرب اليوم: اختر موقفًا اشتهرت به في محيطك، واسأل: لو
ظهرت حجة أقوى، أو حقٌّ أوضح، فهل أملك شجاعة
الرجوع؟ اكتب جملة واحدة تقولها عند التصحيح: «الذي ظهر
لي الآن أدق، والرجوع إلى الحق أولى».

٦٤ علم يضبط الخوف، ورحمة تحمل الحق

سألت أم عن شراء لعبة لابنتها، فقال لها قريب بلغة قاطعة: من كان فيه ورع تركها. لم يذكر سبباً في اللعبة نفسها، وإنما خشي عموم ما يصنع في الهواتف. خافت الأم ووجدت ابنتها نفسها متهمة لأنها أحبت شيئاً عادياً. قد تظهر في لعبة محددة مشكلة تستحق السؤال؛ لكن خوف الناصح لم يكف ليصير حكماً على كل لعبة وكل أسرة.

العلم يسأل أولاً: ما الشيء؟ ما الثابت من وصفه؟ ما حكمه في هذه الصورة؟ سبق في الفصل ١٦ باب الرجوع إلى أهل العلم. والرحمة تسأل بعده: كيف أبلغ ما علمت من غير أن أضيف اتهاماً أو أترك المتأثر وحده في حيرته؟ قال النبي ﷺ:

«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^{٨٨}.

٨٨ صحيح مسلم ٢٥٩٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». الحديث في فضل الرفق، ولا يغير الحكم السريع أو يجعل ترك البيان الواجب

لا يبدل الرفق حكمًا ثبت، لكنه يصون الإنسان الذي تحمله إليه.

وفي الجهة المقابلة قد تستحي من صديقك فتسمي ظلمه لموظف «ظرفًا صعبًا» وأنت تعرف أنه قادر على دفع أجره. الرحمة ليست محو الحدود. قل له ما يلزمه بقدر علمك، وساعده على طريق الوفاء؛ قوة نصيحتك في بلوغ الحق أهله، لا في مقدار ما تكشفه من عيبه. وإذا كانت تفاصيل حقه محل نزاع، فلا تحسمها بظن حسن ولا بسوء ظن.

ابدأ النصيحة بوصف يمكن التحقق منه، لا بصفة تلصقها بصاحبها. قل ما رأيت أو ما نقله المستند، وميز ما تعرفه مما استنتجته، ثم عيّن الأثر الذي تخشاه. هذا الترتيب يخفف احتمال أن يتحول خوفك إلى اتهام. وإذا نقصت معلومة مؤثرة، اطلبها قبل أن تبني عليها حكمًا أو تنشر تحذيرًا.

ثم قدّم الخطوة بقدر سلطتك. إن كنت صاحب حق فاطلبه بوضوح، وإن كنت وسيطًا فاعرف حدود الوساطة، وإن كنت ناصحًا فلا تتقمص دور القاضي. وربما كان أنفع ما تفعله أن تدل الطرفين على جهة مختصة، أو أن توقف نشرًا حتى

تتبين الصورة. الرحمة لا تعني أن تفعل كل شيء بنفسك؛ قد تكون في إحالة أمينة تمنعك من الظلم وأنت تريد الإصلاح. وانتبه إلى توقيت الكلام ومكانه. تصحيح موظف أمام من لا يحتاج إلى سماع الخطأ قد يضيف أدى لا تتطلبه المعالجة، كما أن ستر الخطأ في مجلس خاص لا يصلح إذا بقي أثره العام منتشرًا. اختر الدائرة التي وصل إليها الضرر والقدر الذي يصلحه، ولا توسعها لتثبت شجاعتك. وحين تحتاج إلى بيان عام، افصل الواقعة عن التشهير الزائد، واذكر التصحيح الذي يحتاجه من تأثر.

بعد النصيحة يأتي الحمل. من السهل أن تقول لصاحب الدين: أدِّ ما عليك، ثم تتركه مع فوضى لا يعرف كيف يبدأ فيها. تستطيع أن تعينه على جمع المبالغ والمواعيد أو على الوصول إلى صاحب العلم، من غير أن تعدده بإسقاط حق ولا أن تتولى ما لا تملك. الرحمة العملية تجعل طريق الحق ممكنًا، لكنها لا تبدل وجهته.

راجع النتيجة بعد زمن مناسب: هل وصل البيان؟ هل توقف الضرر؟ هل ظهرت معلومة تغير الصورة؟ المتابعة تمنعك من اعتبار مجرد قولك للنصيحة إكمالًا للمهمة. وقد يتبين أن عبارتك كانت قاسية أو ملتبسة؛ أصلحها من غير أن تتراجع

عن حق ثبت. وقد يتبين أن خوفك كان أوسع من الواقع؛ عندها يكون الرجوع الصريح من العلم والرحمة معًا.

حين تشتبه عليك مسألة فتسأل، وحين يأتيك قلق متكرر فترده إلى الثابت، وحين ترى اختلافًا معتبرًا فتحفظ سعته، وحين ينكشف حق إنسان فتعمل لإيصاله؛ يجتمع العلم والرحمة في فعل واحد. ليس مقصد هذا الباب أن تخاف من الورع. قصده أن يكون خوفك من الله موقوفًا عند ما علمت من أمره، وأن يأمن الناس من قسوة تصنعها باسم حرصك عليهم.

وفي زيارة عائلية تسأل خالة عن عادة جديدة عند أحفادها، فتسمع وصفًا مختصرًا يجعل الأمر يبدو أسوأ مما هو. قبل أن توبخهم تستفسر عن الشيء الذي يفعلونه فعلًا، والوقت الذي يأخذه، ومن يتأثر به. قد يظهر سبب واضح للنصيحة، وقد يتبين أن اسم العادة حملها إلى معنى آخر. لا تخسر هيبتها حين تقول: ظننت غير هذا. بل تتيح لهم أن يسمعوا نصيحتها المقبلة من غير أن ينتظروا حكمًا سبق السؤال.

وقد يحمل المتعلم علمًا صحيحًا فيضعه في موضع غير مناسب. يتحدث مع إنسان مثقل بدين ثابت، فيطالبه بمشاريع صدقة تطوعية بدل أن يعينه على ترتيب الوفاء. كل جملة

عن فضل الصدقة في نفسها حسنة، لكنها لا تجيب عن حاجته الأقرب. الرحمة هنا أن تعرف أي حق حاضر ينتظر، والعلم أن لا تحرك النصوص خارج سياقها لتسند ما تحب سماعه. لذلك لا ينفصل حسن القول عن جودة الإصغاء؛ فالناس لا يعيشون في مسائل مرتبة كما في الفهارس.

والرحمة تحمل الحق حين تراعي قدرة الإنسان على التطبيق. قد يعرف الحكم لكنه يحتاج إلى ترتيب دين، أو تصحيح عقد، أو طلب مساعدة. لا تحول البيان إلى مطالبة فورية بما يعجز عنه حقيقة، ولا تجعل العجز ذريعة لتترك البداية. قسم الطريق إلى حق حاضر وخطة لما بعده، واستعن بمن يعلم تفاصيل الحال.

وفي التعليم، قدم الأصل المطمئن قبل الاستثناء المخيف. عرّف المباح والواجب وطريق السؤال، ثم اذكر مواضع الحذر. من يبدأ دائماً بقائمة المحظورات قد يترك السامع بلا خريطة للحياة. العلم يرسم الطريق كما يضع الحواجز.

واختبر أثر تعلمك: هل صرت أقدر على التفريق، وأسرع إلى أداء الحقوق، وأرحم بمن يجهل؟ إذا زادت المصطلحات وبقي الخوف عامًا والقسوة حاضرة، فثمرة العلم لم تكتمل. ارجع

إلى مسألة واحدة، واضبطها، وطبقها بعدل؛ فالمعرفة التي تهدي خطوة خير من معلومات كثيرة لا تغير القرار.

لقد بدأ الباب بإعادة وضوء لا تنتهي، ومر بحقوق لا تؤدي لأن صاحبها اختار لنفسه باب احتياط أجمل منظرًا. اخرج منه بسؤالين قبل أن تمنع أو تأذن أو تنصح: ماذا ثبت؟ ومن سيتأثر بطريقة عملي بما ثبت؟ إن جهلت الأول فاسأل، وإن غاب عنك الثاني فتريث. ويبدأ الباب الأخير من هذه الوقفة، ثم يمضي إلى أعمال صغيرة يثبت بها الخلق يومًا بعد يوم.

الباب التاسع: تربية النفس على الورع

٦٥ المسافة بين الدافع والفعل

كادت أصابعك ترسل جوابًا حادًا، فتوقفت لأن اسم صاحبه ذكرك بعلاقة لا تريد كسرهما. وفي يوم آخر مدت يدك إلى موافقة على عقد، ثم رأيت سطرًا لا تفهم أثره. ليست الوقفة وعدًا بأن كل ما وراءها خطر؛ تمنحك مساحة لتعرف ما الذي توشك أن تفعله.

هذه المسافة صغيرة في الزمن، كبيرة في أثرها. الدافع يرى الشيء من زاوية واحدة: كلمة أوجعتك، مكسب ظهر أمامك، فرصة تخشى ضياعها. أما الوقفة فتعيد بقية الصورة: من سيقراً جوابك؟ ما الذي ستلتزم به؟ هل تملك الإذن؟ وهل يمكن إصلاح القرار إذا تبين خطؤه؟ لا تقتل الوقفة حرارة المبادرة، وإنما تمنع الحرارة من أن تختار وحدها.

ليست القرارات سواء. رسالة يمكن حذف مسودتها تختلف عن تحويل مال لا تعرف صاحبه، وتجربة مباحة يسهل الرجوع عنها تختلف عن نشر اتهام يبقى أثره بعد الاعتذار. كلما اتسع أثر الفعل، أو صعب ردّه، أو تعلق بحق غيرك، استحق مساحة أوسع بين الدافع والتنفيذ. أما الأعمال اليومية المعلومة فلا تجعلها رهينة طقس طويل من الفحص؛

المقصود أن يزداد التثبت بقدر الأثر، لا أن تصبح الحياة كلها غرفة انتظار.

يمكنك تقدير المسافة بثلاثة أسئلة: ماذا يحدث إن فعلت الآن؟ ماذا يحدث إن انتظرت إلى وقت معلوم؟ وأي الضررين أصعب ردًا؟ قد يكشف السؤال الثالث أن الحذف بعد النشر لا يمحو ما وصل إلى الناس، فيستحق المنشور مراجعة أهدأ. وقد يكشف أن تأخير التحذير عن عيب ظاهر يعرض غيرك لضرر، فتكون المبادرة هي الأمانة. لا تقدم التريث أو السرعة في ذاتيهما؛ قدّم الحق الذي يحفظه كل منهما.

إذا احتجت إلى الوقفة، سمّ غايتها وحدها. قل: أنتظر نسخة العقد المكتوبة، أو جواب صاحب الصلاحية، أو هدوء الغضب حتى الصباح. لا تقل: سأنتظر حتى تزول كل احتمالات الخطأ؛ فهذا وعد لا ينتهي. واجعل للوقفة موعدًا: ساعة، أو يومًا، أو التاريخ الذي تصل فيه المعلومة عادة. الموعد لا يصنع الحكم، لكنه يمنع التثبت من أن يتحول إلى إرجاء بلا صاحب.

وفي العمل الجماعي لا يكفي أن تتوقف وحدك ثم تترك الناس معلقين. أخبر من يتأثر بالقرار أنك تحتاج إلى معلومة محددة، ومن يطلبها، ومتى تعود إليهم. الشفافية هنا جزء من حفظ الحقوق؛ لأن الغموض قد يدفع آخرين إلى بناء التزامات

على موافقة لم تصدر أو رفض لم يثبت. وإذا لم تصل المعلومة في وقتها، حدث الموعد بدل الصمت.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. وقد فهمنا في الفصل ١٨ معنى «دع ما يريك» في موضعه. وقبل أسئلة القرار، استحضر من تطلب رضاه. أنت لا تكف يدك لأن أحدًا يراقبها فحسب؛ الله يعلم ما تخفي، وأنت ترجو لقاءه بقلب أصدق. وخوف فوات الرزق لا يبيح لك بابًا محرّمًا؛ اطلب رزقك من حله، وخذ بأسبابه، ولا تجعل استعجال المكسب أقوى من ثقتك بالله. حين يحضر هذا المعنى، تصير الوقفة طاعة تحملها المحبة والخشية، ويصير رد الحق رجوعًا إلى الله قبل أن يكون إجراء تنجزه.^{٨٩}

وقد يكشف السؤال أن المشكلة ليست في المعلومة، بل في حالك ساعة القرار. أنت غاضب، أو مبهور، أو خائف من خسارة قبول الناس. لا يلزم أن تجعل كل انفعال تهمة لنفسك، لكنه ليس أفضل وقت للقرارات التي تمس الحقوق. اكتب المسودة ولا ترسلها، اطلب عرضًا مكتوبًا بدل الموافقة

٨٩ السبت، «أعمال القلوب»، ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٥، في تنمية الورع بالخشية واليقين وتعظيم الله. الفقرة تحرير تربوي جديد، لا اقتباس حرفي ولا وعد بعوض دنيوي.

الشفهية، أو أخبر الطرف الآخر أنك ستعود إليه في وقت معلوم. تأجيل قصير معلن أصدق من موافقة متعجلة يعقبها تنصل.

وفي المقابل، هناك حقوق يفسدها الانتظار. أجر حل مواعده، أو معلومة يتوقف عليها قرار شريك، أو خطأ نشرته ويستمر ضرره؛ هذه لا تحتاج إلى مسافة تتخذها النفس ستارًا. المسافة هنا بين معرفتك بالحق وبدء أدائه، لا بينك وبين مزيد من الأعذار. الورع لا يقيس جودة القرار بطول التفكير، بل بمقدار ما جمع من علم وعدل ثم أنجز.

وقد تخبئ المماطلة في صورة حرص جميل. تراجع الرسالة للمرة السادسة لا لأن معنى جديدًا ظهر، بل لأنك تخشى رد الطرف الآخر. تطلب رأيًا خامسًا بعد اتفاق الآراء، أو تؤجل إخبار الشريك حتى تجد صياغة لا تغضبه أبدًا. اسأل هنا: ما المعلومة التي أضافتها المراجعة الأخيرة؟ إن لم تجد، فقد يكون الواجب أن تنتقل من تحسين القرار إلى تحمّل تبعته بأدب.

تصل في آخر النهار رسالة من صديق طال غيابه، وفيها عتاب حاد. قراءتها وأنت منهك قد تجعل ردك يدافع عن نفسك قبل أن يفهم شكواه. تستطيع أن تؤخر الجواب إلى وقت معلوم،

وَأَنْ تَكْتُبَ لَهُ: قَرَأْتُ رِسَالَتَكَ، وَسَأَعُودُ إِلَيْكَ غَدًا حِينَ أُسْتَطِيعُ أَنْ أَصْغِي جَيِّدًا. لَا تَجْعَلِ الْإِنْتَظَارَ عَقُوبَةً صَامِتَةً، وَلَا تَرْسِلْ وَعْدًا ثُمَّ تَنْسَاهُ. الْوَقْفَةُ هُنَا لَا تَبْحَثُ عَنْ شَبْهَةِ فَهْمِيَّةٍ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ؛ تَحْفَظُ عِلَاقَةً مِنْ أَثَرِ انْفِعَالٍ عَابِرٍ.

رَبِمَا قَرَأْتَ مَسُودَةً غَضِبَكَ فِي الصَّبَاحِ فَحَمَدْتَ اللَّهَ أَنَّكَ لَمْ تَرْسِلَهَا. لَمْ تَتَغَيَّرِ حَقُوقُكَ، وَلَمْ يَصْبِحِ الْخَطَأُ الَّذِي آلَمَكَ صَوَابًا، لَكِنَّكَ صَرْتَ أَقْدَرَ عَلَى أَنْ تَطْلُبَ حَقَّكَ دُونَ أَنْ تَجْرَحَ مَا تُحِبُّ. لِهَذِهِ اللَّحْظَاتِ الصَّغِيرَةِ أَثَرٌ لَا تَرَاهُ شَاشَةُ الْهَاتِفِ: عِلَاقَةٌ بَقِي لَهَا بَابٌ، وَكَلِمَةٌ أَمَكُنْ أَنْ تَعُودَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَحْمِلَهَا غَيْرُكَ فِي صَدْرِهِ.

٦٦ سؤال قبل أن تتعلق اليد

يعرض عليك صديق آلة قديمة في بيت أسرته، فتفرح بها وتفكر في مكانها عندك. يقول إنها لا تستعمل، ثم تتبين في حديثه أنها لأخيه المسافر. أيسر سؤال يأتي قبل حملها: هل أذن صاحبها؟

تقدم في الفصل ١٦ كيف تصوغ السؤال حين تحتاج إلى حكم. هنا تمرين في توقيت السؤال: قبل أن تتعلق النفس بالشيء ويصبح الرجوع عنه شاقاً. لا تسأل عن كل كوب يقدم لك أو عن كل هدية معتادة بلا قرينة؛ لكن حين تظهر ملكية شخص آخر أو شرط مؤثر في عقد، عيّن المجهول واسأل عنه ممن يملك الجواب.

للتعلق صور كثيرة. قد يتعلق القلب بالشيء لأنه جميل، أو لأنك أعلنت للناس أنك ستحصل عليه، أو لأنك رتبت خططك على دخله قبل أن تعرف طريقه. وكلما بنيت فوق الاحتمال طبقات من التوقع صار سؤال واحد يبدو تهديداً لمشروع كامل. لذلك يكون السؤال المبكر رحمة بالنفس أيضاً؛ فهو يمنعها من أن تجعل الجواب الصحيح خسارة شخصية.

سمّ نوع السؤال قبل أن تسأله. أهو سؤال ملكية: لمن هذا؟ أم سؤال إذن: هل رضي صاحبه بهذا الاستعمال؟ أم سؤال صلاحية: هل يملك الموظف أن يعد بهذا التخفيض؟ أم سؤال شرط: ما الذي التزمنا به في الاتفاق؟ تحديد النوع يمنعك من سؤال الشخص الخطأ. قد يعرف صديقك مكان الآلة، لكنه لا يملكها. وقد ينقل لك الموظف إجراءً معتاداً، لكنه لا يملك تغيير العقد. حسن العلاقة لا ينقل السلطة من صاحبها إلى غيره.

قد تستحي من إبطاء صاحب العرض. تستطيع أن تشكره وتقول إن الانتظار يحفظ الود بينكم جميعاً. إذا بان الإذن خذ شاكرًا، ولا تُعد السؤال كل مساء لأن القلق عاد. وإذا لم يكن إذن، أعد الشيء إن وصل إليك، ولا تبرر بفرحتك الأولى. حسن القصد لا يعطي ما في يد الصديق حكم ملكه.

وقد يأتي الجواب ناقصًا: «لا أظن أنه يمانع»، أو «كل الناس يفعلون ذلك». لا تحول النقص إلى اتهام، ولا تحوله إلى إذن. قل بلطف: أحتاج إلى جواب صاحب الحق، أو إلى البند المكتوب، أو إلى من يملك الصلاحية. إن كان الوصول سهلاً فانتظر. وإن كانت الصورة معقدة أو ترتبت عليها أحكام لا تعرفها، فاجمع تفاصيلها واسأل من يختص بها؛ لا تنتزع من عبارة عامة ترخيصًا لواقعة لم تُعرض كاملة.

وللسؤال أدب يحفظ الخصوصية. لا تنشر صورة العقد في مجموعة واسعة لأنك تريد رأيًا سريعًا، ولا تذكر اسم صاحب الواقعة إذا كان فهم المسألة لا يحتاجه. ابدأ بأقل قدر يكفي لتعيين الحكم أو الحق، ثم زد ما يطلبه المختص. قد يكون من الورع أن تسأل، ومن الورع نفسه أن تعرف لمن تعرض السؤال وما الذي تستره فيه.

إذا كان الجواب «لا»، فراقب الجملة التي تقولها لنفسك. لا تقل: ضاعت مني فرصة كانت لي؛ لم تكن لك بعد. وإذا كان الجواب «نعم»، فلا تجعل نجاح المرة سببًا لإلغاء السؤال في المرات اللاحقة حين تتغير الملكية أو الشروط. التدريب لا يصنع شكًا دائمًا، بل عادة واضحة: قرينة معتبرة، سؤال محدد، جواب من صاحبه، ثم حركة بلا استرسال.

في المال والهدية والعمولة سبق تفصيل صور متعددة؛ ليس لهذا الفصل أن يكررها. وظيفته أن يتدخل في اللحظة التي تريد فيها النفس أولاً أن تقبض ثم تبحث عن الجواب. سيكون قلبك أخف وأنت تسأل والشيء خارج يدك، وقرارك أسهل حين تعلم لمن يعود.

وفي نادٍ رياضي صغير يعرض عضو أن يضع جهاز النادي عندك لتستعمله أسبوعًا، لأنه رأى مكان التخزين ممتلئًا. تفرح

بالعرض، ثم تتذكر أن العضو لا يدير عهدة الأجهزة. يمكنك أن تطلب منه أن يصل سؤالك إلى المسؤول، أو أن ترجع إلى سياسة الاستعارة المعلنة. لو جاء الإذن، استعملته وأعدته في موعده من غير ظلال؛ ولو لم يأت، حافظت على صداقتك معه من عبء وعد لم يكن له أن يقطعه.

والسؤال قبل أن تتعلق اليد لا يقتصر على المال. قبل أن تقبل ملفًا أو سرًا أو منصبًا، اعرف ما الذي سيصبح في عهدتك. بعض الناس يسأل عن الميزة ثم يكتشف الواجب بعد القبول. الأمانة أن ترى الوجهين في وقت يسمح بالاعتذار أو التفاوض.

اكتب ثلاثة أسطر قبل الالتزام: ماذا سأخذ؟ ماذا سأؤدي؟ وكيف أخرج إن تغيرت القدرة؟ في الشراكة يوضح الربح والعمل، وفي التطوع يوضح الوقت والصلاحية، وفي حفظ البيانات يوضح الغرض وموعد الحذف. هذه الأسطر لا تمنع الثقة؛ تحميها من توقعات لم تُقل.

وإذا استعجل الطرف الآخر جوابك، فاطلب مهلة تناسب حجم الأمانة. الفرصة التي لا تحتل سؤالاً أساسيًا تستحق مزيدًا من الحذر. لكن لا تجعل طلب المهلة عادة للهروب من كل قرار؛ حدد ما ستراجعته ومتى تجيب.

وقد يكون الجواب بعد السؤال قبولاً كاملاً. لا تظن أن الورع لا يظهر إلا في الاعتذار. قبول المسؤولية على بينة، ثم الوفاء بها، عبادة وأمانة. اليد التي عرفت قبل أن تمتد ما لها وما عليها أقدر على الثبات حين تأتي الكلفة.

٦٧ ابدأ برد الحق

يُمر أسبوع وأنت تعرف أن لفلان في ذمتك مبلغًا. لم تنسه؛
تؤخر الاتصال لأنك تتخيل نظرة العتاب. قال النبي ﷺ:

«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ
الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ
أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ
سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».^{٩٠}

لا تعني المبادرة أن تختار وسيلة تضر أكثر، بل أن تكف عن
جعل الحرج خطة للتأجيل.

إذا عرفت صاحب المال وقدرت على إيصال حقه، فابدأ به.
وسئل ابن باز:

«حق الآدمي يلزم أنه يخبر أو يرسل مالا لشخص يخشى
من الإحراج منه، ألف ريال؟ هل يلزم أن يقول إنه أخذها
وسرقها؟ أو يرسل شخصًا يقول: من شخص مجهول؟».

٩٠ صحيح البخاري ٢٤٤٩، كتاب المظالم، باب «من كانت له مظلمة عند الرجل
فحللها له هل يبين مظلمته»، عن أبي هريرة. أصل المبادرة إلى رفع المظلمة؛ لا
يفصل وحده جميع طرائق التحلل المالي ومظالم الأعراض. أبقى سؤال الصورة
الخاصة.

فأجاب:

«يعطيه إياها إن أمكن، وإن ما أمكن وخاف من التَّبَعَة
يرسلها إليه من ثقة يقول: هذه لك من إنسان يرى أن لك
حقًا عليه وهذا حقك عليه، ولا يبيِّنُه؛ حتى لا يقع شيء بينه
وبينه».

«س: وإذا كان والده -أحسن الله إليك- قد أخذ منه؟

ج: صاحبه أو والده وإلا غيره، يرسلها مع ثقة ويسلمها له ولا
يعلمه مَنْ، ويقول: هذا إنسان ذكر أن لك عليه حقًا، وهذا
حقكم عليه أرسلني به».^{٩١}

هذه وسيلة في صورتها المالية، ولا تختصر بها علاج اعتداء
على عرض أو إخفاء بينة أو حق يحتاج صاحبه إلى معرفة ما
وقع ليحمله.

وسئل ابن باز عن مال اكتسب بغير حق ومات أهله، فكان
جوابه:

٩١ عبد العزيز بن باز، «حكم من أخذ ما ليس له وتخرج في إرجاعه». قاصر على
السؤال المالي؛ لا يعمم على الأعراض أو الأدلة أو التبعات الجنائية والقضائية.
الموقع الرسمي، صفحة ٢١٤١٩.

«الواجب عليك أن ترد المال لورثة الميت إذا كان له ورثة؛ أما إذا كان ليس له ورثة، أو لا تعرفهم، فإنك تتصدق به على الفقراء عن أهله من دون أن تخبرهم بمصدر المال، وتبرأ الذمة مع التوبة، والحمد لله».^{٩٢}

وفاة المالك لا تجعل المال مباحاً لمن عنده؛ يبقى النظر في أصحاب الحق بعده. وإن جهلت صاحب الحق أو تعذر الوصول بعد بحث يناسب الواقعة، فاسأل أهل العلم عن التصرف في المال المحدد؛ من صورته فتوى بضاعة تعذر الوصول إلى صاحبها وفيها الصدقة عنها على تفصيلها.^{٩٣} لا تجعل صعوبة مكاملة واحدة تعذراً، ولا تجعل استحالة يقين كامل سبباً لحبس المال إلى الأبد.

ماذا لو ظهر صاحبه بعد صدقة أخرجتها عنه؟ سبق في الفصل ٤٠ تفصيل حقه في الصورة المنقولة. اذكر له ما فعلت بلا ضغط كي يجيز الصدقة، واسأل عن الضمان في واقعك

٩٢ عبد العزيز بن باز، «رد المال لورثة الميت»؛ منشور في مجلة الدعوة، العدد ١٦٤٥، ومجموع فتاوى ومقالات الشيخ ٢٠/٢١٨ بحسب إحالة الموقع. لا تفصيل هنا لمسألة ظهور المالك أو الوارث بعد الصدقة. الموقع الرسمي، صفحة ١٩٢١٢.

٩٣ إسلام ويب، فتوى ٣٦٥٤٤٠، «كيف يتصرف من عنده ممتلكات لم يستطع الوصول إلى صاحبها وقد استخدم بعضها»، ٢٨ نوفمبر ٢٠١٧. لا تحدد مدة عامة للبحث، ولا تعالج ظهور المالك بعد الصدقة.

إن تغيرت معطياتها. لا تأخذ من فتوى في رهن غاب صاحبه أو بضاعة تُركت عند غير مالکها علاجاً جاهزاً لمال أخذته عمداً من شخص معروف.

المبادرة لا تعني الارتجال. قبل أن تدفع مائلاً، تحقق من الشخص والطريق والمقدار، واحتفظ بما يثبت الوصول إذا كانت الواقعة تحتاجه. قد يدفعك الحرج إلى إرسال المبلغ في حساب قديم أو إلى وسيط لا تعرف أمانته، ثم تعد الإرسال أداءً. أداء الحق يقاس بوصوله إلى مستحقه على وجه معتبر، لا بسرعة اختفاء المبلغ من أمامك.

وإذا كنت عاجزاً عن الأداء الكامل الآن، فلا تجعل العجز الجزئي ذريعة إلى الصمت الكامل. افصل بين ما تقدر عليه وما لا تقدر. بين لصاحب الحق قدر استطاعتك بصدق، وابدأ بما يمكنك، ولا تعد بموعد تعلم أنك لن تبلغه. قد يحتاج ترتيب الأقساط أو آثار التأخر إلى اتفاق أو سؤال مختص بحسب الواقعة؛ لكن صدق البيان المبكر يمنع ظلماً جديداً ينشأ من مفاجأة صاحب الحق.

وقد تتزاحم حقوق في ذمتك. لا ترتبها بحسب من تخشاه أكثر أو من يستطيع إحراجك أمام الناس. اكتب أصحاب الحقوق ومقاديرها ومواعيدها وما يترتب على التأخر،

واطلب توجيهًا مختصًا إذا احتجت إلى معرفة ترتيب شرعي أو نظامي. وظيفة السجل أن يكشف الواقع، لا أن يصنع حكمًا من عندك. حين ترى الصورة مكتوبة يقل ميل النفس إلى اختيار الحق الأسهل وترك الأثقل.

ومن رد الحق ألا تعيد السبب الذي أنشأه. إذا كانت المشكلة صلاحية مفتوحة في حساب مشترك، فأغلقها بعد التصحيح. وإذا كان التأخر يتكرر لأن الأجور بلا موعد واضح، فغيّر الإجراء. وإذا نسبت عمل فريق إلى نفسك، فصحح النسبة، ثم اجعل أسماء المساهمين جزءًا ثابتًا من التسليم المقبل. إصلاح الحادثة مع إبقاء سببها يترك بابًا لتكرار الأذى.

خذ ورقة واحدة: الحق، صاحبه، ومقداره، وما أديت، وما بقي مجهولًا. أوقف الانتفاع الذي يجدد المظلمة، ثم اختر طريق وصول أمينًا وتحقق من وصوله لا من مجرد إرسال رسالة. إذا كان الأداء على دفعات، فاتفق على موعد تستطيع غالبًا الوفاء به، وأطلع صاحب الحق على تعثر جديد قبل أن يفاجأ به. لا يغني تنظيم السجل عن الحق؛ يساعدك فقط ألا تضعه مرة ثانية.

ولا تجعل طلب المسامحة وسيلة لنقل العبء إلى المتضرر. قد تقول له كلامًا طويلاً حتى يضطر إلى تهدئتك، بينما

حاجته أن تعيد المال أو توقف النشر أو تصلح البيان. ابدأ بما تستطيع إصلاحه قبل أن تطلب منه كلمة تريحك. وإن احتاج الاعتذار إلى شرح، فاجعله صادقاً موجزاً لا يبرر الفعل ولا يطالب الطرف الآخر برد عاطفي سريع.

وفي الأذى غير المالي تختلف المعالجة: قد يحتاج المتضرر إلى تصحيح منشور في موضعه، أو حذف صورة، أو اعتذار، أو وقف نظام أعاد الضرر على غيره. لا تفرض عليه عرضاً علنياً لأنك ترغب في أن يشاهد الناس توبتك. اسأل عما ينفعه، واستعن بمختص حين يكون الإقرار أو الإجراء ذا أثر حقوقي لا تحسن تقديره. سرعة البدء وصدق البيان وإيصال الحق هي ما تملكه الآن، أما طريق الإصلاح التفصيلي فيتبع صورة الظلم.

وإذا جهلت المقدار، اجمع السجلات واسأل من يحسن التقدير، واحتط بما لا ينشئ ظلماً جديداً. وإذا جهلت صاحب، ابحث بقدر الاستطاعة واحفظ المال منفصلاً حتى يتبين طريقه. الصور تختلف، ولذلك لا يغني حكم عام عن سؤال على الواقعة.

٦٨ عمل واحد له اسم

تقول لنفسك في مساء متحمس: سأراجع كل مالي وكلامي وعلاقاتي، ثم يمر أسبوع وقد ثقل الوعد الكبير فلم يبدأ منه شيء. اختر مسألة واحدة موجودة حقًا، لا شبهة تصنعها لتشعر أنك تعمل.

قد تكون عمولة لا تعرف سبب استحقاقها، أو حسابًا مشتركًا بقيت فيه صلاحية لم تُغلق، أو مجلسًا تنقل منه خبرًا قبل التثبت. سمّ الواقعة والمعلومة الناقصة، ثم اختر عملًا: وثيقة تطلبها، أو سؤالًا تعرضه بتفاصيله، أو حقًا تؤديه. لا تجعل كل ذلك مشروعًا ضخمًا بلا نهاية. إذا تبين أن الأمر مباح، فامض شاكرًا. وإذا ظهر منع أو حق، فخذ خطوة واضحة لإصلاحه. وإذا لم تكن هناك قرينة معتبرة، فلا تُدرّب قلبك على صناعة الريبة.

الاسم الجيد يصف الفعل، ولا يحكم على صاحبه حكمًا شاملاً. قل: «أتحقق من سبب هذه الدفعة»، ولا تقل: «أنظف مالي كله من الفساد» قبل أن تعرف وجود الفساد. وقل: «أصح نسبة هذا التقرير إلى الفريق»، بدل أن تحول خطأ محددًا إلى إعلان أنك لا تؤتمن على شيء. التسمية الدقيقة لا تهوّن الخطأ؛ تمنع الخجل من أن يبيلع قدرتك على إصلاحه.

اكتب للعمل بطاقة صغيرة من ست خانات: الواقعة، وصاحب الحق، وما تعرفه، وما ينقصك، والخطوة التالية، وعلامة الإغلاق. لا تحتاج إلى نموذج رسمي؛ يكفي سطر في دفتر لا يطلع عليه إلا من يلزم. إذا كانت المسألة خاصة، فاحفظ من المعلومات أقل قدر يحقق المتابعة. الغرض أن ترى الطريق، لا أن تنشئ أرشيفًا جديدًا لأسرار الناس.

وعلامة الإغلاق مهمة بقدر خطوة البداية. قد تكون وصول المبلغ إلى صاحبه، أو صدور جواب ممن يملك الإذن، أو حذف الصلاحية الزائدة، أو تصحيح البيان في الموضع الذي نشر فيه. أما «حتى أشعر أن كل شيء صار كاملاً» فليست علامة يمكن التحقق منها. ربما يأتي الهدوء بعد العمل، وربما يتأخر؛ الإغلاق يتبع ما ثبت من حق وإجراء، لا مقدار الراحة العاطفية وحدها.

لنفترض أنك تراجع حساب مكتبة صغيرة تشارك في إدارتها. وجدت اشتراكًا يُخصم كل شهر ولا تعرف من أجازه. اسأل من المسؤول، راجع الاتفاق، ثم أوقف ما يلزم أو أثبت الإذن. لا تفتش بعد ذلك في كل فاتورة منذ تأسيس المكتبة لمجرد أن القلق بقي؛ المعلومة الجديدة هي التي تفتح سؤالًا جديدًا. ومن الحكمة أن تجعل المراجعة الدورية جزءًا من النظام حتى لا يعود الإشكال نفسه.

وقد تكون نتيجة المراجعة أن لا مشكلة. هذه نتيجة نافعة وليست أسبوعاً ضائعاً. احفظ سبب الاطمئنان باختصار، ثم أغلق الملف. من أخطاء التربية أن نكافئ النفس فقط حين تجد خطأ؛ فتتعلم أن تصنع الشبهة لتشعر أنها تعمل. العلم الذي يثبت الإباحة أو الإذن يحرر وقتك لواجب آخر.

وإذا كشفت المراجعة مشكلة أكبر من عمل واحد، فلا تعد إلى الوعد الفضفاض. قسّمها بحسب الحقوق لا بحسب ما يريحك: أوقف الضرر الجاري أولاً، ثم عيّن ما يحتاج ردّاً، ثم أصلح السبب الذي يعيد المشكلة. لا تجعل التقسيم وسيلة لإخفاء المسؤولية في عشر قوائم؛ ينبغي أن يبقى لكل جزء صاحب وموعد وصلة واضحة بالحق الأصلي.

في فريق صغير قد تكتشف أن الملفات الحساسة متاحة لأشخاص لا يحتاجونها. العمل الأول ليس «إصلاح ثقافة الخصوصية» كلها؛ أغلق الصلاحية غير اللازمة بعد التحقق ممن يحتاج الوصول، وأخبر المسؤول، ثم سجل مراجعة دورية للصلاحيات. هكذا يجمع الاسم الواحد بين إيقاف الخلل ومنع عودته، من غير أن يدعي حل كل مسائل الخصوصية في يوم.

وقد يكون العمل محادثة لا وثيقة. وعدت شخصًا بنتيجة، ثم عرفت أن الموعد لن يتحقق. سَمَّ الفعل: «أخبره اليوم بالتأخر والموعد الواقعي». لا تنتظر إعداد خطة مثالية للمشروع كله قبل أن تؤدي حقه في المعرفة. وضوح المهمة يعينك على اختيار أول ما يجب فعله، ثم يترك تحسين النظام لخطوته التالية.

راجع بعد أسبوع لا لتفتش عن ذنب جديد، بل لتتعلم من التنفيذ. هل كان الاسم دقيقًا؟ هل وصلت إلى صاحب القرار الصحيح؟ هل أغلقت العمل بالدليل الذي حددته؟ وهل بقي سبب يعيد المشكلة؟ إذا فشل الإجراء، عدّل الإجراء نفسه بدل أن تعاقب قلبك بخطاب عام. التربية النافعة تحول الخبرة إلى عادة أصدق، لا إلى وصف دائم للنفس بالتقصير.

تختار إحدى القارئات هذا الأسبوع أن تضبط شيئًا يتعلق بوقتها: وعدت أمها باتصال أسبوعي، ثم اعتادت تأجيله حتى ينتهي اليوم. تضع موعدًا يناسبهما، وتتصل، وتسال الأم إن كانت تفضل وقتًا آخر. ليست هذه المهمة أقرب إلى الورع من أداء دين ثابت عند من له دين؛ لكنها مثال على أن العمل الذي تختاره يحتاج شاهدًا من الواقع، لا عنوانًا واسعًا مثل «سأكون بارّة». وقد يكون الإصلاح بعدها أن تسمع الأم أكثر مما تتكلم، لا أن تضيف عدد المكالمات فحسب.

٦٩ خَفَّفْ مَا يَدْخُلُ قَلْبَكَ

فتحت هاتفك لتعرف موعدًا يخص أسرتك، وبعد نصف ساعة كنت تعرف تفاصيل خلاف لا صلة لك به، وأسماء أشخاص لم تلتقهم، وتعليقات تؤذي من غاب. لم تقصد كل هذا حين فتحت الشاشة. لكن الباب إذا بقي مفتوحًا قاد العين والقلب إلى أبواب غيره.

ما يدخل القلب لا يبقى مادة محايدة دائمًا. خبر ناقص قد يصنع موقفًا من إنسان، وصورة متكررة قد تجعل المقارنة عادة، ومقطع غضب يتلوه آخر قد يترك اللسان مستعدًا للحدة في البيت. لا يعني ذلك أن كل ما تراه يفسدك، ولا أن العزلة هي العلاج. معناه أن الاختيار يبدأ قبل لحظة التعليق والمشاركة؛ يبدأ من الطريق الذي أوصلك إلى المادة مرارًا.

هناك فرق بين أن تصل إليك معلومة في طريق حاجة، وبين أن تبني لنفسك طريقًا دائمًا إلى فضول الناس. وقد تحتاج بحكم عملك إلى متابعة أخبار أو شكاوى أو نزاعات. عندها لا يكفي شعار «لا أريد أن أعرف»؛ ضع حدود المهنة: ما الذي يلزمك، ومن أي مصدر، وأين تحفظه، ومتى ينتهي حقك في الاطلاع؟ كثرة الوصول لا تحول المعلومة الخاصة إلى ملك شخصي.

سبق في الفصل ٤١ أن الخبر المؤثر يحتاج تثبتًا، وفي الفصل ٤٣ أن خصوصية الناس لا تصير مشاعًا لأنها ظهرت أمامك. هنا عمل آخر: تقليل التعرض الذي يغريك بالتتبع أصلًا. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]. ليس كل اطلاع تجسسًا، لكن فضولًا يتجه عمدًا إلى أسرار الناس يحمل سؤالًا عن حدّه وحقّ صاحبه. ويكون لبعض الأخبار حاجة: سلامة، أو حق، أو قرار يتأثر به بيتك. خذها من مصدرها ثم اخرج. قد يعرض عليك عنوان ألمًا بعيدًا مرة بعد مرة؛ تشعر أنك إن تركت المتابعة قصرت في الرحمة. انظر إلى ما تقدر عليه: دعاء واع، أو مساعدة نافعة، أو فهم من مصدر أمين. إذا لم يزد التكرار إلا إنهاكك، فحدّ تعرضك له دون أن تزعم أن همّ الناس انتهى. ليست كثرة مشاهدة المصيبة بديلًا عن عون ممكن.

والغضب باب آخر. قد تتابع حسابًا لأنه يكشف خطأ حقيقيًا، ثم تكتشف أن يومك كله صار انتظارًا لخطأ جديد. اسأل عن الثمرة: هل ازدادت معرفتك التي تحتاجها، أم ازدادت قدرتك على الازدراء؟ النقد النافع يعيّن قولًا أو فعلًا ودليلاً، أما التغذية المستمرة على السخرية فتضعف عدلك حتى مع من يستحق التصحيح. خذ حاجتك من البيان، ولا تجعل خصومة غيرك بيتًا دائمًا لقلبك.

كذلك المحتوى المباح قد يملأ السعة كلها. مراجعات شراء، وأخبار أدوات، ومقاطع ترفيه؛ لا يحمل كل واحد منها مشكلة منفردة، لكن اجتماعها قد يجعل النفس في طلب لا يهدأ. التخفيف هنا ليس حكمًا بتحريمها، بل إدارة لما يفعل التكرار برغباتك ووقتك. اسأل: ما الذي قصدت دخوله؟ وما الذي دخل لأن المنصة اختاره بعده؟

ابدأ بحاجز واحد يمكن قياسه. اختر إشعارًا واحدًا، أو نافذة زمنية واحدة، أو حسابًا يكرر عليك ما لا تحتاجه. جرّب أسبوعًا، ثم انظر إلى أثره في الصلاة والحديث مع الأهل وإنجاز العمل وهدوء اللسان. إن لم يتغير شيء فلا تصنع بطولة من الإجراء؛ ابحث عن المدخل الفعلي. وإن ظهر نفع فثبته بلطف، ولا تملأ الفراغ فورًا بأداة تؤدي الوظيفة نفسها باسم جديد.

وفي البيت لا تجعل خطتك الخاصة قانونًا مفاجئًا على الجميع. قد يحتاج ابنك إلى أداة للدراسة، ويحتاج زوجك إلى متابعة تخصص عمله. اتفقوا على مواضع مشتركة واضحة، مثل وقت مائدة بلا هواتف أو عدم نقل صور الأسرة بغير إذن، واترك لكل بالغ مساحته المشروعة. الورع الذي يحرس الخصوصية لا يبدأ بالتجسس على أجهزة من نحب.

الوقت الذي يخلو بعد تقليل الفضول يحتاج بابًا آخر: حديثًا حاضرًا مع الأهل، وقراءة تنفع، وراحة مباحة. إن لم تعطه موضعًا يعود إليه، رجع إلى النافذة القديمة طلبًا لأي شيء يملأه. الورع يحرس ما يخرج من اللسان وما يدخل إلى القلب كذلك.

لا يقف أثر ما تقرأه عند الخبر السيئ. قد تتابع صور بيوت جميلة حتى تصير مائدتك العادية باهتة في عينك، أو تراقب نجاحات الآخرين حتى تخجل من خطوة أنجزتها بصعوبة. تستطيع أن تحب الجمال وتتعلم من الناس، ثم تلاحظ متى تحول النظر المتصل إلى مقارنة تستنزفك. ربما يكفيك أن تخرج من حسابات لا تضيف علمًا أو صلة، وأن تسأل نفسك ما الشيء الذي خرجت لتبحث عنه أول مرة.

وقلة المداخل لا تعني العزلة عن الواقع. اختر أبوابًا تعرف غرضها: وقتًا للأخبار، ومصدرًا للتعلم، ومجلسًا للصداقة، ومساحة للراحة. حين يختلط كل شيء في شاشة واحدة، يصعب على القلب أن يعرف لماذا فتحها ومتى يغلقها. تسمية الغرض تجعل النهاية ممكنة.

ربما عدت من الهاتف إلى المائدة فرأيت وجهًا تعرفه، لكنك لم تصغ إليه منذ أيام. ما زال في العالم خبر كثير، وفي بيتك

حديث صغير يستحق حضورك. أعط كل باب قدره، واترك
لقلبك وقتًا يعيش فيه ما بين يديه؛ فبعض ما افتقدته لم يكن
بعيدًا، وإنما غاب عن انتباهك.

٧٠ صاحبًا يقول لك الحقيقة

أرسلت لصديقك وصف فرصة مالية أعجبتك. كان يسعه أن يهنئك فقط. سأل: من يملك الإذن بهذا المبلغ؟ أثقل السؤال عليك ساعة، ثم أنقذك من توقيع لا تعرف حد صلاحيتك فيه. وفي مرة أخرى قد يرى صديقك أنك تشددت على نفسك بلا علم، فيذكرك بأن السؤال قبل المنع أمانة أيضًا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. [الكهف: ٢٨].
الصحة تعين القلب حين يبرر لنفسه منفعة ويصعب عليه سماع ما يخالف رغبته. الصادق لا يسايرك دائمًا، ولا يتخذ خطأك مادة لمجلس آخر.

وليس كل من يكثر الاعتراض صاحبًا ناصحًا. قد يحب إنسان دور المصحح، فيفتش عن خلل في كل قرار ويتركك أكثر اضطرابًا لا أكثر علمًا. صاحب الصادق يميز بين حق بين، ومسألة تحتاج سؤالًا، ومباح تختاره على غير ذوقه. لا يرفع تفضيله الشخصي إلى ميزان لتقواك، ولا يمدح كل ما تفعل كي يبقى قريبًا منك.

تعرف أمانته من طريقته قبل نتيجة رأيه. يسألك عن الوقائع بدل أن يكملها من خياله، ويحفظ السر، ويقبل أن يقول: لا أعرف، ويردك إلى المختص حين تتجاوز المسألة علمه. وإذا أخطأ في نصيحته قبل التصحيح. هذه الصفات لا تجعل رأيه حجة، لكنها تجعل صحبته موضعاً صالحاً للمراجعة البشرية التي تكشف ما تخفيه النفس عن نفسها.

لكن الصديق الأمين لا يصبح مفتياً في كل عقد ولا مختصاً في كل نظام. قد يكشف أنك أخفيت تفصيلاً، ثم يدلك على أهل العلم أو الجهة المسؤولة. وإذا استشرته فصف له ما لك وما عليك، دون صياغة تقوده إلى النتيجة التي تحبها. قد تكون لديه مصلحة في قرارك، فاستعن عند الحاجة بعين أخرى مستقلة. المحبة لا تمنح أحداً علماً لم يدرسه أو إدناً في أسرار غيره.

احذر أيضاً من صحبة يتساوى أفرادها على تكرار الخوف. يعرض واحد مسألة، فيضيف كل آخر احتمالاً حتى يصبح المباح متهماً، ثم يسمون هذا تعاوناً على الورع. التعاون النافع ينتهي إلى معلومة أو سؤال صحيح أو قرار، ولا يكافئ أشد الاحتمالات لمجرد شدته. إذا أجاب المختص وانتهت القرينة، أعن صاحبك على المضي، لا على فتح المسألة كل ليلة.

اتفق مع من تثق به على طريقة للنصيحة: ينبهك على انفراد، ويسألك عن الصورة قبل أن يحكم، وتسمع منه دون أن تضع له مفاتيح حياتك كلها. لا تفتش في هاتف صديقك باسم المحاسبة ولا تطلب منه اعترافاً دورياً. قد يكفي لقاء متباعد تسأل فيه عن حق أديته، وموقف بالغت فيه، وخطوة تحتاجها قبل اللقاء التالي.

وإذا كانت بينكما سلطة في العمل أو الأسرة، فاحذر أن تسمي الخضوع نصيحة متبادلة. الموظف قد يوافقك خوفاً، والابن قد يخفي عنك ما يظن أنك ستعاقبه عليه. افتح باباً يمكن فيه الاعتراض بأمان، ولا تجعل كشف الخطأ سبباً للمهانة. الصدق ينمو حيث لا يُستعمل الاعتراف سلاحاً في الخصومة التالية.

ثم افحص أثر هذه الصحة بعد حين: هل صرت أصدق في عرض السؤال وأسرع في رد الحق، وأقدر على قبول اختلاف معتبر؟ وكن لصاحبك كذلك؛ إذا أتاكَ بخطأ أعنه على إصلاحه واحفظ قدر ما ائتمنك عليه. خير الصحة أن يعود الإنسان منها إلى الله وحقوق الناس بقلب أشجع، لا بصورة أجمل أمام رفاقه.

واختر أنت أيضاً اللغة التي تتيح للناصح الاقتراب. حين يقول لك أمراً لا تحبه، أعد ما فهمت قبل أن تدافع: أتقصد أنني

أخفيت عن شريكي معلومة، أم أن طريقة عرضي لها ناقصة؟ ربما كان فهمك لاعتراضه خطأ. وقد يظهر أنه لم ير جزءًا من الصورة، فتضيفه بهدوء. ثم إن صح كلامه، اشكره وابدأ بخطوة تصحح الأثر. الصداقة التي تقبل السؤال الصعب لا تحتاج إلى أن تجعل كل لقاء محكمة؛ يكفيها أن يكون للحق فيها مكان إذا دخل.

واجعل للصداقة الناصحة حدودًا تحميها من الاعتماد الزائد. لا تعرض على صاحبك كل حركة حتى يعجز قلبك عن القرار بدونه. استشره في المواضع التي تخفى عليك، ثم تحمل مسؤولية ما تبين. صاحب مرآة وعون، وليس ضميرًا مستعارًا ولا بابًا لإسقاط التبعة.

وفي القضايا المتكررة، اطلب منه أن يلاحظ النمط لا الحادثة وحدها. ربما لا تكون المشكلة في قرار بعينه، بل في أنك تخفي المعلومة نفسها كلما تعلقت مصلحتك بها، أو تؤخر السؤال حتى يصعب الرجوع. تسمية النمط تساعدك على بناء إجراء: تعرض العقد قبل التوقيع، أو تراجع الحساب في موعد ثابت، أو تمتنع عن نشر خبر حتى ترى مصدره.

واحفظ حق صاحبك إذا نصحك. لا تستخدم كلامه حجة على آخرين بغير إذنه، ولا تقل: «فلان يرى أنك مخطئ» لتقوي

خصومتك. النصيحة أمانة في سياقها، وقد يكون نقلها قد أخرجها من صورتها أو وضع الناصح في نزاع لم يختره. خذ المعنى الذي يصلحك، واترك اسمه خارج المعركة.

وإذا اختلفتما بعد الصدق، فلا تجعل بقاء المودة مشروطًا بتطابق القرار. قد يصف كل منكما الوقائع بصدق ثم يختلف الاجتهاد أو الاختيار في مساحة معتبرة. ينبهك إلى ما رأى، وتشرح ما ظهر لك، ثم يبقى الود محفوظًا ما لم يتعلق الأمر بحق يجب أدائه أو ضرر يجب منعه.

ومن أجمل ما تهديه لصاحبك أن تذكره بتقديمه دون تزكية مطلقة. تقول: «هذه المرة سألت قبل أن توقع»، أو «أعدت الحق أسرع من السابق». الإشارة إلى الفعل الصحيح تثبت طريق الإصلاح، ولا تدعي سلامة القلب كله. الصحبة التي ترى الخطأ ولا تنسى النمو تعين الإنسان على الثبات، وتمنعه من اليأس كما تمنعه من الغرور.

ولعل الصديق الذي أثقل عليك سؤاله هو من تستطيع أن تقول له بعد حين: شكرًا لأنك لم تسايرني. في مثل هذه الصحبة يصبح الرجوع أقل وحشة؛ تعرف من يحفظ شرك حين تضعف، ومن يفرح بإصلاحك أكثر من فرحه بأنه كان مصيبًا. وكن له أنت كذلك.

٧١ ليس كل انقباض فتوى

قد تنقبض نفسك من معاملة، أو هدية، أو وعد لا ترى عاقبته. لا تحتقر هذا التنبيه؛ فقد يكون أول باب السؤال. لكن لا ترفعه وحده إلى مقام الحكم.

سبق في الفصل ١٩ حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في أن الإثم ما حاك في الصدر وكره صاحبه اطلاع الناس عليه. هنا لا نعيد تأصيل الحديث؛ بل نختبر حدوده عند اتخاذ القرار.

في مثال متخيل، يختار شاب من المباح ما يخالف عادة رفقته، فيضيق صدره من توقع تعليقاتهم. وفي موقف آخر، يعرض عليه أحدهم استعمال شيء يعرف أن صاحبه لم يأذن فيه. الإحساس قد يتشابه، لكن سبب التوقف مختلف؛ لا يصح أن يسوي بينهما لمجرد الضيق.

وقد بين الشيخ عبد المحسن العباد في شرحه أن استفتاء القلب موضعه الأمر المشتبه عند صاحب الإيمان، أما ما قام

عليه دليل بيّن للمرء أن يرده لمجرد التردد.^{٩٤} وهذا قيد يحفظ للضمير مكانه ويحفظ للوحي والعلم مكانهما.

إذا اضطرب قلبك فرتّب الاستجابة:

١. توقف قليلاً إن كان التوقف لا يضيّع واجباً ولا حقاً لغيرك.

٢. استكمل الصورة؛ فقد يكون القلق ناشئاً عن معلومة ناقصة.

٣. اسأل أهل الاختصاص عن الواقعة نفسها، لا عن عنوان عام يشبهها.

٤. لا تسمّ المشتبه حراماً قبل قيام الدليل، ولا تلزم غيرك باحتياط اخترته لنفسك.

٥. راقب التكرار القهري؛ فالوسواس لا يصير ورعاً بكثرة الرجوع إليه.

بعد بيان السبب، يصبح القرار أهدأ: تتعامل مع حق المالك في موضعه، ومع خوف مخالفة العادة في موضعه. لا تحتاج إلى فتوى جديدة كلما عاد الشعور نفسه بعد وضوح الجواب.

٩٤ عبد المحسن العباد، «شرح الأربعين النووية»، الدرس ٢٥، فقرة «معنى قوله: استفت قلبك»، ص ١٧ بحسب الترقيم الآلي للتفريغ. النص، بطاقة المصدر. أصله دروس صوتية فرغتها الشبكة الإسلامية؛ رقم الجزء في العرض هو رقم الدرس، وليس مجلداً مطبوعاً. المقابلة هنا للتفريع، ولم تقابل المادة الصوتية.

جَرَّبْ ذلِكَ فِي مَسْأَلَةٍ لَهَا قَرِيْنَةٌ مُّحَدَّدَةٌ وَتَحْتَاجُ فِعْلاً إِلَى بَيَانٍ:
اَكْتُبْ «مَا الثَّابِتُ؟ مَا الْمَجْهُولُ؟ مِنْ أَسْأَلٍ؟». أَمَّا الْاِنْقِبَاضُ
الْمُتَكَرِّرُ بَعْدَ جَوَابٍ مُّعْتَبَرٍ، مِنْ غَيْرِ مَعْلُومَةٍ جَدِيدَةٍ، فَلَا تَجْعَلْ
لَهُ سَجَلٌ فَحْصٍ جَدِيدًا كُلَّ مَرَّةٍ.

٧٢ قلب نظيف ويد أمينة

ليس ختام الورع أن تعيش خائفًا من كل شيء. ختامه أن تعرف موضع الخطوة: تمضي حيث ظهر الحق، وتتوقف حيث بقي الاشتباه، وتعود إذا بان الخطأ، وتؤدي ما في يدك لأهله.

القلب السليم غاية جامعة، لا اسمًا لعمل واحد. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].^{٩٥} ومن سلامته ألا يتخذ الاحتياط ستارًا ينسى وراءه حقوق الناس.

ولهذا قرن القرآن صلاح المؤمن برعاية الأمانة والعهد: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].^{٩٦} وقال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ».^{٩٧}

بعد هذه الصفحات، لا تحتاج إلى صورة مثالية؛ تحتاج إلى حركة صادقة تكرر:

٩٥ القرآن الكريم، الشعراء: ٨٩. موضع الاستدلال كما في النص.

٩٦ القرآن الكريم، المؤمنون: ٨. موضع الاستدلال كما في النص.

٩٧ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث ١٠.

- إن كان الأمر محرماً بيّناً: فاتركه.
 - إن كان حقاً واجباً: فأدّه، ولا تجعل الاحتياط ذريعة إلى تأخيرهِ.
 - إن اشتبهت الصورة: فتوقف بقدر الحاجة، واستكملها، واسأل من يعلم.
 - إن أخطأت: فصحح الحكم، ورد الحق، وغيّر الإجراء الذي أعاد الخطأ.
- قد يكون الورع في رفض مال لا يحل، وقد يكون في قبول حق لا يجوز تضييعه. قد يكون في الصمت عن كلمة تؤذي، وقد يكون في بيان يرفع ظلاماً. وقد يكون في ترك صفقة، أو في الوفاء بعقد صحيح بعدما صار التردد مجرد هروب من المسؤولية.
- هكذا يعود الورع إلى حجمه الصحيح: ليس قلقاً يملأ الحياة، ولا تشدداً يعلو على العلم، بل يقظة تحرس القلب واليد معاً. فإذا صفا قصدك، وصح علمك، وسلم الناس من تعديك، وأدبت ما أوّمت عليه، فقد أخذت من هذا العمل بنصيب. ولعمل الختام: اكتب أمانة واحدة في ذمتك الآن: مالاً، أو وعداً، أو معلومة، أو حقاً معنوياً. ضع لها فعلاً قابلاً للإنجاز

وموعداً قريباً. دع آخر صفحة من الكتاب تفتح أول خطوة بعده.

الفصل التدريبي: الورع في القرار والعمل

كيف تنتفع بهذا الفصل

قد تخرج من القراءة ومعك معانٍ واضحة، ثم يختلط عليك الأمر حين يمس مالك أو صورتك أمام الناس. هذا الفصل يعينك على نقل ما فهمته إلى قرارات صغيرة تستطيع وصفها ومراجعتها. افتح دفترًا خاصًا، واختر من التطبيقات ما يمس حياتك. لست مطالبًا بأن تنشئ لنفسك قضايا لم تقع، أو أن تفتش في الماضي بحثًا عن كل احتمال بعيد.

جميع الحالات الآتية أمثلة تعليمية متخيلة، وليست حكايات عن أشخاص معينين ولا أجوبة لوقائعك الخاصة. صيغت لتدريبك على معرفة السؤال، وفصل الحقائق عن الظنون، وصيانة الحقوق، وطلب العلم عند الحاجة. مرجع المعاني هو فصول هذا الكتاب ونصوصها المثبتة؛ أما ترتيب التمارين ومددها فاقترح تنظيمي، لا عبادة ذات عدد أو فضل مخصوص.

اقرأ الحالة مرة، ثم اكتب جوابك قبل النظر في التحليل. لا تقس جودة جوابك بموافقته ألفاظنا؛ انظر هل حفظ وصف الواقعة وحدود علمك وحق صاحبها. قد يكون في الحالة أكثر من تصرف مناسب، وقد تتغير النتيجة إذا تغير شرط لم يذكر. القدرة على تسمية المعلومة الناقصة جزء من التعلم، وليست فشلاً في الإجابة.

اجعل المراجعة قصيرة محددة. يكفي في الجلسة تطبيق واحد، ثم عمل واضح متى أمكن. إذا وجدت أن الدفتر يزيد عليك الاجترار أو يدفعك إلى تكرار الفحص بلا معلومة جديدة، فأوقف استعماله بهذه الطريقة. ومن يعاني قلقاً متكرراً يعطل حياته يحتاج إلى مختص؛ هذه الصفحات ليست أداة تشخيص ولا خطة علاج، ولا تحل محل ما يقرره المختص لحالته.

التقييم هنا للأفعال التي تستطيع وصفها: هل تحققت من النص؟ هل سألت صاحب الصلاحية؟ هل صحت خبراً؟ هل أدبت حقاً معلوماً؟ لا نمنح درجة لإخلاصك أو منزلة قلبك عند الله. وقد تؤدي الفعل الصحيح مع بقاء شيء من الحرج؛ فلا تجعل اختفاء الشعور شرطاً للوفاء بما عرفت.

التطبيق الأول: ما الذي أعرفه فعلاً

وصلت إلى نادر رسالة من زميل تقول إن مبلغاً حُسم من مكافآت الفريق، وإن المسؤول احتفظ به لنفسه. أرفق الزميل صورة لجزء من كشف حساب لا تظهر فيه عناوين الأعمدة، وقال: الجميع يعرف ذلك. تذكر نادر أن المسؤول رفض له طلباً سابقاً، فشعر أن الخبر يفسر ما حدث. بدأ يكتب إلى بقية الفريق قبل أن يفتح الكشف الكامل.

في دفتر، افصل بين ثلاثة أشياء: ما يظهر في المستند، وما قاله الزميل، وما استنتجه نادر. اكتب تحت كل منها جملة واحدة لا تزيد على ما تعرفه. ثم حدد معلومة واحدة لو عرفتها لتغير فهمك: هل المبلغ حسم بالفعل؟ ما سبب الحسم المسجل؟ وهل توجد جهة مخولة تراجع الكشف؟ لا تجعل سؤال النية بديلاً عن هذه الأسئلة القابلة للتحقق.

اكتب رسالة مناسبة للاستفسار لا تتهم أحداً ولا تخفي حق الفريق. جرب أن تبدأ بما تملكه: «وصلتني صورة غير مكتملة، وأحتاج إلى بيان بند المكافأة وطريقة احتسابه». ثم حدد من يملك الجواب ومن يلزمه الاطلاع عليه. ليس كل زميل جهة تحقيق، وليس كل تداول للمستند نصرة لأصحاب الحق.

التحليل: الثابت في الحالة وصول رسالة وصورة ناقصة، أما الاستيلاء على المال فدعوى تحتاج إلى بينة. رفض الطلب السابق لا يثبتها. يمكن لنادر أن يطلب الكشف والتفسير عبر الطريق المختص، وأن يحفظ حق الاعتراض بعد ظهور المعلومات. وإذا ظهرت قرائن جادة، يرفعها للجهة المخولة بقدرها؛ فلا تتحول الدعوة إلى التثبيت إلى إسكات للشكوى أو حماية للتعدي.

اختبر جوابك بسؤالين: هل نسب إلى المسؤول فعلاً لم يثبت؟ وهل ترك طريقاً عملياً لحفظ حق الفريق؟ إذا تجنب الاتهام لكنه انتهى إلى «لا تفعل شيئاً أبداً»، فقد ضيع جانباً من المسألة. وإذا طلب التحقيق بنشر الأسماء والمستندات على العامة، فقد أنشأ أذى جديداً. ارجع إلى الفصلين ٤١ و٤٦، ثم اختر عبارة واحدة ستستعملها حين يسبق التفسير الدليل.

التطبيق الثاني: إذن لا تصنعه كلمة المرور

تدير سارة حساباً مشتركاً لمشروع عائلي. تستطيع التحويل إلى أي مستفيد، لكن الاتفاق المكتوب يجيز لها سداد الفواتير المعتمدة فقط. احتاجت أختها إلى مبلغ عاجل، ففكرت سارة

أن تقرضها من الحساب يومين ثم تعيده قبل موعد المراجعة. قالت لنفسها: المال لن ينقص في النهاية، ولن أستفيد منه لنفسي.

اكتب الحق الذي تتصرف فيه سارة، والصفة التي تحملها، وحد الإذن الذي أعطي لها. ثم بيّن الفرق بين قدرتها التقنية على التحويل وملكها الإذن فيه. لا يكفي في الإجابة أن تصفها بأنها حسنة القصد أو قليلة الأمانة؛ المطلوب تحديد التصرف الذي تملكه الآن والتصرف الذي يحتاج إلى إذن جديد.

اقترح طريقتين لمساعدة الأخت لا يتجاوزان الحق: مساعدة من مال تملكه سارة، أو طلب موافقة صحيحة من أصحاب الصلاحية قبل التحويل. إذا اختارت السؤال، فما المعلومات التي يلزم بيانها؟ المبلغ والمدة وطبيعة العملية ومصدر الرد أمور تؤثر في الموافقة. ولا تسجل العملية فاتورة للمشروع حتى تخفي كونها قرصًا.

التحليل: الاتفاق المذكور لا يتضمن إقراض الأقارب. توقع إعادة المال لا ينشئ الإذن، كما أن عدم أخذ المنفعة لنفسها لا يحول المال المشترك إلى مال مباح التصرف. وقد يجيز أصحاب الحق تصرفًا من صلاحيتهم بعد بيان صورته، لكن

هذا يحتاج إلى تحقق، لا إلى افتراض أن محبتهم للأخت تقوم مقام الموافقة.

إذا كانت سارة قد حولت المال فعلاً، فالمطلوب معالجة ما وقع بصدق، وحفظ المستندات، ورد الأمر إلى أصحابه أو إلى المختص عند النزاع. لا تتضمن هذه الحالة طريقة عامة لتسوية كل ضمان أو خصومة. اكتب كيف يمكنها شرح الواقعة دون تزيين أو اتهام: ماذا حولت، ومتى، وعلى أي ظن، وما الموجود الآن؟

علامة النجاح أن تنتهي إلى فعل يضبط التصرف، مثل مراجعة حدود الصلاحية قبل العملية المقبلة. كثرة عبارات اللوم لن تعوض غياب هذا الحد. راجع الفصل ٣٦، ثم اكتب في سطر واحد: «ما أستطيع الوصول إليه ليس كله مما أملك التصرف فيه» واذكر مثلاً من عملك دون كشف أسرار أحد.

التطبيق الثالث: هدية تصل في وقت القرار

يشرف مازن على مقارنة عروض شراء لأحد الأقسام. أرسل إليه مورد قسيمة شخصية، وكتب أنها تقدير لجهوده لا علاقة لها بالعتاء. العرض ما زال قيد الدراسة، ولما سأل مازن زميله

قال: المورد يرسل هذه القسائم لناس كثيرين، فلا تشدد على نفسك. لم يقرأ مازن سياسة الهدايا أو يسأل الجهة المسؤولة. حدد المعلومات المؤثرة قبل الحكم على الصورة: دور مازن في القرار، ووقت الهدية، وصفة مقدمها، والسياسة المعتمدة، وهل توجد علاقة شخصية سابقة مستقلة عن العمل. لا تفترض أن ذكر هذه العناصر يبيح الهدية أو يحرمها بذاته؛ هو إعداد صحيح للمسألة التي تحتاج إلى نظر من يملك صلاحية الجواب.

اكتب جواباً مؤقتاً للمورد يحفظ الاحترام ويمنع التأثير: يشكره على تواصله، ويبين أنه سيعرض الأمر وفق سياسة الجهة قبل قبول منفعة شخصية. ثم اكتب السؤال الداخلي، كاملاً بهذه الوقائع، بدل أن تقول: «هل يجوز قبول هدية صغيرة؟». صغر القيمة وحده لا يصف أثر العلاقة ولا حدود الوظيفة.

التحليل: وصف المرسل لها بأنها تقدير لا يمحو اتصالها الظاهر بمرحلة القرار. كذلك انتشار العادة بين الناس لا يثبت صلاحيتها. يحتاج مازن إلى بيان الإذن الصحيح وإدارة تعارض المصلحة، مع ترك الحكم التفصيلي لمن يعرف النظام

والصورة. ويمكنه في أثناء ذلك أن يواصل تقييم العروض بمعاييرها المعلنة دون ربط النتيجة بقبول القسيمة.

غير الآن تفصيلًا واحدًا: اكتمل الشراء منذ أشهر، وصار مازن في وظيفة أخرى. هل يكفي ذلك للحكم؟ اكتب المعلومات التي بقيت مؤثرة بدل نقل الجواب السابق آليًا. الغرض أن تتعلم احترام الصورة، لا أن تتدرب على إيجاد صياغة تجعل كل هدية مقبولة.

ارجع إلى الفصلين ٣١ و٣٤. وفي واقعك، إن لم توجد هدية مماثلة، اکتف بتعلم سياسة الجهة. لا تختبر زملاءك بإرسال هدايا مصطنعة، ولا تنشئ موقفًا لإثبات ورعك. يكفي أن تعرف ما ستفعله إن وردت عليك واقعة حقيقية.

التطبيق الرابع: المبلغ الذي عاد بالخطأ

اشتريت هناك جهازًا ثم أعادته وفق سياسة المتجر. أعاد النظام ثمنه مرتين. ظهر الإيداعان في حسابها، لكنها احتاجت إلى المال في مصروف قريب. فكرت أن تنفق الزيادة، ثم تتواصل مع المتجر إذا لاحظها. وقالت: ربما كانت تعويضًا عن التأخير، فهم شركة كبيرة.

افصل الاحتمال المتخيل عن البيان الموجود. ما الذي ورد في إشعار المتجر؟ هل سمى المبلغ تعويضًا؟ وهل عرف من له الصلاحية بوقوع التحويلين؟ اكتب رسالة تتضمن رقم الطلب وتاريخ الإيداعين والمبلغ، وتطلب التحقق بطريقة تحفظ بياناتها المصرفية. لا ترسل كلمة المرور أو صورة غير محجوبة لكل تفاصيل الحساب.

اكتب الفعل الذي تستطيع هناء فعله قبل ورود الجواب: ألا تتصرف في الزيادة على أساس أنها ملك ثابت لها، وأن تحفظ ما يثبت تواصلها وتنتظر بيان الجهة المختصة. إذا تأخر الرد، تحدد متابعة مناسبة مع خدمة موثوقة، دون اتخاذ التأخر وحده إذنًا بالإنفاق.

التحليل: حاجة هناء وحجم الشركة لا يغيران منشأ الزيادة. وقد يتبين أنها مستحقة لها بسبب لم تعرفه، أو أنها خطأ يجب إصلاحه؛ الطريق إلى ذلك بيان يمكن التحقق منه. وحرصها على رد المال لا يعني قبول طلب غريب من حساب مجهول يدعي أنه موظف. تتحقق من قناة الاسترداد كيلا يتحول الإصلاح إلى تحويل جديد لغير صاحب الحق.

جرب صياغة سجل من أربعة أسطر: ما وقع، وما الوثيقة، وما الإجراء المتخذ، وما الذي تنتظر معرفته. إذا حصل التصحيح،

ضع علامة إغلاق ولا تعد فحص الحساب بحثًا عن احتمال جديد بلا قرينة. الدفتر يحفظ الحق ويعين على انتهاء العمل، وليس سجلًا لتجديد الشك بعد حسمه.

راجع الفصلين ٤٠ و ٦٧. لا تستنتج من هذه الحالة أحكام المال مجهول المالك؛ صاحب المال هنا جهة معروفة يمكن التواصل معها. نجاحك أن تحفظ هذا الفرق، وأن ترى في الإجراء الدقيق صورة من أداء الأمانة، ولو لم يشعر به أحد غير صاحبه.

التطبيق الخامس: دين وهدية في الشهر نفسه

وعد فؤاد صديقه برد قرض في آخر الشهر. اقترب الموعد ومعه ما يكفي للأداء، ثم أعلن زملاؤه جمع مبلغ لهدية كبيرة لمعلم سابق. رغب في المساهمة، وخشي أن يظنوا به قلة الوفاء إن اعتذر. فكر أن يؤخر القرض أيامًا دون أن يخبر صاحبه، لأن الهدية لا تتكرر كثيرًا.

ما الحق الثابت المذكور؟ وما العمل الذي يختاره فؤاد تبرعًا؟ اكتب الفرق دون ذم الهدية أو المشتركين فيها. المشكلة

ليست في أصل الإحسان، بل في استعمال مال يلزم به أداء حق حاضر مع القدرة، وتأخير صاحبه من غير بيان معتبر. ضع ميزانية صغيرة من غير أرقام مفترضة: مبلغ الأداء، والنفقات اللازمة، وما يملكه بعد ذلك للتبرع. ثم اكتب اعتذاراً لا يكشف خصوصية الدائن ولا يجعل فؤاد محتاجاً إلى صناعة قصة: «لدي التزام مستحق هذا الشهر، وأستطيع المشاركة بقدر آخر أو بجهد مناسب». قد تكون المشاركة النافعة خدمة أو رسالة شكر صادقة بدل المال الكبير.

التحليل: ضغط المجموعة شعور مفهوم، لكنه لا يسقط حق الدائن. وإذا احتاج فؤاد فعلاً إلى تغيير الموعد، فلا يفترض موافقة صاحبه ولا يضغط عليه باسم الصداقة؛ يعرض الأمر بصدق، مع حفظ حقه في الجواب. ولا يتخذ طلب التأجيل حيلة دائمة رغم قدرته على الأداء.

غير الحالة: فؤاد عاجز فعلاً عن الوفاء، ولم ينفق المال في الهدية. هنا لا تصفه بالمماطل لمجرد التأخر؛ فالعجز والقدرة صورتان مختلفتان، كما بين الفصل ٦١. المهمة أن يصدق في وصف استطاعته، ويسعى في الطريق المناسب، ولا يتعرض لإذلال أو أحكام على نيته بغير علم.

راجع الفصلين ٣٥ و ٦١. وفي دفترِكَ اكتب حقًا معلومًا قريب الأجل إن كان عندكَ، وحدد مواعده وطريقة أدائه. إن لم يكن عليك حق من هذا النوع، فلا تخلق له لإكمال التمرين. تعلم التمييز، واترك الصفحة خالية من بيانات واقعية لا تملكها.

التطبيق السادس: عيب تعرفه قبل البيع

أراد ياسر بيع حاسوبه المستعمل. يعمل الجهاز جيدًا معظم الوقت، لكنه ينطفئ عند ارتفاع الحرارة. صور شكله الخارجي بعناية، وكتب: استعمال نظيف. سأله مشتري إن كان مناسبًا للعمل الطويل، فأجاب بأنه جهاز ممتاز، ثم قال لنفسه: ربما لا يستعمله المشتري ساعات متواصلة، وسعره أقل من الجديد. حدد المعلومة التي يعرفها ياسر ويحتاج إليها المشتري لاتخاذ قراره. ثم أعد كتابة الوصف بعناية دقيقة لا تهوّل العيب ولا تخفيه: متى يقع الانطفاء، وما الذي جربه البائع، وما الذي لا يعرف سببه. لا تحول الظن في سبب العطل إلى تشخيص فني قطعي.

اكتب جوابًا لسؤال المشتري عن العمل الطويل. ينبغي أن يذكر التجربة المعلومة، ويتيح له الفحص، ويمنع العبارة العامة «ممتاز» من محو التفصيل. انخفاض السعر لا يؤدي

وظيفة البيان وحده؛ فقد يكون المشتري فهم أنه منخفض بسبب قدم الجهاز لا بسبب العطل.

التحليل: الورع هنا في صدق العرض قبل قبض الثمن. لا يلزم البائع أن يصف الجهاز بأنه عديم القيمة، ولا يملك أن يقرر أن العيب لا يهم المشتري دون إخباره. وبيان المعلوم يختلف عن الوعد بأن كل ما لم يلاحظه سليم قطعاً. إذا احتاج البيع إلى شروط فنية أو نظامية، تضبط كما هي ولا تستبدل بحسن الظن.

بعد ذلك راجع إعلاناً تملكه إن كنت تبيع شيئاً بالفعل. ابحث عن عبارة واحدة واسعة يمكن أن يقرأها الطرف الآخر على غير ما تقصد. صححها حيث توجد، واحفظ بيانك في موضع يستطيع المشتري رؤيته. أما إن كنت قد بعت ووقع نزاع، فاعرض الواقع على الجهة المختصة؛ لا تفترض أن تحديث إعلان محذوف يعالج حقاً مضي.

ارجع إلى الفصلين ٣٠ و٣٩. معيار التمرين ليس أن يخسر البائع الصفقة؛ قد يشتريها المشتري عالمًا ويرضى بها. المعيار أن تقوم الصفقة على وصف أمين، وأن يبقى للطرف الآخر اختياره.

التطبيق السابع: رابط توصية له عمولة

تكتب مريم عن أدوات القراءة. اختارت جهازًا أعجبها، وأرسلت لصديقتها رابطًا تحصل بسببه على عمولة. قالت في الرسالة: هذا أفضل خيار لك. لكنها لم تسأل عن حاجة صديقتها، ولم تذكر منفعتها من الشراء. وفي عمل آخر تطلب منها جهة أن تشتري جهازًا بالنيابة عنها بأفضل سعر متاح.

قارن الصورتين: توصية عامة من شخص له منفعة، وشراء بوصف الوكالة عن جهة. اكتب ما يجب معرفته في كل صورة قبل إصدار حكم على العمولة. من يدفعها؟ ومن صاحب المال؟ وما الاتفاق؟ وهل يكشف الدور عن تعارض مؤثر؟ هذه أسئلة وصف، وليست فتوى بجواز كل عمولة معلنة.

أعد صياغة رسالة مريم بحيث تذكر حدود تجربتها ومنفعتاتها، وتسأل عن الحاجة الفعلية. يمكن أن تقول إنها جربت استعمالاً معيناً وإن الرابط يعود عليها بعمولة، مع ترك المفاضلة لبيانات مناسبة. لا تجعل الإفصاح بديلاً عن الصدق في المزاي أو عن الالتزام بسياسة الجهة وعقد الوكالة.

التحليل: عنوان «عمولة» يجمع صوراً تختلف في حقيقتها. قد يكون الشخص مسوقاً، أو وكيلًا، أو موظفًا، أو وسيطًا

مستقلًا؛ ولكل دور شروطه. لذلك لا يصح أن يأخذ القارئ جوابًا في زيادة أخفاها وكيل ثم ينقله إلى كل تسويق، كما لا يصح استعمال مثال تسويق لتسويق منفعة موظف تخالف تكليفه.

اكتب سؤالًا يصلح عرضه على مختص لهذه الحالة إذا كانت واقعية عندك. يجب أن يستطيع السامع فهم الأطراف وطريقة الدفع وحدود الصلاحية دون أن يسألك أولاً: «عمن تتصرف؟». وإذا لم تعرف شرط المنصة أو الجهة، فسجله مجهولًا وأحضره؛ لا تكتب بدلًا منه ما تتمنى أنه المقصود. راجع الفصل ٣٨. النجاح أن تصف الصفة قبل البحث عن الاسم المريح. ومن علامة التعلم أن تعرف متى لا تكفيك معلومات الحالة للحكم، ثم تحسن جمع الناقص بدل زيادة الثقة في جواب ناقص.

التطبيق الثامن: صورة وصلت على الخاص

أرسلت لنا إلى صديقتها صورة من رسالة عائلية تطلب رأيها في طريقة الجواب. أعجبت الصديقة بعبارة في الصورة، فأرادت نشرها في مجموعة تربية بعد تغطية الاسم. بقيت

في الصورة مواعيد وأسماء أماكن يستطيع بعض أعضاء المجموعة أن يعرفوا منها الأسرة.

ما الإذن الذي حصلت عليه الصديقة فعلاً؟ هل طلب الرأي يساوي الإذن بالنشر؟ وما التفاصيل التي بقيت كاشفة للهوية بعد حذف الاسم؟ اكتب الفرق بين استعمال الرسالة في الغرض الذي أرسلت من أجله، وتحويلها إلى مادة عامة تستفيد منها الصفحة أو المجموعة.

اقترح بديلاً: تستطيع الصديقة شرح معنى عام بكلامها من غير نقل واقعة خاصة أو تفاصيل تسمح بالتعرف إلى أصحابها. وإذا احتاجت إلى النص نفسه، فلا بد من إذن صالح ووعي بما سينشر، مع مراعاة حقوق كل من تظهر معلوماته. إذن المرسل لا يمنحه بالضرورة التصرف في أسرار الآخرين الواردة في الرسالة.

التحليل: حذف الاسم إجراء محدود، ولا يضمن إخفاء الهوية. كما أن الغاية التربوية لا توسع الإذن الخاص من نفسها. تستطيع الصديقة أن تقدم نصيحة لصاحبها وتحفظ الثقة التي بني عليها السؤال، دون أن تجعل كل موقف جميل محتوى قابلاً للنشر.

إذا نُشرت الصورة بالفعل، حدد التصحيح الممكن: إزالتها من المواضع التي تملكها، وطلب إزالة النسخ من المخاطبين بقدر مناسب، وإخبار من يلزم إخباره دون زيادة نشر التفاصيل. لا تعد بإزالة كل أثر من الإنترنت إن لم تستطع ذلك، ولا تنشر اعتذارًا يكشف هوية من أخفيت اسمه أولاً.

راجع الفصل ٤٣. اختر رسالة واحدة محفوظة عندك، واسأل عن الغرض الذي أوثمنت عليها فيه. لا تفتح رسائل الآخرين لتؤدي التمرين. والأثر المطلوب قرار بسيط: حفظ المعلومة في نطاقها، أو حذف نسخة لا تحتاجها بطريقة مناسبة، أو سؤال قبل توسيع دائرة تداولها.

التطبيق التاسع: حديث جميل بلا أصل ظاهر

وصل إلى عادل تصميم يتضمن دعاءً وعددًا محددًا ووعدًا بأن من نشره زال عنه هم بعينه. لا يظهر مصدر، ويقول مرسل الرسالة إن المعنى جميل وقد جربه بعض الناس. أراد عادل حذف العدد والإبقاء على عبارة «قال النبي ﷺ» لأن الدعاء حسن في نفسه.

اكتب ثلاثة أسئلة منفصلة: هل ثبتت النسبة؟ هل ثبت تخصيص العدد؟ هل ثبت الوعد المذكور؟ لا يكفي أن تجيب عن حسن المعنى لتنتقل منه إلى الجزم بهذه الدعاوى. والتجربة الشخصية لا تثبت حديثاً أو فضلاً مخصوصاً.

ما الفعل المناسب قبل إعادة الإرسال؟ توقف النسبة حتى تصل إلى أصل وحكم موثق على اللفظ. ويمكن أن تختار دعاءً ثابتاً تعرف مصدره، أو تدعو بكلام جائز من إنشائك وتبين أنه دعاء عام، دون العدد والوعد والنسبة التي لم تتحقق. لا يحتاج الامتناع عن النشر إلى إعلان أن الحديث موضوع إذا لم تعلم ذلك.

التحليل: حذف بعض الرسالة لا يصحح أصل النسبة. وإذا وجدت نصاً قريب المعنى، فهو نص آخر ينقل بلفظه ومصدره، ولا يمنح التصميم القديم توثيقاً بأثر رجعي. وقد تجد اختلافاً عند أهل العلم؛ حينئذ تنقله بأمانة أو تختار ما ثبت في الباب دون ادعاء حسم لا تملكه.

اكتب بطاقة تحقق قصيرة: اللفظ، والمصدر، والموضع، واسم من نقل حكمه، وما بقي مجهولاً. لا تضيف أرقاماً من نتائج بحث لا توافق النص. إذا تعذر عليك الوصول، تكون نتيجة

البطاقة «توقفت عن نسبته»؛ وهذه نتيجة صحيحة في عمل الناقل.

راجع الفصل ٥٣. وإذا كنت نشرت مادة مشابهة ثم تبين خطأها، فصحح في الموضع الذي وصل منه الخطأ إلى الناس. لا تجعل الاعتذار خطاباً عن فضلك في الرجوع؛ اجعل القارئ يعرف ما يصح وما لا يصح، ثم دلّه على البديل الثابت إن وجد.

التطبيق العاشر: عندما يحمل السؤال جوابه

سأل شاب إحدى الجهات العلمية: «هل يجوز أن آخذ هدية من صديقي؟» فجاءه جواب عام. لم يذكر أن صديقه ينتظر منه اعتماد فاتورة، وأنه مسؤول عن مطابقتها. احتفظ بالجواب ليعرضه إذا اعترض عليه زميل، وشعر أن مسؤوليته انتهت بمجرد السؤال.

أعد بناء السؤال من الوقائع المؤثرة، مع حماية الأسماء التي لا تحتاجها الجواب. اذكر الصفة الوظيفية، والقرار المنتظر، وطبيعة الهدية، والسياسة التي يعرفها، وما لا يعرفه. لا تعتمد استعمال كلمة «صديقي» بحيث تختفي خلفها علاقة العمل.

ثم اكتب رسالة تصحيح للجهة التي أجابته: «أغفلت وصفًا قد يؤثر في الحكم، وهو كذا». لا تطلب منها تثبيت الجواب القديم، بل بيان الصورة بعد استكمالها. الجواب السابق ليس مسؤولاً عن معلومة لم تصل إليه.

التحليل: السؤال وسيلة لطلب العلم، وتبقى أمانة وصف الواقعة على السائل. قد تكون الصداقة حقيقية، لكن صحة هذا الوصف لا تلغي الوصف الآخر. والمشكلة التعليمية هنا سابقة على الحكم النهائي: هل قدم الشخص صورة يستطيع المختص أن يبني عليها؟

جرب طريقة الأربع خانات في الفصل ١٦: ما حدث، وما تقوله الوثيقة، وما أفهمه أنا، وما أريد معرفته. املأها بهذه الحالة. إذا وجدت أنك تكتب في خانة الوقائع «هو لم يقصد التأثير»، فأعد النظر: هل تعلم قصده أم تفسره؟ يمكنك نقل قوله كما قاله، مع بقاء القرار عند من ينظر في القرائن والأحكام.

في حياتك اختر سؤالاً واقعياً تحتاج إليه، واقرأه كما لو كنت مسؤولاً لا يعرف القصة. هل سيطلب منك أهم معلومة بعد أول سطر؟ حسنه قبل الإرسال. فإن لم تكن لديك مسألة، اکتف بالتدريب على الحالة؛ لا توسع البحث في أمور لم تعرض لك.

التطبيق الحادي عشر: سؤال ثان له

سبب

سألت عبير عن عقد، ثم قرأت جواباً يخالف ما كانت ترجوه. وجدت في الجواب أن المجيب فهم أنها مالكة السلعة، مع أنها وكيلة عن غيرها. وفي يوم آخر أعادت سؤالاً مختلفاً إلى جهات كثيرة، وكلها فهمت الوقائع نفسها، لكنها كانت تنتظر جواباً يوافق رغبتها.

قارن بين سبب إعادة السؤال في اليومين. ما المعلومة الجديدة في الأول؟ وما الذي تغير في الثاني؟ لا تجعل مجرد عدد الأسئلة معياراً؛ قد يحتاج السؤال الواحد إلى توضيحات، وقد تكشف إعادة واحدة عن رغبة في حذف قيد مؤثر.

اكتب لعبير صياغة للاستفسار الأول تشرح سوء الفهم، وتذكر الجواب السابق بقدر ما يحتاجه البيان. ثم اكتب لنفسك جملة صادقة في الحالة الثانية: «فهمت الجواب، لكن العمل به يشق علي». قد يكون هذا الوصف أدق من دعوى أن الجواب غير واضح.

التحليل: التعلم يقتضي إمكان التصحيح والرجوع إلى صاحب الاختصاص، ولا يوجب جمع كل الأجوبة الممكنة قبل

كل عمل. وبعد جواب معتبر فهمت تطبيقه، لا يكون مرور مقطع مقتطع سببًا كافيًا لبدء المسألة من أولها. أما تغير العقد أو ظهور خطأ في التصوير فسبب يمكن تسميته وعرضه.

ضع علامة انتهاء عملية للسؤال: وصول جواب من أهله مبني على الصورة الصحيحة، وفهم ما يلزمك، وعدم بقاء معلومة مؤثرة لم تعرض. هذه العلامة ليست حكمًا بعصمة المجيب؛ يستطيع أن يراجع ويصحح، وتستطيع العودة بسبب معلوم. لكنها تمنع أن يكون الشعور المتقلب هو وحده مدير البحث.

راجع الفصلين ٥٠ و ٥١. تجنب أن تستخدم التمرين لمحاكمة شخص أخذ بقول معتبر غير الذي اخترته؛ ليس دفتر تدريبك محكمة للمذاهب والناس. فائدته أن تزداد صدقًا في السؤال وقدرة على العمل، وأن تعرف ما الذي يبرر مراجعة القرار وما الذي يعيد الدوران نفسه.

التطبيق الثاني عشر: مباح يناسب غيرك

قرر سامي حذف تطبيق مباح لأنه لاحظ أنه يستهلك وقت عمله. تحسن تنظيمه، فكتب لأصدقائه أن من بقي يستخدم التطبيق لا يعرف قيمة عمره. كان أحدهم يستعمله للتواصل

مع فريق دراسة، وآخر ينشر فيه مواعيد خدمة تطوعية. غضب سامي من اعتراضهم، وعده دفاعًا عن التعلق بالدنيا. اكتب القرار الذي يملك سامي اتخاذهُ لنفسه، ثم الحكم الذي تجاوز فيه ما يعرفه عن الآخرين. هل نجاح خطته الشخصية يثبت أن وظائف التطبيق متساوية في حياة الناس؟ وهل يحتاج إلى ذمهم حتى يحفظ تجربته؟

أعد صياغة المنشور ليصف الواقع دون التعميم: ما الذي لاحظته، وما التغيير الذي اختاره، وما فائدته في استعماله هو. يمكن أن يدعو غيره إلى ملاحظة عادته، ويترك له النظر في حاجته وحدودها. لا تجعل الصياغة وعدًا بأن الحذف سيحل مشكلات الجميع.

التحليل: يملك المرء تنظيم مباح بحسب حاجته، وقد يكون التنظيم نافعًا جدًّا، لكنه لا ينشئ بذلك حكمًا شرعيًّا عامًّا أو معرفة بنيات الآخرين. ويستطيع سامي أن يقول: «بالغت في العبارة» من غير أن يعيد التطبيق إلى هاتفه لإثبات الاعتدال. تصحيح التعميم لا يلغي التجربة النافعة.

اختر عادةً عندك قللتها بالفعل: شراء أو متابعة أو سهر. اكتب سببك بلغة تصفك، ثم اقرأ العبارة بحثًا عن حكم مستتر على غيرك. إذا وجدت كلمات مثل «كل من» أو «لا خير في»،

فاسأل هل تملك دليلاً على هذا الاتساع. استبدلها بوصف محدد حيث يكون الأمر تجربة شخصية.

راجع الفصلين ٣ و ١٥. علامة التعلم أن تستطيع الانتفاع باختيارك مع بقاء صدرك أوسع للأحوال المختلفة، وأن تعدل الوسيلة إذا تغيرت الحاجة دون أن تسمي المراجعة سقوطاً من مقام ديني.

التطبيق الثالث عشر: شهادة لا تغني عنها السلامة

حضر خالد اجتماعاً اتفق فيه على توزيع مهمة بين زميلين. نشأ بعد ذلك خلاف في المسؤولية، وطلب منه بيان ما سمع. أراد أن يصمت لأنه يحب السلامة، وقال: لا أدخل في شيء بين الناس. لكنه يعرف معلومة قد تؤثر في فهم ما وقع، ولا يعرف كيف يقولها دون أن يختار طرفاً.

ميّز بين بيان الوقائع التي علمها وبين الحكم في النزاع كله. اكتب شهادته في حدود ما حضره: الكلمات أو البنود التي تيقنها، وما لا يذكره، وما لم يحضره. لا تضيف رأياً في صدق أحد الطرفين إذا لم يكن مما تعرفه.

حدد الجهة التي تطلب البيان وصلاحياتها، والطريقة التي تحفظ الحقوق والسرية. لا يلزم من رفض الخوض في مجلس عام أن يمتنع عن بيان مشروع لدى جهة مختصة. وإذا لم يعرف ما يلزمه في الواقعة، فليسأل عن واجبه بصفته ومعلوماته، بدل اتخاذ كلمة السلامة جواباً لكل صورة.

التحليل: قد يكون الصمت محموداً عن قول لا تعلمه، وقد يتحول إلى ترك بيان يلزمك. لذلك لا يُحكم على الشكل وحده. ومشاركة خالد في التوضيح لا تعني أنه مطالب بحل النزاع أو إرضاء الطرفين؛ عليه أن يصدق فيما يؤديه، وأن يترك ما وراء علمه لمن يملكه.

اكتب الآن نسخة سيئة متعمدة من البيان، فيها جزم بالنوايا وتفصيل لم يحضره، ثم ضع خطأ تحت الزيادات. بعد ذلك اكتب النسخة المنضبطة. هذا التدريب لا يستدعي اختراع شهادة في الحياة؛ هو يريك مقدار ما تضيفه اللغة بسهولة إلى حقيقة محدودة.

راجع الفصلين ٧ و٤٦. ثم فكر في موضع تعرف فيه معلومة ويحتاجها صاحب حق. إن كان الأمر حقيقياً، فحدد الطريق المناسب بعد معرفة ما يلزمك، ولا تجعل التمرين سبباً لنشر ما

أو تمت عليه خارج نطاقه. سلامة اللسان تجمع صدق القول ومعرفة موضعه.

التطبيق الرابع عشر: تصحيح يسمعه من سمع الخطأ

قالت مشرفة مجموعة إن إحدى المشاركات لم تسلم العمل في موعده. بعد ساعة ظهر أن الملف وصل في الموعد إلى بريد آخر كانت المشرفة قد عينته بنفسها. اعتذرت للمشاركة على الخاص، لكنها تركت الرسالة العامة كما هي حتى لا تهتز ثقة المجموعة في إدارتها.

ما الذي أصلحه الاعتذار الخاص؟ وما الأثر الذي بقي لدى بقية المشاركات؟ اكتب رسالة تصحيح قصيرة تصل إلى الدائرة التي سمعت الخبر، وتذكر الخطأ المحدد دون كشف مراسلات خاصة أو إلقاء اللوم على صاحبة العمل.

يمكن أن يبدأ التصحيح ببيان أن العمل وصل في الموعد، وأن الخلل كان في متابعة البريد المحدد، ثم يعتذر عن النسبة السابقة. لا يحتاج إلى شرح مطول عن ضغط الإدارة، ولا إلى الإيحاء بأن الخطأ مشترك إذا لم تثبت مشاركة الطرف الآخر فيه.

التحليل: الخوف على الصورة قد يجعل الإنسان يكتفي بإصلاح ما لا يراه الجمهور. لكن حق المتضررة يتصل بما عرفه عنها من سمع الاتهام. ومقدار التصحيح ينبغي أن يناسب مقدار الانتشار؛ لا توسع دائرة معرفة الواقعة إلى أشخاص لم يسمعوها لمجرد إظهار شجاعتك في الاعتذار. أضف خطوة إدارية تمنع التكرار: توحيد قناة التسليم، أو توثيق تغييرها، أو مراجعة سجل الوصول قبل إطلاق الحكم. هذه الخطوة لا تحل محل الاعتذار، كما أن الاعتذار لا يغني عن إصلاح سبب يتكرر. اجمع بين رد الوصف الخاطئ وتحسين طريقة العمل.

راجع الفصل ٥٦. وفي دفترك سجل آخر تصحيح احتجت إليه إن كان مناسباً، دون أسماء أو تفاصيل تضر أحداً. اكتب: أين وقع الخطأ؟ من تلقاه؟ ماذا صحت؟ وما الأثر الذي بقي؟ إذا لم تعرف وصول التصحيح إلى الجميع، فقل ما فعلته فعلاً ولا تدع محو كل أثر.

التطبيق الخامس عشر: حدود المراجعة بعد البيان

قرأ حسان حكمًا واضحًا في مسألة طهارة سبق أن سأل عنها، وعمل به. ثم عاد إليه الشعور نفسه من غير واقعة جديدة، فأراد أن يعيد السؤال على كل من يعرف. كل جواب يريحه قليلًا ثم يبدأ من جديد. صار يتأخر عن عمله وتقل راحته، ويصف ما يحدث بأنه زيادة احتياط.

حدد ما نعرفه من الحالة دون تشخيص: تكرار سؤال، وراحة قصيرة، وتعطل في الوقت والعمل، وعدم ذكر معلومة جديدة. لا تكتب أنه مصاب باضطراب معين؛ ذلك يحتاج إلى تقييم. ولا تعطه خطة علاج تستنتجها من المثال.

ما الفرق بين ظهور علامة حسية جديدة وبين عودة الشعور السابق؟ اكتب مثالًا عامًا لكل منهما من غير تكليف نفسك بفحص البدن أو تكرار العبادة. الغرض معرفة نوع المعلومة، لا تدريبك على مراقبة لا تنتهي.

التحليل: من المناسب أن يراجع حسان أهل العلم في القاعدة التي يعمل بها إذا لم يفهمها، وأن يطلب مساعدة مختص مؤهل حين يؤثر التكرار في حياته. بعد ذلك يكون التزامه

بالتوجيه المناسب لحالته أولى من صنع برنامج شخصي
يتغير كل ساعة. لا يصح أن يعده الكتاب بأن تمرينًا واحدًا
سيزيل الشعور أو يغنيه عن المساعدة.

إذا كان هذا المثال قريبًا من حالك، فاترك سجل التقييم
المتكرر، واكتف ب خطوة اتصال بمصدر مساعدة مناسب. لا
تطلب من قريب أن يصبح مراقبًا لكل طهارة أو جواب؛ يمكنه
أن يعينك على الوصول إلى المختص ويحفظ كرامتك. وتبقى
المعلومات الخاصة في نطاقها.

راجع الفصلين ٥٧ و ٧١. علامة التعلم هنا ليست القدرة على
احتمال كل شيء وحدك، بل أن تعرف حدود الكتاب وحدود
اجتهادك، وأن لا تسمي المشقة في ذاتها دليل صلاح. قد تكون
الخطوة الأنفع أن تطلب المساعدة التي تحتاجها بهدوء.

التطبيق السادس عشر: نصيحة تحفظ صاحبها

عرفت ريم أن زميلتها أخطأت في معلومة قدمتها للعمليات.
أرادت تصحيحها، فكتبت في مجموعة كبيرة: «بعض الناس لا
يتقنون الله في الكلام». فهم الجميع من تعني، وبدأت تعليقات

على شخصيتها. بقيت المعلومة الخاطئة نفسها دون تصحيح واضح.

اكتب الهدف الذي ينبغي أن يخدمه التدخل: تصحيح المعلومة وحماية من قد يتأثر بها. ثم قارن هذا الهدف بأثر العبارة العامة التي تستهدف صاحبها. هل عرف القارئ بعد الرسالة ما الصواب؟ وهل احتاج إلى حكم على نية الزميلة حتى يصله البيان؟

اقترح تصحيحاً يذكر المعلومة الصحيحة ومصدرها بقدر الحاجة، ويخاطب الزميلة مباشرة إذا كان ذلك مناسباً ولا يفوت حقاً. وإذا كان الخطأ منتشرًا ويحتاج بياناً عاماً، فلا يجعل الأدب ذريعة لإبقائه، لكن يلتزم بموضوعه ولا يزيد تفاصيل شخصية.

التحليل: الرفق لا يعني إسكات الحق، والغيرة عليه لا تمنح إذنًا بالتحقير. وقد تحتاج واقعة العمل إلى رفع رسمي إذا تكرر الخطأ أو تعلق بضرر؛ هذا طريق له جهته ومستنداته، ولا يستعاض عنه بالتلميح الذي يحشد الجمهور.

أعد كتابة ثلاث جمل: جملة تصف الخطأ، وأخرى تبين التصحيح، وثالثة تقترح إجراء لمنع تكراره. احذف منها الأوصاف التي لا تستطيع إثباتها. ثم اقرأها من جهة

المتضررة من المعلومة: هل صارت قادرة على تصحيح قرارها، أم ما زالت تقرأ خصومة بين شخصين؟

راجع الفصلين ٤٢ و ٦٤. لا تستخدم هذا التدريب ذريعة إلى التساهل مع أذى ثابت أو منع شكوى مشروعة؛ فالمقصود توجيه القول إلى الجهة والغرض والقدر، مع صيانة من يحتاج إلى حماية حقه. حسن العبارة يعين الحقيقة على الوصول ولا يحل محلها.

التطبيق السابع عشر: توبة تبدأ بحق معلوم

تذكر بشير مبلغًا أخذه قديمًا من قريب دون حق. يعرف صاحبه ومقداره، لكنه يخجل من لقائه. فكر أن يتصدق بمبلغ أكبر ليشعر بأنه فعل خيرًا كثيرًا، ثم يغلق الصفحة. وفي صورة أخرى لا يعرف رجل صاحب المال أو مقداره على وجه اليقين.

قارن الصورتين قبل اقتراح العلاج. في الأولى حق معروف لصاحب يمكن الوصول إليه، وفي الثانية معلومات مؤثرة ناقصة. لا تنقل حكمًا في مجهول المالك إلى شخص معروف

لأن المواجهة تخرجك، ولا تسوّ الجهل الحقيقي بالتردد في مكاملة ممكنة.

ما الخطوة العملية التي يستطيع بشير إعدادها؟ جمع وسيلة موثوقة لإيصال الحق، ومعرفة الطريق المناسب لصورة الواقعة، دون اختراع وصف كاذب للمال أو كشف تفاصيل لا يلزم كشفها. وإذا تعلق الأمر بتبعات أو خصومة تتجاوز مجرد الرد، يسأل عنها بصدق ولا يظن أن المثال فصل في كل أحكامها.

التحليل: قد يبذل الإنسان مبلغًا أكبر في جهة يحبها ويبقى الحق الأول في مكانه. مقدار البذل لا يحسم جهة الاستحقاق. وفي المقابل لا ينبغي تحويل الحياء إلى مانع أبدي؛ يمكنه أن يطلب بيان الطريق المشروع، وأن يستعين بمن يثق به ضمن ما يصح في حالته.

اكتب خطة من ثلاث خطوات لا تتضمن تنفيذًا نيابة عن أحد: تعيين الحق، وبيان الطريق الذي يحتاج إلى سؤال، وتحديد موعد قريب لعمل ما علم صحته. إذا بقيت معلومة ناقصة، اكتبها باسمها. لا تجعل خانة «معلق» مأوى دائمًا لحق تستطيع تبينه.

راجع الفصلين ٤٠ و ٦٧. وعند إتمام رد معلوم، احفظ ما يلزم من إثبات دون تحويله إلى إعلان تزكية. ثم انتقل إلى واجبك التالي. المقصود إصلاح ما وقع وترك سببه، لا أن تعيش في محاكمة لا تنتهي بعد أداء ما لزمك.

التطبيق الثامن عشر: عندما تتعارض رغبتان صالحتان

وعدت أسماء والدتها بمرافقتها إلى موعد تحتاج فيه إلى مساعدة. في المساء نفسه أعلنت مجموعة تقرأ معها عن لقاء نافع لا يتكرر قريباً. بحثت أسماء عن عبارات في فضل العلم حتى تقنع نفسها بأن ترك الموعد أرفع شأنًا. لم تتحدث مع والدتها عن البديل، ولم تتأكد من وجود من يقوم معها.

حدد الالتزام السابق، والحاجة الفعلية، والبدايل الموجودة فعلاً. لا تجعل اسم النشاطين وحده كافيًا للترجيح: «طلب علم» و«زيارة» قد يخفيان تفاصيل تغير ما يلزم. وليس كل ما نسميه بديلاً شخصاً متاحاً وقادراً وراضياً بالقيام بالمهمة. اكتب محادثة قصيرة صادقة مع الأم، لا تتضمن ضغطاً عليها كي تتنازل حياءً. تستطيع أسماء الاستفسار عن حاجتها وعن إمكان الترتيب، مع الاستعداد لاحترام ما يلزمها. وإذا تعذر

حضور اللقاء، قد تسأل عن تسجيل أو ملخص أو موعد لاحق دون أن تجعل فواته اتهامًا لمن احتاج إليها.

التحليل: صلاح المقصد لا يحسم ترتيب الحقوق وحده. يحتاج الإنسان إلى معرفة ما وجب عليه وما التزمه وما يمكن استدراكه. وقد يكون إيفاء وعد صغير هو العمل الذي بين يديه الآن، وإن لم يكن أكثر ما يحبه من الأعمال. ويبقى الحكم على واقعة مخصوصة متعلقًا بتفاصيلها.

اكتب لنفسك قاعدة إجرائية: قبل أن أستبدل التزامًا بعمل أحبه، أراجع صاحب الحق والبديل والوقت. ثم جربها على موعد عادي لا على قضية كبرى. لا تتخذ التمرين سببًا لإعادة التفاوض في كل وعد؛ غايته زيادة الوفاء وتقليل التعلل بالأسماء الجميلة.

ارجع إلى الفصلين ٧ و ٦١. علامة التعلم أن تعرف كيف يكون الخير في حدود ساعتك ومسؤوليتك، وأن تقبل فوات نفع اختياري حين يلزمك حق حاضر، من غير أن تحتقر النفع الذي فات أو من حضره.

دفتر القرار في صفحة واحدة

بعد هذه الحالات يمكنك إعداد صفحة تستعملها في المسألة التي تستحق الكتابة. ابدأ بعنوان محدد، مثل «إذن استعمال أداة العمل»، بدل عنوان واسع مثل «هل أنا متورع؟». اكتب تاريخ الواقعة، ثم صف ما حدث في جمل قصيرة. لا تملأ الصفحة بتاريخ حياتك؛ يكفي ما يغير فهم السؤال.

في السطر التالي سمِّ صاحب الحق أو الجهة المخولة دون وضع بيانات حساسة إن لم يحتج دفتر إليها. ثم حدد صفتك: مالك، أو وكيل، أو شريك، أو ناقل خبر، أو شاهد على واقعة. وصف الصفة يمنع كثيراً من الخلط بين ما تختاره لنفسك وما تتصرف فيه للغير.

بعد ذلك افصل المعلوم عن الناقص. قد يكون المعلوم بنداً في عقد، والناقص تفسيراً فنياً له؛ وقد يكون المعلوم أنك نشرت خبراً، والناقص صحة نسبته. لا تستخدم كلمة «أشك» وحدها؛ سمِّ الشيء الذي تريد التحقق منه، والطريق المناسب إلى معرفته.

اكتب القرار المؤقت في حدود ما تعلم. قد يكون تأجيل تصرف غير لازم حتى يتبين إذنه، أو أداء حق معلوم لا يحتاج

إلى انتظار بقية النزاع، أو طلب تصحيح معلومة. لا تجعل الصفحة تمنحك أهلية للفصل في حقوق الناس أو في مسألة فقهية لا تحسنها.

اختم بخطوة وموعد وعلامة انتهاء. «أتواصل مع الجهة المختصة غداً» أضبط من «أحاول أن أكون أفضل». وعلامة الانتهاء قد تكون رد الحق مع التحقق من وصوله، أو تلقي جواب كاف عن الصورة الصحيحة، أو نشر التصحيح حيث وقع الخطأ. بعد إتمام ذلك تحفظ ما يلزم وتمضي، وتعود إذا ظهر سبب جديد مؤثر.

مثال مكتمل مختصر: وردت زيادة في استرداد طلب؛ صاحب الحق المحتمل المتجر؛ صفة الكاتب متلقٍ للمبلغ؛ المعلوم إيداعان لطلب واحد؛ الناقص سبب الثاني؛ الإجراء التواصل عبر قناة المتجر وعدم إنفاق الزيادة على افتراض ملكها؛ الإغلاق عند بيان الاستحقاق أو إتمام التصحيح الموثوق. هذا المثال لا يغطي كل نزاع مصرفي، لكنه يريك كيف تتحول الحيرة إلى سؤال يمكن معالجته.

مراجعة أربعة أسابيع

يمكن أن تختار أربعة أسابيع للتدرب، أو تمد المدة بحسب حالك. هذا التقسيم لتنظيم التعلم، وليس عددًا تعبديًا ولا وعدًا بتغيير مضمون. اختر في كل أسبوع عملاً واحدًا من واقعك، ثم راجعه في وقت قصير معلوم. تجنب إنشاء مهام كثيرة تتحول إلى عبء ينتهي بتركها كلها.

في الأسبوع الأول تدرب على دقة الوصف. راجع خبرًا أو طلبًا واحدًا قبل نقله، وافصل ما رأيته عما استنتجتته. إن لم يعرض لك خبر، طبق على الحالة الأولى. سجل العبارة التي أصلحتها، وما الذي أصبح أوضح بعدها. لا تجعل المهمة مراقبة دائمة لكل كلمة ينطق بها الناس حولك.

في الأسبوع الثاني اعتن بحق معلوم في المال أو الوقت أو الأداة أو الخصوصية. قد تراجع إذنًا، أو تؤدي التزامًا، أو تعيد مستندًا إلى نطاقه الصحيح. اختر ما تملكه فعلًا، ولا تتصرف في ملفات الغير أو حساباتهم لتثبت أنك تصلح. إذا احتجت إلى سؤال فليكن السؤال نفسه إنجاز الأسبوع، بشرط أن يكون جادًا وكامل الصورة.

في الأسبوع الثالث تدرب على صدق السؤال والرجوع. صحح معلومة مؤثرة أغفلتها، أو اضبط نسبة نقل، أو اكتب حدود ما تعرفه لمن سألك. لا تخلق خطأ قديمًا كي تجد مادة للاعتذار. وإن كان كل ما تحتاجه هو تعلم الفرق بين نقل النص وإصدار الحكم، فاجعل مهمتك إعداد بطاقة واضحة لمثال واحد.

في الأسبوع الرابع راجع أثر التدرب على حياتك. هل صرت أسرع إلى الحق المعلوم؟ هل صارت أسئلتك أدق؟ هل خف التعميم على الآخرين؟ وهل زادت قدرتك على إغلاق المسألة بعد بيان كاف؟ اكتب مثالًا واحدًا لكل جواب تستطيع إثباته. لا تجعل شعورك العام في يوم متعب حكمًا على الأسابيع كلها. إذا تعثر أسبوع، ارجع إلى حجم المهمة. ربما اخترت نزاعًا يحتاج إلى جهة مختصة بدل مهارة بسيطة، أو وضعت موعدًا لا تستطيع الوفاء به، أو علقت نجاحك على موافقة شخص آخر. عدل ما تملكه وابق الحق على حقيقته؛ لا تسمِّ الإخفاق نجاحًا، ولا تجعل واقعة واحدة تعريفًا لنفسك.

تقييم الأداء دون تزكية للنفس

استخدم أوصافًا عملية في نهاية كل تمرين: «أتممت»، أو «بدأت وبقي كذا»، أو «أحتاج إلى معلومة»، أو «لا ينطبق

الآن». لا يلزم جمعها في مجموع رقمي؛ فقد تكون مسألة واحدة أدق وأثقل من عشر مسائل يسيرة. وإذا أردت عدّ المنجز، فليكن عدًّا للأعمال فقط دون تحويله إلى نسبة تقوى.

راجع خمس جهات: أمانة وصف الواقعة، وتحديد صاحب الحق، ومعرفة حدود صلاحيتك، وطلب البيان من أهله عند الحاجة، وإتمام التصحيح أو الأداء الذي علمته. قد تنجح في جمع المعلومات وتبقى خطوة الأداء؛ اكتب الأمرين كما هما. لا تمنح نجاحًا حقيقيًا ولا تغط نقصًا واضحًا بكلام عام.

يمكن لصاحب موثوق أن يناقشك في حالة تعليمية دون أن يطلع على أسرارك. اطلب منه أن يسألك: ما الدليل على هذه الجملة؟ ما الذي بقي مجهولاً؟ من يملك الإذن؟ وما الخطوة التي تملكها أنت؟ لا تطلب منه أن يمنحك شهادة بورعك، ولا تجعله مسؤولاً عن طمأنتك كلما عاد الشعور.

وفي التدريب الجماعي تعرض الحالات المتخيلة وحدها ما لم يوجد إذن واضح لاستعمال واقعة حقيقية وإخفاء كاف لهويتها. لا يلزم أحد بالاعتراف بحقوق أو أخطاء أمام المجموعة. يستطيع المشارك أن يكتب لنفسه، وأن يطلب مساعدة خاصة إذا احتاج إليها. التعليم يحفظ كرامته ولا يجعل الخصوصية ثمنًا للمشاركة.

حين تختلف إجابتان، ابدأ بالوقائع التي افترضها كل واحد. قد يظن أحدهما أن الإذن موجود والآخر أنه مفقود؛ فيكون الخلاف في الصورة. وإذا كان الخلاف علميًا، يسجل السؤال ويعرض على أهله. لا يحسم بالتصويت أو قوة المتكلم أو شدة عبارته.

اختبار الانتقال إلى الحياة

أمامك خمس حالات قصيرة. اختر ما يبدأ به التصرف، وعلل في جملة أو جملتين. الأولى: تملك معلومة تبرئ زميلًا من اتهام في قناة عمل مختصة. الثانية: تتردد في استعمال مباح لم تظهر فيه قرينة جديدة بعد جواب فهمته. الثالثة: تريد نشر اقتباس عن عالم وصل في صورة بلا مصدر. الرابعة: تعرف صاحب مبلغ عندك لكن الاتصال به يحررك. الخامسة: يعرض عليك عقد يحمل الاسم نفسه لعقد قرأت عنه، لكن أطرافه وشروطه مختلفة.

في الأولى يلزمك معرفة طريق البيان المشروع وحدود ما تعلم؛ لا تجعل الصمت مرادفًا للسلامة. وفي الثانية تميز عودة الشعور من ظهور معلومة، ولا تجعل التكرار غاية؛ فإن أثر في حياتك فاطلب المساعدة المناسبة. وفي الثالثة توقف النسبة حتى تتحقق، ويمكنك التعبير عن معنى صحيح من غير

نسبته إلى صاحبه المجهول. وفي الرابعة لا تسو الحرج بتعذر الوصول إلى صاحب الحق. وفي الخامسة تعرض العقد الفعلي على من يعرفه ولا تنقل نتيجة بسبب تشابه الاسم.

هذه مفاتيح لطريقة النظر، وليست أحكاماً تفصيلية تستغني بها عن شروط كل واقعة. إذا كتبت جواباً مختلفاً يحفظ المعنى ويحدد ما يحتاج إلى سؤال، فقد فهمت المقصود. وإذا وجدت أنك تعيد العبارة نفسها لكل الحالات، فارجع إلى الفروق: حق معلوم، وشبهة تحتاج بياناً، وشعور بلا قرينة، ونقل يحتاج نسبة، وعقد يحتاج تصويراً.

اختر الآن موقفاً قريباً لا تتعدى فيه صلاحيتك، واكتب أول خطوة له. قد تكون رسالة قصيرة أو رد مال أو تصحيح عنوان أو امتناعاً عن إرسال خبر. افعل ما علمت، ثم عد إلى بقية حياتك. نرجو أن يصير العلم عوناً على الطاعة والعدل، وأن تبقى اليد أقدر على أداء الحق واللسان أصدق في وصفه، دون دعوى منزلة أو انتظار ثناء.

خاتمة الكتاب

ربما بقيت أمانة لم تؤدها بعد، وكلمة تتمنى لو لم تقلها، وموقف فهمت الآن ما كان ينقصك فيه. يغلق الكتاب، ولا تغلق معه قدرتك على الإصلاح.

ما نرجوه أن يصحبك من هذه الصفحات قدر من الصدق تستطيع العيش به: تعرف حق غيرك ولو لم يطالب، وتقبل أن يتغير قرارك إذا تغير علمك، وتفرح بما أباح الله لك دون أن تفتش في كل نعمة عن تهمة. وقد يصعب ذلك يومًا ويسهل يومًا؛ فلك في كل مرة أن تعود إلى ما تبين لك.

وفي بعض المواقف لن تعرف أثر اختيارك. تكتم سرًا فلا يعلم صاحبه كم مرة حفظته، وتمتنع عن كلمة فلا يرى أحد الجرح الذي لم يقع. يكفيك أن تطلب رضا الله في عمل تعلم وجهه، وأن تؤدي ما أوتمنت عليه. فالخير الذي غاب عن الناس لا يغيب عن علمه.

وحين يثقل عليك رد الحق، تذكر الإنسان الذي سيصل إليه. وحين يشق عليك الاعتذار، تذكر أن الصدق يفتح من العلاقة ما يغلقه طول التبرير. وحين يظهر لك الحلال، اقبله بشكر؛

أنت تتعلم كيف تعيش مطيعًا، وكيف تحمل ما يلقاك من ضعف إلى باب التوبة والعمل.

ولعل هذا يفتح لنا باب المحبة: أن نتعرف إلى ما يحبه الله، وأن يصير طلب رضاه أحب إلى القلب من حراسة صورته عند الناس. هناك تستمر صحبتنا في الكتاب التالي «يحبهم ويحبونه».

ومن دعاء هذا الكتاب:

اللهم ارزقنا علمًا يبين لنا حدودك، وقلبًا يحب رضاك، ويدًا تؤدي الأمانة إلى أهلها. اللهم جنبنا الحرام، واهدنا في المشتبه، ولا تجعل احتياطنا ظلمًا ولا خوفنا وسواسًا. وأعنا على رد الحقوق، والرجوع عن الخطأ، والصدق في السر والعلن. واجعل ما نتركه لك خيرًا مما نطلبه لأنفسنا، واختم لنا بقلب سليم وعمل صالح.

فهارس النصوص والموضوعات

تجمع الفهارس الآتية النصوص والقصص والمعاني بحسب مواضعها في الفصول، وتعين روابطها على الرجوع إلى تلك المواضع. ويورد فهرس المحتويات عناوين الكتاب وصفحاتها.

إحالات النصوص ومصادرها

الفصل أو الفصول: ١ (ص ١٢)، ١١ (ص ٥٥)، ١٢ (ص ٦٠)؛ الحلال والحرام والمشتبهات والاستبراء؛ البخاري ٥٢؛ مسلم ١٥٩٩أ

الفصل أو الفصول: ٤ (ص ٢٤)، ٨ (ص ٤٣)، ١٨ (ص ٩٠)؛ دع ما يريبك والصدق طمأنينة؛ الترمذي ٢٥١٨

الفصل أو الفصول: ٣ (ص ١٩)؛ تداخل الورع والزهد في ترك بعض المباح؛ السبت، أعمال القلوب ١/٣٥٢-٣٥٣، ٣٦٥، ٣٨١-٣٨٢

الفصل أو الفصول: ٦ (ص ٣٣)؛ أصل الورع الواجب وكماله المستحب؛ السبت، أعمال القلوب ١/٣٦١-٣٦٢، ٣٦٥-٣٦٧

الفصل أو الفصول: ٧ (ص ٣٨)؛ قصد التعب بالترك؛ السبت، أعمال القلوب ١/٣٥٤، ٣٧٦

الفصل أو الفصول: ٥ (ص ٢٩)؛ الشك في الحدث أثناء الصلاة؛ البخاري ١٣٧

الفصل أو الفصول: ٩ (ص ٤٧)؛ الحلال والحرام والمشتبهات؛ البخاري ٥٢؛ مسلم ١٥٩٩أ

الفصل أو الفصول: ١٣ (ص ٦٥)؛ حكم المضطر في الطعام وترك الامتناع المؤدي للهلاك؛ القرآن، البقرة: ١٧٣؛ السبت، أعمال القلوب ١/٣٧٣

الفصل أو الفصول: ١٤ (ص ٧٠)؛ قبول رخصة قصر الصلاة؛ مسلم ٦٨٦

الفصل أو الفصول: ١٥ (ص ٧٥)؛ النهي عن تحريم الطيبات؛ القرآن، المائدة: ٨٧-٨٨

الفصل أو الفصول: ١٦ (ص ٧٩)؛ الرجوع إلى أهل الذكر؛ القرآن، النحل: ٤٣

الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)؛ تمر الصدقة وتمررة الطريق؛ البخاري ١٤٩١ و ٢٠٥٥

الفصل أو الفصول: ٢٠ (ص ١٠١)؛ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه؛ الترمذي؛ الأربعون النووية، الحديث ١٢، مع بيان اختلاف الحكم على الطريق

الفصل أو الفصول: ٢١ (ص ١٠٦)، ٢٤ (ص ١٢٢)؛ البر حسن الخلق والإثم ما حاك في الصدر؛ مسلم ٢٥٥٣

الفصل أو الفصول: ٢٢ (ص ١١١)؛ فليقل خيرًا أو ليصمت؛ البخاري ٦٠١٨

الفصل أو الفصول: ٢٣ (ص ١١٦)؛ التحلل من المظلمة وحرمة الدم والمال والعرض؛ البخاري ٢٤٤٩؛ مسلم ٢٥٦٤

الفصل أو الفصول: ١٩ (ص ٩٥)؛ البر والإثم وما حاك في الصدر وحدود استفتاء القلب؛ مسلم ٢٥٥٣؛ ابن رجب، شرح الحديث ٢٧؛ السبت، أعمال القلوب ١/٣٥٨-٣٨٦، ٣٨٢، ٣٥٩

الفصل أو الفصول: ٢٥ (ص ١٢٩)؛ أبو بكر وكسب الغلام؛ البخاري ٣٨٤٢

الفصل أو الفصول: ٢٦ (ص ١٣٤)؛ سلف ابني عمر وتسويته قراءًا؛ الموطأ، كتاب القراض، الأثر الأول

الفصل أو الفصول: ٢٧ (ص ١٤٠)؛ عبد الرحمن بن عوف وذكر مصعب؛ البخاري

الفصل أو الفصول: ٢٩ (ص ١٤٩)؛ عقبة بن الحارث وخبر الرضاع؛ البخاري ٨٨

الفصل أو الفصول: ٣٣ (ص ١٦٧)، ٣٩ (ص ١٩٩)؛ الصدق والبيان وبركة البيع؛
البخاري ٢٠٧٩

الفصل أو الفصول: ٣٤ (ص ١٧٢)؛ هدايا العمال وسبب الهدية؛ البخاري ٧١٧٤

الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)؛ نية أداء أموال الناس أو إتلافها؛ البخاري ٢٣٨٧

الفصل أو الفصول: ٣٦ (ص ١٨٤)؛ مال الشركة والعينات والمال العام والإذن الإداري؛
خمس فتاوى محددة الصورة من الموقع الرسمي لابن باز

الفصل أو الفصول: ٣٧ (ص ١٨٩)؛ استيفاء عمل الأجير ومنع أجره؛ البخاري ٢٣٧٠

الفصل أو الفصول: ٣٨ (ص ١٩٦)؛ زيادة الوكيل وأجر إنجاز المعاملة؛ فتاوى
محددتان من الموقع الرسمي لابن باز

الفصل أو الفصول: ٣٩ (ص ١٩٩)؛ الغش في عرض السلعة؛ مسلم ١٠١ و ١٠٢

الفصل أو الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)؛ المال المختلط، التوبة، الورثة، المال المتعذر رده،
وظهور صاحبه؛ خمس فتاوى محددة؛ المغني ٤/٣٠٥، طبعة مكتبة القاهرة

الفصل أو الفصول: ٤١ (ص ٢١١)؛ نقل كل ما سمع؛ مسلم ٥، المقدمة

الفصل أو الفصول: ٤٢ (ص ٢١٦)؛ تعريف الغيبة والبهتان؛ مسلم ٢٥٨٩

الفصل أو الفصول: ٤٣ (ص ٢٢٠)؛ الاستئذان ثلاثاً ثم الرجوع؛ البخاري ٦٢٤٥

الفصل أو الفصول: ٤٤ (ص ٢٣٦)؛ المزاح مع لزوم الصدق؛ الترمذي ١٩٩٠

الفصل أو الفصول: ٤٥ (ص ٢٣٠)؛ ذم الألد الخصم؛ البخاري ٢٤٥٧

الفصل أو الفصول: ٤٨ (ص ٢٤٢)؛ قول الخير أو الصمت؛ البخاري ٦٠١٨؛ مسلم ٤٧أ

- الفصل أو الفصول: ٥٠ (ص ٢٥٢)؛ قبض العلم واتخاذ رؤوس جهال؛ البخاري ١٠٠
- الفصل أو الفصول: ٥١ (ص ٢٥٧)؛ الرخص وتتبع الأقوال؛ فتويان محددتان من الموقع الرسمي لابن باز
- الفصل أو الفصول: ٥٢ (ص ٢٦١)؛ حدود القول في تفسير القرآن؛ السبت، أعمال القلوب ٤١٦/١-٤١٨
- الفصل أو الفصول: ٥٣ (ص ٢٦٦)؛ الكذب على النبي ﷺ ونقل كل ما سمع، والعمل بالضعيف؛ البخاري ١١٠؛ أبو داود ٤٩٩٢؛ فتوى محددة لابن باز
- الفصل أو الفصول: ٥٤ (ص ٢٧١)؛ الاجتهاد والخطأ والخلاف؛ البخاري ٧٣٥٢؛ فتوى محددة لابن باز
- الفصل أو الفصول: ٥٥ (ص ٢٧٦)؛ قبض العلم والتصدر بغير أهلية؛ البخاري ١٠٠؛ فتوى محددة لابن باز
- الفصل أو الفصول: ٥٦ (ص ٢٨٠)؛ التوبة والإصلاح والبيان؛ القرآن، البقرة: ١٦٠
- الفصل أو الفصول: ٥٧ (ص ٢٨٦)؛ الشك في الحدث ويسر الدين؛ البخاري ١٣٧ و ٣٩
- الفصل أو الفصول: ٥٩ (ص ٢٩٥)؛ التيسير والتحذير من التنطع؛ البخاري ٦٩؛ مسلم ٢٦٧٠
- الفصل أو الفصول: ٦٠ (ص ٣٠٠)؛ هدي العبادة والمباحات؛ البخاري ٥٠٦٣
- الفصل أو الفصول: ٦١ (ص ٣٠٥)؛ حقوق الرب والنفس والأهل، والدِّين والإنظار؛ البخاري ١٩٦٨ و ٢٤٠٠؛ القرآن، البقرة: ٢٨٠
- الفصل أو الفصول: ٦٢ (ص ٣١٠)؛ حديث المفلس وحقوق العباد؛ مسلم ٢٥٨١
- الفصل أو الفصول: ٦٣ (ص ٣١٦)؛ النهي عن تزكية النفس؛ القرآن، النجم: ٣٢

الفصل أو الفصول: ٦٤ (ص ٣١٨)؛ الرفق يزين العمل؛ مسلم ٢٥٩٤أ

الفصل أو الفصول: ٦٥ (ص ٣٢٥)؛ المراقبة والتوكل في تربية الورع؛ السبت، أعمال القلوب ٣٨٤-١/٣٨٥

الفصل أو الفصول: ٦٧ (ص ٣٣٥)؛ المبادرة إلى رفع المظلمة ورد المال؛ البخاري ٢٤٤٩؛ فتويان محدثان لابن باز؛ فتوى محددة من إسلام ويب

الفصل أو الفصول: ٧١ (ص ٣٥٥)؛ حدود «استفت قلبك»؛ شرح الأربعين النووية لعبد المحسن العباد، الموضع الإلكتروني المحال

الفصل أو الفصول: ٧٢ (ص ٣٥٨)؛ القلب السليم والأمانة وسلامة اللسان واليد؛ القرآن، الشعراء: ٨٩ والمؤمنون: ٨؛ البخاري ١٠

فهرس القصص والمواقف

تعليم الحسن بن علي رضي الله عنهما حد صدقة آل البيت؛ الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)؛ ثابت في البخاري ١٤٩١

امتناع النبي ﷺ عن تمرة خشي أن تكون من الصدقة؛ الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)؛ ثابت في البخاري ٢٠٥٥

تعليم الحسن بن علي رضي الله عنهما «دع ما يريبك»؛ الفصل أو الفصول: ٤ (ص ٢٤)، ٨ (ص ٤٣)، ١٨ (ص ٩٠)؛ محال إلى الترمذي ٢٥١٨، وقد وصفه بالحسن الصحيح

سؤال النواس بن سميعان عن البر والإثم؛ الفصل أو الفصول: ١٩ (ص ٩٥)؛ محال إلى مسلم ٢٥٥٣أ

أبو بكر وكسب غلامه من كهانة وخديعة في الجاهلية؛ الفصل أو الفصول: ٢٥ (ص ١٢٩)؛ ثابت في البخاري ٣٨٤٢

عمر وابناه ومال المسلمين ثم جعله قراضاً؛ الفصل أو الفصول: ٢٦ (ص ١٣٤)؛ موقوف في الموطأ؛ لم يرفع إلى النبي ﷺ

عبد الرحمن بن عوف وذكر مصعب عند الطعام؛ الفصل أو الفصول: ٢٧ (ص ١٤٠)؛ ثابت في البخاري ١٢٧٥؛ لم يجزم بذكر حمزة في هذا الطريق

عقبة بن الحارث وخبر الرضاع؛ الفصل أو الفصول: ٢٩ (ص ١٤٩)؛ ثابت في صحيح البخاري ٨٨؛ الرواية المثبتة كاملة في الفصل

ابن الأتبية وقوله «هذا أهدي لي»؛ الفصل أو الفصول: ٣٤ (ص ١٧٢)؛ ثابت في البخاري ٧١٧٤؛ في عامل صدقة، ولا يعمم على كل هدية

الأجير الغائب وحفظ أجره في خبر أصحاب الغار؛ الفصل أو الفصول: ٣٧ (ص ١٨٩)؛ صحيح البخاري ٢٢٧٢؛ حفظ الحق دون تعميم حكم الاستثمار

رجوع أبي موسى بعد الاستئذان ثلاثاً؛ الفصل أو الفصول: ٤٣ (ص ٢٢٠)؛ ثابت في البخاري ٦٢٤٥

الرهط الثلاثة وتصحيح تصوره للعبادة؛ الفصل أو الفصول: ٦٠ (ص ٣٠٠)؛ ثابت في البخاري ٥٠٦٣

سلمان وأبو الدرداء وإعطاء كل ذي حق حقه؛ الفصل أو الفصول: ٦١ (ص ٣٠٥)؛ ثابت في البخاري ١٩٦٨

سؤال النبي ﷺ عن المفلس؛ الفصل أو الفصول: ٦٢ (ص ٣١٠)؛ ثابت في مسلم ٢٥٨١؛ وعيد عام لا حكم على معين

فهرس الآيات

- البقرة: ١٦٠؛ الفصل أو الفصول: ٥٦ (ص ٢٨٠)؛ التوبة والإصلاح والبيان
- البقرة: ١٧٣؛ الفصل أو الفصول: ١٣ (ص ٦٥)؛ الضرورة والحاجة
- البقرة: ٢٨٠؛ الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)، ٦١ (ص ٣٠٥)؛ إنظار المعسر
- البقرة: ٢٨٣؛ الفصل أو الفصول: ٤٦ (ص ٢٣٤)؛ كتمان الشهادة
- النساء: ٢٩؛ الفصل أو الفصول: ٣٣ (ص ١٦٧)؛ أكل الأموال بالباطل
- النساء: ٥٨؛ الفصل أو الفصول: ٣٦ (ص ١٨٤)؛ أداء الأمانات
- النساء: ٥٩؛ الفصل أو الفصول: ٢٤ (ص ١٢٢)؛ رد النزاع إلى الله والرسول
- المائدة: ١؛ الفصل أو الفصول: ٣٦ (ص ١٨٤)؛ الوفاء بالعقود
- المائدة: ٨؛ الفصل أو الفصول: ٤٥ (ص ٢٣٠)، ٤٦ (ص ٢٣٤)؛ العدل والشهادة بالقسط
- المائدة: ٨٧؛ الفصل أو الفصول: ١٥ (ص ٧٥)، ٦٠ (ص ٣٠٠)؛ النهي عن تحريم الطيبات
- المائدة: ٨٨؛ الفصل أو الفصول: ١٥ (ص ٧٥)؛ الأكل من الحلال الطيب
- الأعراف: ٣٢؛ الفصل أو الفصول: ٦٠ (ص ٣٠٠)؛ زينة الله والطيبات
- الأعراف: ٣٣؛ الفصل أو الفصول: ٥٢ (ص ٢٦١)؛ تحريم القول على الله بلا علم
- التوبة: ١١٩؛ الفصل أو الفصول: ٧٠ (ص ٣٥٠)؛ معية الصادقين
- النحل: ٤٣؛ الفصل أو الفصول: ١٦ (ص ٧٩)؛ سؤال أهل الذكر
- النحل: ١١٦؛ الفصل أو الفصول: ٥٢ (ص ٢٦١)؛ القول هذا حلال وهذا حرام بلا علم

- الإسراء: ٣٦؛ الفصل أو الفصول: ٤٩ (ص ٢٤٨)؛ الوقوف عند حد العلم
الكهف: ٢٨؛ الفصل أو الفصول: ٧٠ (ص ٣٥٠)؛ الصبر مع أهل الإخلاص والذكر
المؤمنون: ٣؛ الفصل أو الفصول: ٢٢ (ص ١١١)؛ الإعراض عن اللغو
المؤمنون: ٨؛ الفصل أو الفصول: ٧٢ (ص ٣٥٨)؛ رعاية الأمانات والعهد
النور: ٢٧؛ الفصل أو الفصول: ٤٣ (ص ٢٢٠)؛ استئذان البيوت
الشعراء: ٨٩؛ الفصل أو الفصول: ٧٢ (ص ٣٥٨)؛ القلب السليم
الشورى: ١٠؛ الفصل أو الفصول: ٥٤ (ص ٢٧١)؛ رد الاختلاف إلى حكم الله
الحجرات: ٦؛ الفصل أو الفصول: ٤١ (ص ٢١١)؛ التثبت من الأخبار
الحجرات: ١١؛ الفصل أو الفصول: ٤٤ (ص ٢٢٦)؛ النهي عن السخرية
الحجرات: ١٢؛ الفصل أو الفصول: ٤٣ (ص ٢٢٠)، ٦٩ (ص ٣٤٥)؛ النهي عن التجسس
النجم: ٣٢؛ الفصل أو الفصول: ٦٣ (ص ٣١٦)؛ النهي عن تزكية النفس
الحشر: ١٨؛ الفصل أو الفصول: ٦٥ (ص ٣٢٥)؛ النظر فيما يقدم للغد

فهرس الأحاديث والأخبار

- الحلال بيّن والحرام بيّن؛ البخاري ٥٢؛ مسلم ١٥٩٩؛ الفصل أو الفصول: ١ (ص ١٢)،
٩ (ص ٤٧)، ١١ (ص ٥٥)، ١٢ (ص ٦٠)
ترك الشك في الحدث حتى يتيقن؛ البخاري ١٣٧؛ الفصل أو الفصول: ٥ (ص ٢٩)، ٥٧
(ص ٢٨٦)

دع ما يريبيك؛ والصدق طمأنينة؛ الترمذي ٢٥١٨؛ الفصل أو الفصول: ٤ (ص ٢٤)، ٨ (ص ٤٣)، ١٨ (ص ٩٠)

صدقة الله في قصر الصلاة؛ مسلم ٦٨٦؛ الفصل أو الفصول: ١٤ (ص ٧٠)

تمرة الحسن بن علي من تمر الصدقة؛ البخاري ١٤٩١؛ الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)

التمر الساقطة وخشية كونها من الصدقة؛ البخاري ٢٠٥٥؛ الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)

البر حسن الخلق والإثم ما حاك؛ مسلم ٢٥٥٣؛ الفصل أو الفصول: ١٩ (ص ٩٥)، ٢١ (ص ١٠٦)، ٢٤ (ص ١٢٢)

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه؛ الترمذي؛ الأربعون النووية، الحديث ١٢؛ الفصل أو الفصول: ٢٠ (ص ١٠١)

فليقل خيراً أو ليصمت؛ البخاري ٦٠١٨؛ الفصل أو الفصول: ٢٢ (ص ١١١)

حرمة دم المسلم وماله وعرضه؛ مسلم ٢٥٦٤؛ الفصل أو الفصول: ٢٣ (ص ١١٦)

كسب غلام أبي بكر في الجاهلية؛ البخاري ٣٨٤٢؛ الفصل أو الفصول: ٢٥ (ص ١٢٩)

ذكر مصعب وخوف تعجيل الحسنات؛ البخاري ١٢٧٥؛ الفصل أو الفصول: ٢٧ (ص ١٤٠)

عقبة بن الحارث وخبر الرضاع؛ البخاري ٨٨؛ الفصل أو الفصول: ٢٩ (ص ١٤٩)

بركة البيع بالصدق والبيان؛ البخاري ٢٠٧٩؛ الفصل أو الفصول: ٣٣ (ص ١٦٧)، ٣٩ (ص ١٩٩)

هدايا العمال وابن الأتبية؛ البخاري ٧١٧٤؛ الفصل أو الفصول: ٣٤ (ص ١٧٢)

من أخذ أموال الناس يريد أداءها؛ البخاري ٢٣٨٧؛ الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)
استيفاء عمل الأجير ومنع أجره؛ البخاري ٢٢٧٠؛ الفصل أو الفصول: ٣٧ (ص ١٨٩)
الأجير الذي ترك أجره في خبر أصحاب الغار؛ البخاري ٢٢٧٢؛ الفصل أو الفصول: ٣٧ (ص ١٨٩)

من غشنا فليس منا؛ مسلم ١٠١؛ وقصة الطعام في ١٠٢؛ الفصل أو الفصول: ٣٩ (ص ١٩٩)

كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع؛ مسلم ٥، المقدمة؛ الفصل أو الفصول: ٤١ (ص ٢١١)

تعريف الغيبة والبهتان؛ مسلم ٢٥٨٩؛ الفصل أو الفصول: ٤٢ (ص ٢١٦)

الاستئذان ثلاثًا ثم الرجوع؛ البخاري ٦٢٤٥؛ الفصل أو الفصول: ٤٣ (ص ٢٢٠)

إني لا أقول إلا حقًا في المزاح؛ الترمذي ١٩٩٠؛ الفصل أو الفصول: ٤٤ (ص ٢٣٦)

إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم؛ البخاري ٢٤٥٧؛ الفصل أو الفصول: ٤٥ (ص ٢٣٠)

فليقل خيرًا أو ليصمت؛ البخاري ٦٠١٨؛ مسلم ٤٧؛ الفصل أو الفصول: ٤٨ (ص ٢٤٢)

قبض العلم باتخاذ رؤوس جهال؛ البخاري ١٠٠؛ الفصل أو الفصول: ٥٠ (ص ٢٥٢)، ٥٥ (ص ٢٧٦)

إن الدين يسر؛ البخاري ٣٩؛ الفصل أو الفصول: ٥٧ (ص ٢٨٦)

حقوق الرب والنفس والأهل؛ البخاري ١٩٦٨؛ الفصل أو الفصول: ٦١ (ص ٣٠٥)

مطل الغني ظلم؛ البخاري ٢٤٠٠؛ الفصل أو الفصول: ٦١ (ص ٣٠٥)

من كانت له مظلمة من أخيه؛ البخاري ٢٤٤٩؛ الفصل أو الفصول: ٢٣ (ص ١١٦)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

الوعيد في الكذب على النبي ﷺ؛ البخاري ١١٠؛ الفصل أو الفصول: ٥٣ (ص ٢٦٦)
كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع؛ أبو داود ٤٩٩٢؛ الفصل أو الفصول: ٥٣ (ص ٢٦٦)

أجر الحاكم المؤهل إذا اجتهد؛ البخاري ٧٣٥٢؛ الفصل أو الفصول: ٥٤ (ص ٢٧١)

يسروا ولا تعسروا؛ البخاري ٦٩؛ الفصل أو الفصول: ٥٩ (ص ٢٩٥)

هلك المتنطعون؛ مسلم ٢٦٧٠؛ الفصل أو الفصول: ٥٩ (ص ٢٩٥)

الرهط الثلاثة وهدى العبادة؛ البخاري ٥٠٦٣؛ الفصل أو الفصول: ٦٠ (ص ٣٠٠)

حديث المفلس؛ مسلم ٢٥٨١؛ الفصل أو الفصول: ٦٢ (ص ٣١٠)

إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه؛ مسلم ٢٥٩٤؛ الفصل أو الفصول: ٦٤ (ص ٣١٨)

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده؛ البخاري ١٠؛ الفصل أو الفصول: ٧٢ (ص ٣٥٨)

فهرس الآثار وأقوال العلماء والمسائل التطبيقية

تعريف الزهد والورع ودرجات الورع؛ ابن القيم، مدارج السالكين؛ الفصل أو
الفصول: ٣ (ص ١٩)، ٦ (ص ٣٣)

الرخصة واليقين والشك؛ ابن رجب، جامع العلوم والحكم؛ الفصل أو الفصول: ٦ (ص ٣٣)، ١٩ (ص ٩٥)

ضابط ما يباح من الغيبة؛ النووي، رياض الصالحين؛ الفصل أو الفصول: ٤٢ (ص ٢١٦)

تملك المال المقترض وبقاء الدين في الذمة؛ الرملي، نهاية المحتاج، فصل القرض؛
الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)

الزيادة على الدين بسبب تأخر السداد؛ مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرار البيع
بالتقسيط؛ الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)

سلف ابني عمر وجعله قراضاً؛ موطأ مالك، كتاب القراض؛ الفصل أو الفصول: ٢٦
(ص ١٣٤)

الرهون التي جهل أصحابها ثم ظهر بعضهم؛ ابن قدامة، المغني، ٤/٣٠٥، طبعة مكتبة
القاهرة؛ الفصل أو الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)

حدود معنى «استفت قلبك»؛ شرح عبد المحسن العباد للأربعين النووية؛ الفصل أو
الفصول: ٧١ (ص ٣٥٥)

مال الشركة والإذن والتصرف في العينات؛ فتاوى محددة لابن باز؛ الفصل أو
الفصول: ٣٦ (ص ١٨٤)

صفة الوكيل والعمولة وأجر إنجاز المعاملة؛ فتاوى محددة لابن باز؛ الفصل أو
الفصول: ٣٨ (ص ١٩٦)

صور المال المختلط والتوبة ورد المال للورثة؛ فتاوى محددة لابن باز؛ الفصل أو
الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

تعذر الوصول إلى صاحب المال واستعمال بعضه؛ فتوى محددة من إسلام ويب؛
الفصل أو الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

ظهور صاحب المال بعد الصدقة عنه؛ فتوى إسلام ويب ٣٠٢٦٧٧؛ ونظير الرهون في المغني؛ الفصل أو الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)

تتبع الأقوال ونقل الخلاف والتأهل؛ فتاوى محددة لابن باز؛ الفصل أو الفصول: ٥١ (ص ٢٥٧)، ٥٣ (ص ٢٦٦)، ٥٤ (ص ٢٧١)، ٥٥ (ص ٢٧٦)

هذه القائمة تفصل النقل الفقهي التطبيقي عن الأحاديث والآيات. لا توصف الفتوى بأنها إجماع، ولا تعمم خارج صورة سؤالها.

فهرس المعاني والموضوعات

تعريف الورع وحدوده؛ الفصل أو الفصول: ١ (ص ١٢)–٨ (ص ٤٣)

الحلال والحرام والمشتبهات؛ الفصل أو الفصول: ٩ (ص ٤٧)–١٢ (ص ٦٠)

الضرورة والرخصة والمباح؛ الفصل أو الفصول: ١٣ (ص ٦٥)–١٥ (ص ٧٥)، ٦٠ (ص ٣٠٠)

النصوص المؤسسة للورع؛ الفصل أو الفصول: ١٧ (ص ٨٥)–٢٤ (ص ١٢٢)

المواقف الثابتة والتحقيق التاريخي؛ الفصل أو الفصول: ٢٥ (ص ١٢٩)–٢٩ (ص ١٤٩)، ٣٢ (ص ١٦١)

الافتداء المنضبط ودلالة أفعال العلماء؛ الفصل أو الفصول: ٢٥ (ص ١٢٩)–٢٩ (ص ١٤٩)

حفظ الحقوق وعدم نقل الضرر؛ الفصل أو الفصول: ٢٣ (ص ١١٦)، ٣٠ (ص ١٥٢)، ٣٥ (ص ١٧٨)–٤٠ (ص ٢٠٥)، ٦١ (ص ٣٠٥)، ٦٢ (ص ٣١٠)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

مصدر الكسب والراتب؛ الفصل أو الفصول: ٣٣ (ص ١٦٧)، ٣٧ (ص ١٨٩)، ٣٨ (ص ١٩٦)

الهدايا وتعارض المصالح؛ الفصل أو الفصول: ٣١ (ص ١٥٧)، ٣٤ (ص ١٧٢)، ٣٨ (ص ١٩٦)

الدين والمماطلة والقدرة؛ الفصل أو الفصول: ٣٥ (ص ١٧٨)، ٦١ (ص ٣٠٥)

المال المشترك والمال العام؛ الفصل أو الفصول: ٣٦ (ص ١٨٤)

حقوق الموظفين والأجور؛ الفصل أو الفصول: ٣٣ (ص ١٦٧)، ٣٧ (ص ١٨٩)

العمولة والوكالة؛ الفصل أو الفصول: ٣٨ (ص ١٩٦)

التجارة الرقمية والرضا والبيان؛ الفصل أو الفصول: ٣٩ (ص ١٩٩)

المال المختلط ورد الحقوق؛ الفصل أو الفصول: ٤٠ (ص ٢٠٥)، ٥٨ (ص ٢٩١)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

التثبت من الأخبار؛ الفصل أو الفصول: ٣٢ (ص ١٦١)، ٤١ (ص ٢١١)، ٤٧ (ص ٢٣٨)، ٥٣ (ص ٢٦٦)

الغيبة والخصوصية والمزاح؛ الفصل أو الفصول: ٤٢ (ص ٢١٦)–٤٤ (ص ٢٢٦)

الخصومة والشهادة؛ الفصل أو الفصول: ٤٥ (ص ٢٣٠)، ٤٦ (ص ٢٣٤)

الصمت وضبط اللسان؛ الفصل أو الفصول: ٢٢ (ص ١١١)، ٤١ (ص ٢١١)–٤٨ (ص ٢٤٢)

«لا أدري» واختيار من يُسأل؛ الفصل أو الفصول: ٤٩ (ص ٢٤٨)، ٥٠ (ص ٢٥٢)، ٥٥ (ص ٢٧٦)

الرخص وتتبع الأقوال؛ الفصل أو الفصول: ١٤ (ص ٧٠)، ٥١ (ص ٢٥٧)، ٥٤ (ص ٢٧١)

القول على الله والتفسير ونقل الحديث؛ الفصل أو الفصول: ٤٧ (ص ٢٣٨)، ٥٢ (ص ٢٦٦)، ٥٣ (ص ٢٦٦)

التأهل والرجوع عن الخطأ؛ الفصل أو الفصول: ٥٥ (ص ٢٧٦)، ٥٦ (ص ٢٨٠)

الوسواس في الطهارة والمال؛ الفصل أو الفصول: ٥ (ص ٢٩)، ٥٧ (ص ٢٨٦)، ٥٨ (ص ٢٩١)، ٧١ (ص ٣٥٥)

التشديد واحتقار المباح؛ الفصل أو الفصول: ٥٩ (ص ٢٩٥)، ٦٠ (ص ٣٠٠)

الواجبات وحقوق العباد؛ الفصل أو الفصول: ٢٣ (ص ١١٦)، ٣٥ (ص ١٧٨)–٣٧ (ص ١٨٩)، ٦١ (ص ٣٠٥)، ٦٢ (ص ٣١٠)، ٦٧ (ص ٣٣٥)

ورع الصورة وتزكية النفس؛ الفصل أو الفصول: ٦٣ (ص ٣١٦)

الخطوات العملية لصناعة الورع؛ الفصل أو الفصول: ٦٥ (ص ٣٢٥)–٧٠ (ص ٣٥٠)

استفتاء القلب وحدوده؛ الفصل أو الفصول: ١٩ (ص ٩٥)، ٢٤ (ص ١٢٢)، ٧١ (ص ٣٥٥)

القلب السليم والأمانة؛ الفصل أو الفصول: ٧٢ (ص ٣٥٨)

المصادر والمراجع

حدود الإحالة إلى المراجع

تُذكر الصفحة المطبوعة حين قبول الموضوع على صورة الطبعة، وتُذكر صفحة العرض الإلكتروني حين كان النص المعتمد منه. وللمصادر الرقمية الرسمية إحالاتها المحددة؛ لا تُنسب إليها بيانات طبعة ورقية.

تختلف الطبعات في صفحاتها، ولذلك قُرنت الإحالة باسم الطبعة حيث اعتمدت صورتها، وبعنوان الباب أو رقم الحديث أو الفتوى حيث اعتمد العرض الإلكتروني. والفتاوى المعاصرة مقيدة بصور أسئلتها؛ لا تنقل أحكامها إلى واقعة أخرى بمجرد تشابه العنوان.

الوحي وكتب الحديث

- القرآن الكريم؛ أرقام السور والآيات مثبتة في المتن، وأسماء المصادر ومواقعها في الحواشي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٩ أجزاء. اعتمدت أرقام الأحاديث في المتن على العرض الإلكتروني المحال، وقوبلت بيانات الطبعة على بطاقة النسخة المصورة.
- مسلم بن الحجاج: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، ٥ أجزاء. اعتمدت أرقام الأحاديث في المتن على العرض الإلكتروني المحال، وقوبلت بيانات الطبعة على البطاقة المصورة.
- الترمذي، محمد بن عيسى: «الجامع الكبير»، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م، ٦ أجزاء. الأحاديث ١٩٩٠ و ٢٣١٧ و ٢٥١٨ بحسب العرض الإلكتروني المحال، والطريق المرسل رقم ٢٣١٨ للمقارنة مع ٢٣١٧. تفصل أحكام الترمذي عن أحكام غيره، ولا يُجعل اختلاف الطريق مجرد اختلاف في الترقيم.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث: «سنن أبي داود»، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٧ أجزاء في ٦ مجلدات. الحديث ٤٩٩٢ بحسب العرض الإلكتروني المحال. نقل حكم التصحيح الموجود في المصدر الإلكتروني لا يمثل دراسة إسناد مستقلة.
- مالك بن أنس: «الموطأ»، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ج ٢، ص ٦٨٧-٦٨٨، كتاب القراض، باب ما جاء في القراض.

الفقه والشروح

- الرملي، شمس الدين محمد بن أحمد: «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج»، ومعه حاشيتا الشبراملسي والمغربي الرشيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٨ أجزاء. موضع الاستدلال: ج ٤، ص ٢٣٢، فصل في القرض، فقرة «ويملك القرض بالقبض»؛ قوبل النص على صورة المطبوع. النسخة المصوّرة، العرض النصي المقارن.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، جزء واحد. موضع الاستدلال: تفسير البقرة: ٢٨٠، ص ١١٧؛ قوبل على صورة المطبوع. النسخة المصوّرة، العرض الإلكتروني المساند.
- مجمع الفقه الإسلامي الدولي: قرار بشأن البيع بالتقسيط، البندان الثالث والرابع، الموقع الرسمي.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣ أجزاء. موضع الاستدلال في ج٢: تعريف الزهد والورع المنقول عن ابن تيمية ص ١٢، ومنزلة الورع ودرجاتها ص ٢٢-٢٩؛ قوبلت المواضع على صورة المطبوع. النسخة المصوّرة، نسخة نصية أخرى بترقيم مطبوع مختلف.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم»، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جزآن. موضع الاستدلال في ج١: شرح الحديث السادس ص ١٩٣-٢١٤، وشرح الحديث الحادي عشر ص ٢٧٨-٢٨٦، وبخاصة ص ٢٨٣-٢٨٤ في ضبط العمل بالرخصة والشك؛ قوبلت المواضع على صورة المطبوع. النسخة المصوّرة، النص المقابل للطبعة السابعة.
- السبت، خالد بن عثمان: «أعمال القلوب»، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ج١، باب الورع، ص ٣٤٩-٤٢٨. قوبلت المواضع المستعملة في هذا الإصدار على صور صفحات النسخة المرفقة للمشروع؛ ولا تعني الإحالة اعتماد كل خبر يورده الكتاب أو تحويل اختيارات المؤلف إلى إجماع.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد: «المغني»، الجزء الرابع، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، كتاب الرهن، ص ٣٠٥، فصل ٣٣٥٨.
- النووي، يحيى بن شرف: «رياض الصالحين»، كتاب الأمور المنهي عنها، باب ما يباح من الغيبة؛ العرض الإلكتروني للنص.
- النووي، يحيى بن شرف: «الأربعون النووية»، الحديث ١٢؛ في الحاشية

نص وصف النووي للحديث بالحسن والإحالة الإلكترونية إليه.
- العباد، عبد المحسن بن حمد: «شرح الأربعين النووية»، دروس صوتية فرغتها الشبكة الإسلامية، منشورة في المكتبة الشاملة؛ الدرس ٢٥، فقرة «معنى قوله: استفت قلبك»، ص ١٧ من الترقيم الآلي للتفريغ.

الفتاوى المعاصرة المحددة الصورة

- الموقع الرسمي للشيخ عبد العزيز بن باز: صفحات مستقلة في مال الشركة، والمال العام، والوكالة، والعمولة، والمال المختلط، ورد المال، ونقل الخلاف والحديث. كل إحالة مقيدة بصورتها في الحاشية.
- إسلام ويب: الفتويان ٣٦٥٤٤٠ و ٣٠٢٦٧٧ في المال المتعذر رده وظهور صاحبه بعد الصدقة عنه.

تُعرَّف كل فتوى بعنوانها ورقم صفحتها في الموقع متى كان لها رقم، وتُفصل الفتوى المنقولة عن التطبيق التعليمي الذي يليها.

مرجع مساند في وصف الوسواس القهري

- المعهد الوطني للصحة النفسية بالولايات المتحدة: النشرة التعريفية بالوسواس القهري، فقرتا التعريف والأعراض؛ الاستفادة وصفية، وليست مصدرًا للأحكام الشرعية. تاريخ الوصول: ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٦م.